

تأليف

العلامة أبي الثناء قطب الدين محمود بن مسعود
الشيرازي الشافعي
(٦٣٤ - ٧١٠ هـ)

ترجمة وتحقيق
يوسف الهادي

مُراجعة
مركز إحياء التراث
التابع لدار المخطوطات في العتبة العباسية المقدسة

٧٤

ابتداء دولة المغول وخروج جنكيزخان

تأليف

العلامة أبي الثناء قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي الشافعي

(٦٣٤ - ٧١٠ هـ)



ترجمة وتحقيق

يوسف الهادي

مراجعة

مركز إحياء التراث

التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة



قسم الشؤون الفكرية/ شعبة المكتبة

كربلاء المقدسة/ ص.ب. (٢٣٣)/ هاتف: ٣٢٢٦٠٠، داخلي: ٢٥١

www.alkafeel.net
library@alkafeel.net
tahqiq@alkafeel.net

القطب الشيرازيّ، محمود بن مسعود بن مصلح، ٦٣٤-٧١٠ هجري

ابتداء دولة المغول وخروج جنكيز خان= The Beginning =Ibtida' Dawlat Al-Maghol Wa Khurouj Genkeiz Khan of the Maghol Empire and the Departure of Genghis Khan / تأليف العلّامة أبي الثّناء قطب الدّين محمود بن مسعود الشّيرازيّ الشافعيّ ؛ ترجمة وتحقيق يوسف الهادي ؛ مراجعة مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة.-الطبعة الأولى.- كربلاء، العراق : مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة، ١٤٣٨ هـ = ٢٠١٧.

١٩١ صفحة: صور طبق الأصل ؛ ٢٤ سم. - (مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة ؛ ٧٤)

يضم كشّافات.

يضم ملخصاً باللغة الإنجليزية.

النصّ باللغة العربية مترجم من اللغة الفارسيّة.

المصادر: صفحة ١٤٣- ١٦٤.

١. المغول والتتار-- تاريخ. ٢. المغول والتتار--. الملوك والحكام-- تراجم. ٣. بغداد (العراق)--تاريخ--الغزو المغولي، ١٢٥٨. ألف. الهادي، يوسف، مترجم. ب. العتبة العباسية المقدسة. مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة (كربلاء، العراق). مركز إحياء التراث. ج. العنوان.

BS461.Q8125 2017

مركز الفهرسة ونظم المعلومات

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق الوطنية في بغداد لسنة ٢٠١٦م: ٤٤١.

الكتاب: ابتداء دولة المغول وخروج جنكيز خان.

تأليف: العلّامة أبي الثّناء قطب الدِّين محمود بنِ مسعود الشّيرازيّ الشّافعيّ (٦٣٤-٧١٠ هـ).

ترجمة وتحقيق: يوسف الهادي.

مراجعة: مركز إحياء التراث.

الناشر: مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة.

الإخراج الفني: السيّد محمّد جبار العميديّ.

المدقّق اللغوي: الأستاذ علي حبيب العيدانيّ.

المطبعة: دار الكفيل - العراق - كربلاء المقدّسة.

الطبعة: الأولى. **عدد النسخ:** ٥٠٠.

التاريخ: ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٣٨هـ - ٢١ آذار ٢٠١٧م.

كلمة المركز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين الصادق الأمين، حبيبنا محمّد ﷺ، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين ﷺ.

في نظرةٍ استقرائيةٍ عميقة إلى ما تضمّنته مكتبتنا الإسلامية من مصنّفاتٍ تاريخية تنوّعت تبعاً للأحداث والوقائع التي مرّت بها الأُمة في حقبٍ زمنيةٍ متتابعة، ترى الغموضَ يشوبُ الكثيرَ منها، وما انفكّت أماراتُ الاستفهام تلازم العقول المنصفة في تبيُّن حقيقة تلك المنقولات التي ساهمت بشكلٍ فعّال في رسمِ المسارات التاريخية لهذا الحدث أو ذاك؛ فوجود أَثِيثٍ من التناقضات من بين تلك المروّيات التاريخية التي تظهر جليّاً لـمَن جانب التعصُّب والعناد يُوقعه في حَيرةٍ فيما يكتب وينقل، وهو يعلم أنّ كلّ حرفٍ يتفوّه به قلمه مسؤولٌ عنه أمام محكمة العدل الإلهيّة أوّلاً، وأمام الأجيال المتعاقبة التي لا شكّ ولا رَيب أنّها لم ولن ترحم مَن تلاعب في تاريخ أُمّتها وزوّر الحقائق.

فمَن خَبَرَ تاريخنا جيّداً وتفحّصه بعين البصيرة، يظهر له جليّاً معالم كتابته وحيثياتها عبر القرون الماضية، ويدرك حينها كيف كُتب التاريخ؟! وكيف هيمنت الأهواء النفسيّة على نقل الكثير مِن وقائع الأيام والشهور والسنين وتدوينها؟! وكيف اتّخذت السلطات الحاكمة في كلّ حين التدابير والاحتياطات اللّازمة كي لا تخرج تلك المدوّنات عن دائرة المدح والثناء للسلطان أو الحاكم أو الخليفة آنذاك، وكلّ مَن والاهم وشايعهم، والقدحِ والذمِّ لـمَن خالفهم أو ثار على نهجهم. ناهيك عن الحقد المدفون في صدور بعضهم، ممّا حَدَا بهم إلى تلفيقِ أحداثٍ بعينها أو تأويل بعضها بما يتلاءم مع

مصالحهم، وهذا ما نراه أبلجَ غير لجَلَجٍ في عصرنا هذا.

كلّ هذه الأُمور وغيرها استحثّت العديد من الباحثين على دراسة التاريخ دراسةً مستفيضةً متجرّدةً مِن النزعات الشخصية أو المذهبية أو القومية؛ لاستكشاف الحقائق في كلّ حقبةٍ وإظهارها من بين ركام التزوير والتلفيق. ومنها تلك الحقبة المهمّة التي شابتها طائفةٌ من الغموض – في عين الـمُنصف – وكثُر عليها الكلام، واستحوذت على أقلام الباحثين ومِداد المؤرّخين، ألا وهي (الحقبة المغوليّة) وما صاحبها من حوادثَ مهمّةٍ غيّرت مسار التاريخ للكثير من الأُمم والشعوب، منها بل تكاد أهمّها سقوط الدولة العبّاسية بيد المغول، وما ساقه بعضهم من توجيهِ سهام الاتّهام إلى جهةٍ معينةٍ بذاتها، في محاولةٍ للنيلِ منها وإشباع الرغبات الأنويّة متّكلين في ذلك على مَن هم خارج دائرة الحدث، والتبرير للأفعال الشنيعة التي مارستها جهاتٌ أُخرى نقلتها لنا يراعات مَن عاصر الحدث وعايشه.

ولذلك تطلّب الأمر وقفةً جديةً من رجالٍ نذروا أعمارهم المباركة في تقصّي الحقائق، وقراءة التاريخ بتفحّص وتمعّن، والبحث عن المصادر القديمة التي تروي الأحداث بموضوعية ومنطقية عالية لِأولئك المعاصرين، والتوثّق من نقولاتهم ومروياتهم بغية الكشف عن الحقائق الناصعة التي تُبيّن كذب وادّعاء من أخفى الحقّ وألبس الباطل بغير أهله.

ومن هؤلاء الرجال الذين شمّروا عن سواعد الجدّ والاجتهاد في تحقيق هذا الهدف هو الأُستاذ العزيز يوسف الهادي دامت توفيقاته الذي لم يألُ جهداً في تتبّع المصادر القديمة المطبوعة والمخطوطة والمرقومة بلغات مختلفة، والاعتماد على مصادرَ عاصر مؤلّفوها الأحداث التي يتناولها في أعماله، ممّا يجعل المعلومة المعتمدة أقرب إلى الواقع

وأكثر موثوقية من غيرها، وهذا ما تجده واضحاً جليّاً في تحقيقات الرجل ومؤلّفاته، فللّه درّه وعليه أجره.

ومن المصادر المهمّة التي أتحفنا بها هذه المرّة هو كتاب (ابتداء دولة المغول وخروج جنكيز خان) لمؤلّفه العلّامة أبي الثناء قطب الدّين محمود بن مسعود بن المصلح الشيرازيّ الشافعيّ (٦٣٤هـ - ٧١٠ هـ)، وهو عالم موسوعيّ من تلامذة الخواجة نصير الدين الطوسيّ رحمه الله يسلّط الضوء على حقبة من الحِقب التاريخية للدولة المغولية، ففيه أخبار العائلة المالكة والأُمراء وما فعلوه في غزوهم للبلاد الإسلامية من أعمال، إذ يصوّر لنا بعض التفاصيل الدقيقة - التي ربّما تكون نادرة - حول الغزو المغوليّ لبغداد وسقوطها على يد هولاكو وبعض الأحداث التي زامنت الغزو، ثمّ نهاية هولاكو والصراع على السلطة من بعده في الدولة المغولية، ويعرض لنا الكتاب أيضاً صورة لواقع حكم المغوليين وسياستهم المتّبعة وبعض قوانينهم، فضلاً عن سلوكياتهم أو لِنقُل أدبياتهم في إدارة الدولة وفي الحروب.

وتأتي أهميّة هذا الكتاب كون مؤلّفه قد عاصر أهم الوقائع التي رافقت الغزو المغولي لعالمنا الإسلامي في أشد عنفوانه، عصر هولاكو الذي شهد اجتياح القلاع الإسماعيلية في إيران، وغزو العراق الذي انتهى بإسقاط الدولة العبّاسية، وكذلك يحوي الكتاب فوائد جغرافية لا توجد في غيره من المصادر.

الكتاب أُلّف باللغة الفارسية وقد قام الأُستاذ المحقّق يوسف الهادي بترجمة نصوصه وتحقيقها تحقيقاً علمياً، والتعليق عليها بتعليقات ذات فوائد جمّة، كما قدّم للكتاب بدراسة تاريخية لطيفة عرّج فيها على شذرات من حياة المؤلّف وأهميّة الكتاب وموقعه من بعض الكتب المؤلّفة عن تلك الحقبة والقريبة منه معتمداً في كلّ ذلك على

مصادر تاريخية مهمّة، منها ما هو مخطوط ونسخه فريدة، ومنها ما هو مطبوع وطبعاته نادرة. كما أضاف ملحقاً في آخر الكتاب ببعض المصطلحات المغوليّة المذكورة في المتن وبيان معانيها.

وفي الختام، فإنّنا في الوقت الذي نشكر فيه الأُستاذ الهادي على ما قدّمه لنا وللمكتبة الإسلامية من مصدرٍ مُهمٍ يحكي تلك الحقبة من تاريخنا، فإنّنا نسأل الله عزّ وجلّ أن يوفّقنا للإسهام في نشر ما من شأنه أن يصحّح ما مُلئ به التاريخ من متناقضات ومغالطات، إنّه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله أوّلاً وآخراً.

مركز إحياء التراث
التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

٨ جمادى الآخرة ١٤٣٨هـ الموافق ٢٠١٧/٣/٧م

مقدمة المحقّق

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤلِّف هذا الكتاب هو أبو الثناء قُطْب الدِّين محمود بن مسعود بن المصلح الشِّيرازيّ الشَّافِعِي، المولود في كازرون أو شيراز[1] في صفر سنة ٦٣٤ هـ/ ١٢٣٦م، والمتوفّى في تبريز - بعد أن مرض مدة شهرين[2]، عانى فيها مرض ذات الجَنْب[3] - يوم الأحد ١٧ رمضان سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م[4].

دُفن بوصيَّةٍ منه[5] إلى جانب قبر المفسِّر والمؤرِّخ والقاضي البيضاويّ الشَّافِعِيّ[6]،

---

(١) انظر: الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٢.

(٢) انظر: الصَّفَديّ، أعيان العصر، ٥/ ٤١١؛ الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٤؛ ابن حجر العسقلانيّ، الدرر الكامنة، ٤/ ٣٤٠.

(٣) انظر: أبو القاسم القاشانيّ، تاريخ أولجايتو، ١١٨؛ فصيح الخوافيّ، مجمل التواريخ، ٣/ ١٨.

(٤) استندنا إلى أبي القاسم القاشانيّ (تاريخ أولجايتو، ١١٨)؛ حَمْد الله المُسْتَوفي (تاريخ گزيده، ٧٠١)؛ (انظر: التقيّ الفاسيّ، منتخب المختار، ٢٢٧)، الَّذي جعل اليوم هو ١٦ رمضان. والصحيح ما أورده القاشانيّ الَّذي نقل تأريخاً شعرياً يؤرِّخ وفاته، وكذلك حَمْدُ الله المُسْتَوفي (انظر أيضاً: الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٥).

(٥) انظر: التقيّ الفاسيّ، منتخب المختار، ٩٢.

(٦) انظر: فصيح الخوافيّ، مجمل التواريخ، ٣/ ١٨؛ حَمْدُ الله المُسْتَوفي، تاريخ گزيده، ٧٠١. البيضاوي: العالم والمفسِّر والمؤرِّخ الشهير عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد الشِّيرازيّ المتوفّى بعد سنة ٦٩٤هـ (عن دفنه في چَرَنْدَاب، انظر: زركوب الشِّيرازيّ، شيراز نامه، ١٨٢).

في مقبرة چَرَنْداب[١] بتبريز، وأُدِّيَتْ عنه ديونُه[٢].

خَصَّص معاصره المؤرِّخ والأديب أبو القاسم القاشانيّ المتوفّى سنة ٧٣٨هـ صفحتين للكلام على شخصيته وفضائله ومناقبه، ومن ذلك إشارته إلى روح المرح لديه: «كان ذا طبع مفعم بالمرح، وقلب يبعث على الفرح، وحديث ينعش الروح، وذهنٍ وقّاد، بحيث أنَّ التشرف بقضاء لحظة واحدة معه، تبدِّل الهمَّ والغمَّ بالبهجة والحبور مدةَ عامٍ كامل»، وأضاف: إنَّ الناس يوم موته كانوا «يُعَزُّون بعضهم بعضاً بموت العلوم»[٣].

إنّ المراسيم التي أحاطت به يوم وفاته دالَّة على احترام الناس الفائق له، حيث ذُكِر أنّه «لمّا مات ولِيَ أمرَ جنازته زين الدين عَليّ بن عبد السلام، كبيرُ التُّجار بتبريز، وأنفق على الجنازة والتربة اثني عشر ألف درهم، وغُلِّق البلد بسبب الجنازة»[٤].

اتخذ مؤبِّنوه من عربٍ وفُرس لقبه «قُطْب الدِّين» محوراً صاغوا عليه أشعارهم، فقال زين الدين ابن الورديّ[٥]:

لقد عُدِمَ الإسلامُ حَبْراً مُبَرَّزاً ... كريمَ السَّجايا فيهِ مَعْ بُعدِهِ قُرْبُ
عجبتُ وقد دارتْ رَحى العلم بعدَهُ ... وهلْ للرَّحى دَوْرٌ وقد عُدِمَ القُطْبُ؟

---

(١) يذكر ابنُ الفُوَطِيّ (تلخيص مجمع الآداب، ٣/ ٤٧٠)، أنّ چَرَنْدَاب هي جزء من تبريز.

(٢) انظر: الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٥؛ الصَّفَديّ، أعيان العصر، ٥/ ٤١١.

(٣) أبو القاسم القاشانيّ، تاريخ أولجايتو، ١١٨ - ١٢٠.

(٤) البِرْزَاليّ، المقتفي، ٣/ ٤٨٨.

(٥) ابن حبيب، درة الأسلاك، حوادث سنة ٧١٠هـ.

ورثاه أحد الشعراء الفُرس وبالغَ كثيراً فقال ما تَرْجَمَتُه:

لهذه الفاجعةِ سيصبحُ ماءُ العينِ دماً   وسوفَ ينهارُ فَلَكُ هذا الزَّمَان

إنَّ الفَلَكَ يدورُ حولَ قُطبِهِ   وحينَ عُدم القطبُ، كيفَ سيدورُ الفلك؟

دأب مترجموه على أن يقرنوا اسمه بألقاب الفخامة مثل «مولانا» الَّذي سمّاه به ابنُ الفُوَطِيّ، وسمّاه أيضاً «شيخنا طبيب الدين»[١]، وسمَّى منزله الَّذي في چرنداب من مدينة تبريز بـ «الحَضرة» أو «الزاوية» التي التقى فيها جمعاً من العلماء والحكماء وكبار الشخصيات ليقول: «رأيته في حضرة مولانا وشيخنا قُطْب الدِّين أبي الثناء...، وذلك بچرنداب تبريز في زاوية مولانا قُطْب الدِّين»، أو «رأيته في حضرة شيخنا قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ»[٢]، عندما زاره في ربيع الأول سنة ٧٠٦هـ[٣]؛ كما قيل عنه: «العلَّامة الفيلسوف ذو الفنون»[٤]. ونجد وصَّافَ الحَضْرَة ـ وهو الكاتب البليغ ـ قد بلغ الغاية القصوى في كيل ألقاب الثناء عليه ببضعة سطور ختَمَها بقوله: «أستاذ المحقِّقين، كهف الواصلين، قطب المِلَّة والدِّين؛ لا زال قطباً ثابتاً لساكني الفَرْش، بل لِحَمَلَةِ العَرْش»[٥].

كما كانوا يشيرون إليه بـ «مولانا الأعظم قطب الملة والدِّين»[٦]، و«أقضى

(١) ابن الفُوَطِيّ، تلخيص مجمع الآداب، ٥/ ٥٤.
(٢) المصدر نفسه، ٣/ ٤٧٠، ٤/ ١٣٨، ١٤٠.
(٣) انظر: المصدر نفسه، ٤/ ١٣٨، ٤٩٨.
(٤) الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٣؛ الصَّفَديّ، أعيان العصر، ٥/ ٤٠٩.
(٥) وصَّاف الحَضْرَة، تاريخ وصَّاف الحَضْرَة، ٤/ ٢٦٢ - ٢٦٣.
(٦) انظر مثلاً: حَمْد الله المُسْتَوفي، تاريخ گزيده، ٦٠٥؛ وصَّاف الحَضْرَة، تجزية الأمصار (تحرير آيتي)، ٧١؛ فصيحَ الخوافيّ، مجمل التواريخ، ٣/ ١٨.

القضاة»[١]، وكونه قاضياً يستلزم أن يكون فقيهاً، حيث نعلم أنّه درس الفقه على علاء الدين الطاووسيّ القَزْوينيّ (ت ٦٧٢هـ)، الّذي كان «أستاذ علماء عصره»[٢].

إنّ كلام ابن الفُوَطيّ على «زاوية» قُطْب الدِّين دالٌّ على الاتجاه الصوفي لديه الّذي قيل فيه: إنّه «لم يغيِّر زيَّ الصوفية»[٣]، ويدل عليه أيضاً ذلك العمق الّذي امتاز به شرحه لكتاب *حكمة الإشراق* للسهرورديّ أحد عمالقة التصوُّف.

ترجَمَه المؤرِّخ والأديب ابنُ الفُوَطِيّ (٦٤٢ - ٧٢٣هـ)، الّذي كان على صلة شخصية به، فقال: «قُطْب الدِّين أبو الثناء محمود بن مسعود بن المصلح الشِّيرازيّ، كازرونيُّ الأصل، الحكيم المهندس قاضي القضاة بالروم نزيل تبريز. الحكيم الّذي لو شرعتُ في شرح أوصافه لاحتجتُ فيه إلى مجلَّدة بذاتها؛ صاحب الأخلاق النبوية، والعلوم الإلهية؛ والنفس الشريفة، والهمة المنيفة؛ والسخاء والكرم.

قَدِمَ مراغةَ إلى حضرة مولانا وسيِّدنا نصير الدين [الطُّوسيّ] سنة ثمان وخمسين وست مئة، واشتغل عليه في العلوم الرياضية؛ وعلى نجم الدين الكاتِبيّ القَزْوينيّ ما صنَّفه من الكتب المنطقية؛ وعلى مؤيد الدين العرضيّ ما صنَّفه في علم الهيئة والأشكال الهندسيَّة. وكتبَ بخطه الدقيق اللطيف جميع ما اشتغل به وحصَّله وأدأب نفسه ليلاً ونهاراً. ووليَ القضاءَ بالرُّوم وأقام بسيواس مدةً، ثُمَّ قدمَ أذربيجان واستوطن تبريز واشتغل بالتصنيف والتحقيق وصار مجلسه محلَّ الحكماء والأفاضل.

---

(١) انظر مثلاً: وصَّاف الحَضْرَة، تجزية الأمصار (تحرير آيتي)، ٧١.

(٢) حَمْدُ الله المُسْتَوفي، تاريخ گزيده، ٨٠٧.

(٣) ابن حجر العسقلانيّ، الدرر الكامنة، ٤/ ٣٤٠؛ الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٤؛ الصَّفَديّ، أعيان العصر، ٥/ ٤١١.

وكان دمثَ الأخلاق، ظريف المحاورة في المحاضرة. وكان مقرَّباً عند السلاطين والوزراء»[١]. وصفه البِرْزَالِيّ بقوله: «كان مقصداً قاضياً لحوائج الناس، وله الجاه العريض والمال الوافر»[٢]. وقال فيه الذَّهَبيّ: «كان من بحور العلم ومن ذوي الذكاء، وكان أجود فنونه معرفة الرياضي، رأيتُ تلاميذه يتغالون في تعظيمه»[٣].

ونعتقد أنَّ أهم أساتذته كان العالم الموسوعي الفذ نصير الدين الطُّوسيّ، حيث سافر إليه قُطْب الدِّين «ولازَمَه، فبَحَثَ عليه شرحه للإشارات والرياضيّ وعلم الهيئة وبَرَعَ»[٤].

ذُكر أنّه اجتمع بهولاكو وأبغا[٥]، وأنّ أبغا قال له: «أنت أفضل تلامذة النصير، وقد كبر، فاجتهِدْ حتى لا يفوتك شيء من علمه. قال [قُطْب الدِّين]: قد فعلتُ، وما بقيَ لي حاجة»[٦].

سافر إلى بلاد الروم فأكرمه حاكمها البرواناه[٧]، وعيَّنه قاضياً في سيواس وملطية، ونقل أسرته معه إلى تلك البلاد[٨].

---

(١) ابن الفُوَطِيّ، تلخيص مجمع الآداب، ٣/ ٤٤٠ - ٤٤١.
(٢) البِرْزَالِيّ، المقتفي، ٣/ ٤٨٨.
(٣) الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٣؛ ابن حجر العسقلانيّ، الدرر الكامنة، ٤/ ٣٤٠.
(٤) الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٢.
(٥) اسمه يُكتب أيضاً بصورة، أبقا، آباقا، وهو ابن هُولاكُو، حكمَ خلال السنوات ٦٦٣ - ٦٧٠هـ.
(٦) الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٤؛ الصَّفَديّ، أعيان العصر، ٥/ ٤١٠؛ ابن حجر العسقلانيّ، الدرر الكامنة، ٤/ ٣٤٠.
(٧) هكذا يُكتب في المصادر العَرَبِيَّة، أمَّا في الفارسية فيكتب بصورة: پروانة.
(٨) انظر: التقيّ الفاسيّ، منتخب المختار، ٢٢٠.

وكان من ثمار إقامته في بلاد الروم، مجموعته الخطيَّة التي كتبها بيده في مدينة قونية في ربيع الآخر سنة ٦٨٥هـ، التي ننشر منها كتابنا هذا. وكانت علاقاته بشخصيات من بلاد الروم واسعة بحيث نجد مجدَ الدين أبا الحارث محفوظَ نجلَ حاكم بلاد الروم الشهير پروانة ضيفاً بمنزله في تبريز سنة ٧٠٦هـ[١].

يقول ابن الفُوَطِيّ: إنّه «غادر آذربايجان وسكنَ مدة في المدرسة التي أنشأها الصاحب شمس الدين مُحَمَّد بن مُحَمَّد الجُوَيْنيّ بجوين[٢] وفوَّضَ أمر تدريسها إلى مولانا نجم الدين الكاتِبيّ القَزْوينيّ؛ وكان مولانا قُطْب الدِّين معيدَ درسه»[٣].

أهم تحركاته السياسية قيام السلطان المَغُوليّ أحمد تكودار بمشورة شمس الدين الجُوَيْنيّ صاحب الديوان والشيخ عبد الرحمن الرافعيّ[٤]، بإرساله سنة ٦٨١هـ إلى دمشق حاملاً رسالة سلام ومهادنة إلى سلطان مصر والشام المنصور قلاوون الألفيّ[٥].

---

(١) انظر: ابن الفُوَطِيّ، تلخيص مجمع الآداب، ٤/ ٤٩٨.

(٢) جُوَين: «كورة جليلة نَزِهَة على طريق القوافل من بسطام إلى نيسابور، يسميها أهل خراسان كويان، فعرِّبت فقيل: جوين...، وقصبتها آزاذوار» (معجم البلدان، ٢/ ١٦٤ -١٦٥).

(٣) التقيّ الفاسيّ، منتخب المختار، ٢٢٢.

(٤) انظر: رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧٨٨؛ آيتي، تحرير تجزية الأمصار، ٦٩: كمال الدين عبد الرحمن الرافعي البَغْدَادِيّ (انظر أيضاً: كتاب الحوادث،١٦٩ - ٤٦٧)؛ سمّاه ابن الفُوَطِيّ «شيخ السلطان أحمد بن هُولاكُو»، وقال: «كان من الفرَّاشين المقرَّبين إلى حضرة المستعصم بالله» (تلخيص مجمع الآداب، ٣/ ٣٩٥، ٤/ ١٧٧، ١٧٨؛ مجهول، كتاب الحوادث، ٤٦٧).

(٥) البَنَاكَتِيّ، روضة أولي الألباب، ١٢٩ ب: أرسله في ١٩ جمادى الأولى؛ الذَّهَبِيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٤؛ الصَّفَدِيّ، أعيان العصر، ٥/ ٤١٠؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة، ٤/ ٣٤٠.

حين وصل الوفد إلى مدينة إلبيرة «سُيِّرَ إلى مصر ولم يدخل الشام، وأُدخل إلى الألفي ليلاً، فوقف بين يديه وأدى الرسالة، فقال الترجمان له: نحن نجيب إلى ذلك، وأمر في الحال بإنشاء الكُتب إلى سائر البلاد ليتمكن التجار من السفر. ثُمَّ أذِن لقُطْب الدِّين في العَود وأمرَ له بمال وأُعيد إلى إلبيرة»(١). وبإزاء ذلك ردَّ قلاوون برسالة جوابية يُعزز فيها نوايا السلام التي بدأها السلطان أحمد. أدّت هاتان الرسالتان اللتان ترددت أصداؤهما الطيبة في المنطقة طويلاً(٢)، إلى نشر حالة من الأمان في المنطقة، حيث «فُتحت الطرق، وأخذ التجار يسافرون من بغداد والموصل، والعَجم إلى سورية، ومن سورية ومصر إلى بلاد التتر دون أدنى أذىً»(٣).

---

(١) مجهول، كتاب الحوادث، ٤٦٢.

(٢) الرسالة بتمامها مع رسالة قلاوون الألفي الجوابية لدى بَيْبَرْس المنصوريّ الدوادار في (زبدة الفكرة، ٢١٩ - ٢٢٦)؛ ابن الفُوَطِيّ (تلخيص مجمع الآداب، ٥/ ٦٣)، الَّذي ذكر أنّ الرسول الَّذي كان معه هو عبد الباقي بن أبي بكر السنجاريّ (٥/ ٦٣)، لكنّه ذكر في موضع آخر (٥/ ٥٤٣)، أنّه كان بهاء الدين جاولي؛ ابن العِبْرِيّ (تاريخ الزَّمَان، ٣٤٤) الَّذي ذكر اسمين آخرين لمرافقي قُطْب الدِّين (تاريخ مختصر الدول، ٥٠٦ - ٥١٨)، حيث ذكر الرسالة بتمامها مع جواب قلاوون؛ ابن المغيزل (ذيل مفرج الكروب، ١٢٧ - ١٣٦)؛ الآقْسَرَائيّ (مسامرة الأخبار، ١٣٦)، الَّذي ذكر أنّ مَن كان معه هو بهاء الدين الرُّودكرديّ؛ مجهول (كتاب الحوادث، ٤٦٢)؛ ذكر مؤلِّف كتاب الحوادث أنّ السلطان أحمد أرسل في السنة التالية (٦٨٢هـ) الشيخ عبد الرحمن إلى الشام لتوكيد ما كان كتبه في الرسالة المذكورة، لكن هذا الشيخ «لمَّا وصل إلى دمشق حُبِسَ بها، وكان آخر العهد به، ونُودِيَ في الشام أنْ لا يذكره أحد» (ص ٤٦٧)؛ ويقول رشيد الدِّين عقب ذلك: أنّ السلطان أرسله بتلك الرسالة إلى مصر، لكنّه حين وصل دمشق أُلقي عليه القبض وحُكم بالسجن المؤبد، فمكث في سجنه حتى وفاته (جامع التواريخ، ٢/ ٧٩٠؛ انظر أيضاً: البَنَاكَتيّ، روضة أولي الألباب، الورقة ١٢٩ ب).

(٣) ابن العِبْرِيّ، تاريخ الزَّمَان، ٣٤٤ - ٣٤٥.

نجد في سيرته أنّه حين ذهب إلى بلاد الروم أكرمه حاكمها البرواناه، وولّاه قضاء مدينتي سيواس وملطية[(١)]. لكن ابن الفُوَطِيّ يقول: إنَّ الصاحب شمس الدين الجُوَيْنِيّ هو الَّذي فوَّضَ إليه قضاء ممالك بلاد الروم، فتوجه إليها وأقام بسيواس[(٢)]، وقيل أيضاً: إنّه «وُلِّيَ قضاء الروم ولم يباشره، وكان له نواب في بلاده»[(٣)].

حضر مرة إلى بلاط السلطان المَغُولِيّ أَرْغُون خان بن آباقا بن هُولاكُو في شعبان سنة ٦٨٩هـ، «وعرضَ عليه صورة بحر المغرب وخلجانه وسواحله التي تشتمل على كثير من الولايات الغربية والشمالية؛ وقد سُرَّ السلطان كثيراً بتجاذب أطراف الحديث معه وهو يفصِّل الحديث عن ولايات الروم. وخلال ذلك وقع نظر السلطان على موضع مدينة عمُّورية التي هي من بلاد الرُّوم الداخلة، فطلب إلى مولانا أن يصفها له، فتقدَّم بوصف تلك المدينة بعد أن مهَّد لكلامه بعبارات راقية اشتملت على الدعاء والثناء للملك الَّذي كان وقع ذلك في نفسه عظيماً، ثُمَّ توجه نحو الصيد، وخاطب مولانا [قُطْب الدِّين]: حين أعودُ، فتعالَ إليَّ لنتجاذب أطراف الحديث، فكلامك في غاية العذوبة. [ويتابع رشيد الدِّين فيقول:] لكن حدث حينها أن جيءَ بثلاثة من الشخصيات المعروفة قُبِض عليهم في بلاد الروم، فقرّر الملك إنزال عقوبة الإعدام بهم، فلمّا سمع قُطْب الدِّين، هُرِع خلف الملك وتمكَّن من إنقاذ واحد منهم من الموت»[(٤)].

---

(١) انظر: الذَّهَبِيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٢؛ الصَّفَدِيّ، أعيان العصر، ٥/ ٤١٠؛ التقيّ الفاسيّ، منتخب المختار، ٢٢٠؛ ابن حجر العسقلانيّ، الدرر الكامنة، ٤/ ٣٤٠.

(٢) انظر: التقيّ الفاسيّ، منتخب المختار، ٢٢٢.

(٣) البِرْزَالِيّ، المقتفي، ٣/ ٤٨٨.

(٤) رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧٢٢.

ماديّاً، لم يكن محتاجاً لأحد، كان مترَفاً في حياته وكان دخله السنويّ ممَّا قرَّره له «ملوك التتار والأمراء وغيرهم يقارب الثمانين ألف درهم»[١]. وقيل «كان حليماً سمحاً لا يدَّخر شيئاً، بل ينفق ما معه على تلامذته ويسعى لهم، وصار له في العام ثلاثون ألف درهم، وقصده صفي الدين عبد المؤمن [الأُرْمَوِيّ] المطرِب فوصله بألفي درهم»[٢].

ويبدو أنَّ هذه الحال لم تدم طويلاً، إذْ نجده يقول في مقدمة كتابه *شرح حكمة الإشراق*، الَّذي انتهى منه في شهر رجب سنة ٦٩٤هـ: إنّه أراد منذ زمن أن يؤلّفه لكن أعاقه «اعتراضٌ في أحوال الزَّمَان، من اختلال الأمن والأمان...»، فقرَّر اعتزالَ الناس حيث قال: «حتى ضربتُ عن أبناء الزَّمَان صفحاً، وطويتُ عنهم كشحاً»، بل صرَّح أيضاً بضيق ذات يده مما ألجأه إلى العُزلة فقال: «أَلجأني الإقلالُ بعد الإكثار، والإعسارُ بعد اليسار، وخلوُّ الديار عمَّن يعرف قدر الفضيلة وينعش عِثار الأحرار، إلى أن استترتُ بالخمول والانكسار، وانزويتُ في بعض نواحي هذه الديار؛ متوفِّراً على فرض أؤدِّيه، وتفريط في جنب الله أسعى إلى تلافيه، لا على درسٍ أُلقيه، أو تأليفٍ أتصرَّف فيه».

وينبِّه على أنَّ «شرح المشكلات، وتقرير المعضلات، واستخراج العلوم والصناعات، وثبت ما يتحقق من المباحثات؛ إنّما يحتاج إلى مزيدِ تجريدٍ للعقل، وتمييزٍ من الذهن، وتصفيةٍ للفكر، وتدقيقٍ للنظر، وانقطاعٍ عن الشوائب الحِسِّية، وانفصال عن الوساوس العاديَّة.

---

(١) البِرْزَالِيّ، المقتفي، ٣/ ٤٨٨.

(٢) الصَّفَدِيّ، أعيان العصر، ٥/ ٤١١؛ الذَّهَبِيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٤؛ ابن حجر العسقلانيّ، الدرر الكامنة، ٤/ ٣٤٠. والأُرموي هو الموسيقار عبد المؤمن بن يوسف بن فاخر، وكان «من الفقهاء الشوافع في المستنصرية، ومن كبار الخطَّاطين والمغنِّين في خلافة المستنصر والمستعصم» (معروف ناجي، تأريخ علماء المستنصرية، ١/ ٩٤).

وكلُّ ذلك منوط بالأمن والأمان، الَّذي هو مربوط بعدل السلطان؛ إذ العدلُ أصلُ كلِّ خير، ومَدْفَعُ كلِّ آفةٍ وضَيْرٍ؛ به تدوم عناصرُ العالم على صفة الاعتدال، وتقوم السَّنَة باستواء فصولها مصونةً عن الاختلال. ولَّما ضاعت السِّيَرُ العادلة، وشاعت الآراءُ الباطلة؛ واندرس الدينُ ومنارُه، وانطمس الحقُّ وآثارُه...»[١].

ثم يتحدث عن ظهور الأمل الَّذي سيحدوه على أن ينشط للتأليف ليكتب شرحاً على كتاب حكمة *الإشراق* لشهاب الدين السهروردي[٢]. وتمثَّلَ هذا الأمل بظهور الوزير جمال الدين عَليّ بن مُحَمَّد بن منصور الدستجرداني، وهو شخصية سياسية اجتماعية علمية ذات ثقافة عالية، وكان كريماً[٣].

---

(١) قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ، شرح حكمة الإشراق، ٥ - ٦.

(٢) هو يحيى بن حبش بن أميرك(٥٤٩ - ٥٨٧هـ)، الفيلسوف والصوفي الشهير الَّذي عاش في بلاد الشام، وقد كفَّره جمع من علماء تلك البلاد، وأُعدِمَ بأمر السلطان صلاح الدين الأيوبي. ترجمه الذَّهَبيّ فقال: «كان يتوقَّد ذكاء، إلّا أنّه قليل الدِّين» (سير أعلام النبلاء، ٢١/ ٢٧٢)، وقال: «قَدِمِ الشامَ فناظر فُقهاء حلب، ولم يُجاره أحدٌ، فاستحضره الملك الظاهر [حاكمُ حلب ونجلُ صلاح الدين الأيوبي]، وعقد له مجلساً، فبان فضله، وبهر علمه، وحسن موقعه عند السّلطان، وقرَّبه، واختص به، فشنَّعوا عليه، وعملوا محاضر بكفره، وزادوا عليه أشياء كثيرة، [وبعثوها إلى السلطان (صلاح الدين)، وخوفوه أن يفسد اعتقاد ولده]، فبعث إلى ولده الملك الظاهر بخط القاضي الفاضل يقول فيه: لا بدَّ من قتله، ولا سبيل إلى أن يُطلق ولا يُبقَى بوجه» (تاريخ الإسلام، ٤١/ ٢٨٤، سير أعلام النبلاء، ٢١/ ٢٠٨). وقال الذَّهَبيّ في (سير أعلام النبلاء، ٢١/ ٢١٠ - ٢١١): «قَالَ ابْنُ خَلكانَ: وَكَانَ يُتَّهَم بالانحِلَال وَالتعطيل، وَيَعتقد مَذْهَبَ الأَوَائل، اشْتُهر ذَلِكَ عَنْهُ، وَأَفتَى علماءُ حلب بقتله، وأشدُّهم الزَّينُ وَالمجدُ ابْنَا جَهْبَل»؛ ثُمَّ علَّقَ (أي الذَّهَبيّ) على إفتائهم بقتله قائلاً: «قُلْتُ: أَحْسَنُوا وَأَصَابُوا».

(٣) انظر: ابن الفُوَطِيّ، تلخيص مجمع الآداب، ١/ ٢٥٩، ٢/ ٤٥، ٣/ ٢٣٥، ٥/ ٢٣٧، ٤٢٥.

عُرِف الدستجرداني هذا بعشق الكتاب والتنقيب عنه وفيه(١). وفيما نقله عنه ابن الطقطقى ما يدلّ على رجاحة عقله(٢). عاش في بغداد وشغل منصب حاكم بغداد مرةً وأخرى منصب والي العراق للمغول منذ سنة ٦٨٩هـ(٣)، وعُيِّن وزيراً سنة ٦٩٥هـ، لكن وزارته لم تَدُمْ سوى خمسين يوماً قُتِلَ بعدها في السنة نفسها(٤).

ذُكِر أنَّ قُطْب الدِّين «كان يتقن الشعبذة، ويضرب بالرَّباب ويورد من الهزليات ألواناً بحضور خَرْبَندا(٥)، وفي دروسه، وكانت أخلاقه جميلة ومحاسنه وافرة»(٦)، ورأينا كيف أُعجب السلطان المَغُوليّ أَرْغُون بحديثه حين التقاه(٧).

---

(١) انظر: ابن الطقطقى، الأصيلي، ٣١، عن تنقيبه في خزانة مكتبة ساوة؛ وحصوله على إجازة برواية كتاب الذرية الطاهرة للدولابي من أحد رواته وهو أحمد بن ابراهيم بن عمر الفاروثي المتوفّى سنة ٦٩٤هـ (الطباطبائي، أهل البيت في المكتبة العَرَبِيَّة، ١٨٤).

(٢) انظر: ابن الطقطقى، الفخري، ٣٧.

(٣) انظر: فصيح الخوافيّ، مجمل التواريخ، ٢/ ٣٦٢؛ مجهول، كتاب الحوادث، ٥٠٦، ٥١٧، ٥٢١، ٥٣١.

(٤) انظر: رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٩٢٥ - ٩٢٦. حيث ذكر أنّه عُيِّن في ٨ من ذي القعدة، وقُتل في ٢٨ من ذي الحجة من سنة ٦٩٥هـ؛ وعلينا الركون إلى رشيد الدِّين لكونه أقرب الناس إلى محمود غازان، ونهمل ما ذكره حَمْدُ الله المُسْتَوفي (تاريخ گزيده، ٦٠٣) من أنّ الدستجرداني قُتِل بعد شهرين من توليه الوزارة؛ ونهمل أيضاً ما ذكره مؤلّف كتاب الحوادث (ص ٥٣١) من أنّ مدة ولايته كانت ٤٠ يوماً، وأنّه قُتل سنة ٦٩٦هـ؛ وكذلك ما ذكره فصيح الخوافيّ (مجمل التواريخ، ٢/ ٣٦٢، ٣٧٧)، من أنّه استُوزر سنة ٦٩٥هـ، وقُتل سنة ٦٩٧هـ.

(٥) هو السلطان المَغُوليّ مُحَمَّد خُدَابَنده أولجايتو.

(٦) الـذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٥؛ الصَّفَديّ، أعيان العصر، ٥/ ٤١١؛ ابن حجر العسقلانيّ، الدرر الكامنة، ٤/ ٣٤٠.

(٧) انظر: رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧٢٢.

كما ذُكر أنّه «كان ظريفاً مزّاحاً لا يحمل هماً، وهو بزيّ الصوفية، وكان يجيد اللعبَ بالشطرنج ويلعبُ به والخطيبُ على المنبر وقتَ اعتكافه»[١].

ويمكن أن تكون هذه الروح المرحة هي التي حدت بعض الناس على اتهامه بكونه «متهاوناً في الدِّين محبّاً للخمر ويجلس في حَلَق المساخر»[٢]؛ وهو أمر لا يمكن الركون إليه خلال تلك الأجواء المشحونة بالتنافس والنميمة والتسقيط الاجتماعيّ، ذلك أنَّ الرجل عُرِف عنه أنّه «كان يحبُّ الصلاة في الجماعة ويخضع للفقير، ويوصي بحفظ القرآن، وإذا مُدح يخشع»[٣]، ولقد أحسن الذَّهَبيّ حين قال: «واللهُ أعلم بطويته، فظاهرُهُ ما قلنا، وباطنه أجود، وله محاسن ومروءة وأخلاق، والله تعالى يسمح له ولنا»[٤].

ويبدو أنَّ قُطْب الدِّين حين قال: إنّه اعتزل الناس؛ قد بالغ في التواضع، ذلك أنَّ السُّبْكيّ يقول: إنّه «استوطن بالآخرة تبريز وانقطع عن أبواب الأمراء إلى أن مات»[٥]، لكنّه نفع الناس بهذا الانقطاع «وفي الآخر لازمَ الإفادة، فدرّس *الكشّاف* و*القانون* و*الشّفاء* وعلوم الأوائل»[٦].

---

(١) الصَّفَديّ، أعيان العصر، ٥/ ٤١١؛ الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٤؛ ابن حجر العسقلانيّ، ٤/ ٣٤٠.

(٢) الإسنوي، طبقات الشَّافِعِيَّة، ٢/ ٣٢؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشَّافِعِيَّة، ٢/ ٣١١.

(٣) الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٥؛ الصَّفَديّ، أعيان العصر، ٥/ ٤١١. يخشع: يتواضع.

(٤) الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٥.

(٥) السُّبْكيّ، طبقات الشَّافِعِيَّة الكبرى، ١٠/ ٣٨٦؛ حاجي خليفة، سلّم الوصول إلى طبقات الفحول، ٣/ ٣١٩.

(٦) الذَّهَبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٤؛ الصَّفَديّ، أعيان العصر، ٥/ ٤١١. والكشّاف هو تفسير القرآن الكريم الشهير للزمخشري، والقانون هو الكتاب الطبي المعروف لابن سينا، والشفاء أيضاً لابن سينا، وهو في المنطق والإلهيات والطبيعيات.

وينبغي أن يكون انهماكه بالتدريس بعد سنة ٧٠٦هـ، ذلك أنّه كان قد ورد تبريز في هذه السنة[١]، والتقاه فيها ابن الفُوَطِيّ في زاويته بمدينة تبريز، مما ذكرناه آنفاً.

ويذكر ابن الفُوَطِيّ أيضاً أنَّ قُطْب الدِّين قد لازم الجامع في أخريات سِنِي حياته «ولمَّا لازم الجامع في الأخير قرأ للناس *جامع الأصول* في رمضان، وطالَعَ *الإحياء* لأبي حامد»[٢].

ولدى ابن حجر خبر يقول فيه إنّه «درَّسَ بدمشق *الكشّاف* و*القانون* و*الشفاء* وغيرها»[٣]، لكنّه لم يذكر متى حدث ذلك.

بين قُطْب الدِّين ورشيد الدِّين

كان للوزير والطبيب والمؤرِّخ رشيد الدِّين الهَمَذَانيّ به علاقة طيبة جداً حتى إنّه حين كان في رحلة إلى بلاد المولتان حرص على مراسلته وأطال في الكتابة إليه وأبدى له شوقاً واحتراماً زائدين فقال: «تصل رسالتي إلى ذلك الشفيق الرفيق، والرفيق الشفيق، الحامل من العلوم كل ما هو دقيق...

والله لولا أنَّ ذِكْرَكَ مؤنسي   ما كان قلبي بالفراقِ يطيبُ[٤]

(١) ذكر ذلك قُطْب الدِّين نفسه في كتابه فعلتَ فلا تَلُمْ (انظر: آغا بُزُرْك، ذيل كشف الظنون، ٧٢).

(٢) التقيّ الفاسيّ، منتخب المختار، ٢٢٤. وجامع الأصول لأحاديث الرسول، هو من تأليف المبارك بن مُحَمَّد بن عبد الكريم ابن الأثير الشيباني الشَّافِعِيّ (٥٤٤ - ٦٠٦هـ)، أمّا الإحياء فهو كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي.

(٣) ابن حجر العسقلانيّ، الدرر الكامنة، ٤/ ٣٤٠.

(٤) البيت من قصيدة لمحمّد بن إبراهيم بن ثابت المعروف بابن الكيزاني المتوفّى سنة ٥٦٠هـ (الصَّفَديّ، الوافي بالوفيات، ١/ ٢٥٦).

يتنظَّى بشـواظ مِـن تَغشـيً كـلُّ مَـن يُحـرَمْ يوماً رؤيتَـكْ[١]

ويعلم الله الحقّ العليم والعلّام مدى ما أعاني من غَلَبات نَسَمات فيض الاشتياق، وغليان الهجران والأشواق، والعاصف واللاعج، مما لا يَصل بحقه شرحُ الأقلام، وبسط كلام، إلى حَيِّز الإتمام:

الـشرحُ لا آخـذُ في شرحِـهِ لأنَّـه أكثـرُ مِـن أن يُقـالْ»[٢]

بلغ من احترام الوزير رشيد الدِّين له أنّه كان يدعوه «مولانا المعظّم، ملك ملوك الحكماء والأفاضل، أقضى القضاة والحكام في العالم، مقتدَى العالَم ودستورُه وفريدُه، قطب المِلَّة والدين دامت معاليه»[٣]؛ ودعاه أيضاً «أفضل علماء العالَم»[٤]. وحين أرسل رشيد الدِّين مرة إلى نجلِه عَليّ حاكمِ بغداد مبالغ ضخمة وهدايا عينية وطلب إليه أن يوزعها على جمع من علماء العراق وغيره بلغ عددهم واحداً وخمسين من مشاهير أهل العلم والفضل من علماء وفقهاء وأطباء ومتصوفة ومتفلسفين، كان اسم قُطْب الدِّين أولَ اسمٍ في القائمة، وخصَّه بمبلغ ٢٠٠٠ دينار، وهو مبلغ ضخم جداً آنذاك[٥].

---

(١) ورد هذا البيت في الأصل بالفارسية، فترجمناه شِعراً. و«رؤيتك» وردت في الأصل الفارسي «خدمتك»، وهي تعني هنا الحضور بين يدي الشخص المقصود ذي المنزلة الأرفع.

(٢) رشيد الدِّين، سوانح الأفكار رشيدي، ١٤٦ - ١٤٧.

(٣) رشيد الدِّين، بيان الحقائق (الطبعة الفارسية)، ١٠٩ - ١١٠؛ انظر مديحاً آخر لرشيد الدِّين بحقه مبالغاً فيه أيضاً في (لطائف الحقائق، ٢/ ٤٧١). الدَّسْتُور كلمة فارسية مستعملة في اللغة العَرَبِيَّة لدى بعض الكتَّاب آنذاك وتعني الوزير.

(٤) رشيد الدِّين، جامع التواريخ (ط روشن وموسوي)، ٢/ ٩٩٩.

(٥) انظر: رشيد الدِّين، سوانح الأفكار رشيدي، ٦٨ - ٧٣.

وبرغم أنَّ القطب الشِّيرازيّ كان عالماً موسوعياً بارزاً، لكن رشيد الدِّين أيضاً من طبقة الكتّاب ذوي المواهب المتعددة، فضلاً عن الدور السياسي الَّذي أدَّاه في الدولة المغولية.

ونضيف إلى ذلك أنَّ قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ كان شافعي المذهب أي أنّه ينتمي عقائدياً وفقهياً إلى المذهب نفسه الَّذي يعتنقه رشيد الدِّين، وكان يمكن لهذا - فضلاً عن الأسباب الأخرى - أن يوثق العلاقة بين الرجلين.

ومع ذلك فلننظر إلى هذه النكات التي أطلقها بحق رشيد الدِّين - ولا شك في أنّها جارحة- لنعرف شيئاً من التنافس بينهما[1]:

لمّا سمع قُطْب الدِّين أنَّ رشيد الدِّين الهَمَذانيّ كتبَ رسالة في قوله عزَّ وجلَّ حكاية عن الملائكة: ﴿قَالُوا [سُبْحَانَكَ] لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾[2]، قال: [كان] يجب عليه أن يقف على قوله تعالى: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾.

وحين انتهى رشيد الدِّين من بناء المسجد الفخم الَّذي قلَّ نظيره في الربع الرشيدي بتبريز سنة ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م، المسجد الَّذي أخذَ بلُبِّ الشاعر المبدِع أوحدي المراغئي فرأى فيه موضعاً يليق لأن يجلس فيه الإمام المهدي المنتظر[3]، دعا رشيدُ الدِّين جمعاً من أصدقائه وكبار الشخصيات الَّذين وصفوا المحراب الذي أُنفقَ على بنائه وتزيينه أموالاً وافرة. وعندما جاء دور قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ علَّق قائلاً: «ما فيه عيبٌ، إلّا أنَّ قِبْلته منحرفة إلى جهة المغرب»، أي إلى جهة بيت المقدس حيث قبلة اليهود. يشير بذلك إلى الديانة التي كان عليها رشيد الدِّين أو أبوه قبل إسلامه.

---

(١) النكات الثلاث ذكرها تقي الدين الفاسي في منتخَب المختار، ٢٢١، نقلاً من ابن الفوطي.

(٢) سورة البقرة: ٣٢.

(٣) انظر: لغت نامه دهخدا، مادة «ربع رشيدي».

والنُّكتة الثالثة نقلها ابن الفُوَطِيّ أيضاً، وهي أنّه قيل لقُطْب الدِّين الشِّيرازي: إنَّ رشيد الدِّين قد شَرَعَ في تفسير *القرآن* الكريم، فعلّق قُطْب الدِّين بالقول: «وأنا قد اهتممتُ في تفسير *التوراة*»، أي كما أنَّ يهودياً قد شَرَعَ بتفسير *القرآن*، فسأبادر أنا المسلم إلى الشروع بتفسير *التوراة*. وكلتا النكتتين فيهما لمزٌ واضح وتلميح هو أبلغ من التصريح إلى ديانة رشيد الدِّين الأولى اليهودية.

ومن منطلق يلتزم بالتحليل السيكولوجي ومبدأ الحتمية النفسية الَّذي يقول: إنَّ الظاهرات النفسية لا تتم جزافاً، نقولُ: إنَّ هذه النُّكات تكشف عن لاشعورٍ مشحونٍ بعدوانيةٍ (Agressivity) مرتبطةٍ بالإحباط (Frustration)، هذه العدوانية موجهة نحو الآخر «رشيدِ الدِّين» الَّذي نعتقد أنَّ قُطْب الدِّين كان يرى فيه منافِساً لا يستطيع التفوُّقَ عليه، لذا فهو يبادر إلى الحَطّ من قَدْرِهِ اجتماعياً من خلال كلامه، سواء أكان غلّفه بثوب النُّكتة والمزاح أم أنّه كان فَلْتَة لسان، فإنّه يذكّرنا بالقاعدة السيكولوجية التي أطلقها الإمام عَليّ ﵇ قبل قرون من ظهور جهابذة التحليل النفسي، التي قال فيها: «ما أضمَرَ أحدٌ شيئاً إلّا ظَهَرَ في فَلَتَاتِ لسانِه وصفحاتِ وجهِه»[(١)].

ويبدو أنَّ أمر حساسية قُطْب الدِّين من رشيد الدِّين كانت أمراً شائعاً حتى إنَّ ابن فضل الله العمريّ ينقل عن أحد شيوخه قوله: «كان لا يزال بينه (قُطْب الدِّين) وبين رشيد الوزير بغضاء تفرّق اللَّحْم، وتدبُّ دبيبَ النار في الفَحْم»[(٢)].

ومع ذلك، فعندما أصدر رشيد الدِّين كتابه *التوضيحات* سنة ٧٠٦هـ، تقدَّم جمعٌ من الأدباء والعلماء لتقريظ ذلك الكتاب كان من بينهم قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ:

---

(١) نهج البلاغة، ٤/ ٧.

(٢) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٩/ ١١٩.

نجد رشيد الدِّين يذكر قُطْب الدِّين بعبارة «مولانا الأعظم علَّامة العالَم، أفضل المتأخرين، قطب الملة والدِّين الشِّيرازيّ»، ووصفَ قُطْبُ الدِّين رشيدَ الدِّين بأنّه «المخدوم الأعظم والدَّسْتور[1] والعالِم، منبع الجود والكرم، معدن الفضل والحِكَم، ملجأ وزراء العرب والعجم؛ باسط الأمن والأمان، ناشر العدل والإحسان، أفضل وأكمل إيران، خواجة العالَم، رشيد الملَّة والدين...»[2]. ترى، ما مدى الصدق في مدائح كهذه ونوايا كاتبيها مضمرة في قلوبهم التي لا سبيل إلى الاطِّلاع عليها؟

كان نصير الدين الطُّوسيّ أهم أساتذة القطب الشِّيرازيّ حيث التقاه في مراغة الإيرانية سنة ٦٥٨هـ. وهذا يعني أنَّ قُطْب الدِّين عاصر الحقبة التي كان فيها نصير الدين يجمع عقب احتلال المغول بغداد النوابغ من علماء العالم الإسلاميّ في مشروعه العلميّ الكبير مرصد مراغة، الَّذي أنقذ أيضاً أرواح العشرات من علماء الإسلام من بطش المغول حين ضمَّهم إلى هذا المشروع الضخم[3]، بحكم أنَّ المغول قد عُرفوا بالاهتمام الفائق بالفلك والتنجيم؛ وكان الطُّوسيّ يسميه «قطب فلك الوجود، وسافر معه إلى خراسان، ثُمَّ رجع إلى بغداد وسكن بالنظامية، وأكرمه صاحب الديوان»[4].

---

(١) الدَّستور تعني الوزير، وكان رشيد الدِّين قد أصبح وزيراً لدى السلطان غازان منذ سنة ٦٩٧هـ.

(٢) رشيد الدِّين، «تقريظ توضيحات رشيدي»، منشآت، الورقتان ٢٠ أ، ٢١ أ.

(٣) روى الصفديّ في (الوافي بالوفيات، ١/ ١٤٨)، واقعة تدخَّل فيها نصير الدين الطوسيّ بذكاء عجيب لإنقاذ حياة علاء الدين الجوينيّ من حُكم القتل الَّذي أصدره هُولاكُو بحقّه، ونجح في ذلك، ثُمَّ عقَّب الصفديّ بالقول: «وهذا غاية في الدهاء، بَلَغَ به مقصده، ودَفَعَ عن الناس أذاهم، وعن بعضهم إزهاق أرواحهم».

(٤) التقيّ الفاسيّ، منتخب المختار، ٢٢٠.

وكانت للمؤرِّخ النابه ابن الفُوَطِيّ صلة بعالِمنا ومؤرِّخنا قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ، الَّذي التقاه في مناسبات كثيرة[١] وعاشره وهو يقول عنه: «شيخنا طبيب الدين أبو الثناء محمود بن مسعود الشِّيرازيّ»[٢]، ونال ابن الفُوَطِيّ منه إجازة في الرواية، وقال فيه أيضاً: «كان دائم الفكر والكتابة، لم يخلُ القلم من يده، وكان الناس يجتمعون إليه ويقتبسون من فوائده؛ وكان مزَّاحاً، لطيف المحاضرة، كريم الأخلاق»، ويقول عن شخصيته العلمية: «كان قد أدأب نفسه ليلاً ونهاراً في القراءة والتحصيل والبحث إلى أن فاق واشتهر في الآفاق، وهو مع ذلك عزيز النفس، عالي الهمة، يؤثر إسداء الخيرات إلى الخلائق بقلَمِه وكَلِمِه، ويسعى لهم بهمَّته وقَدَمِه، كثير المحفوظ من الأخبار والحكايات، وعيون الأشعار والمقطَّعات، باللغتين الفارسية والعربية. كتبَ الكثيرَ لنفسه من سائر العلوم النقلية والعقلية»[٣].

موسوعية قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ

لَمَّا كان قُطْب الدِّين عالماً موسوعياً، نشير إلى بعض إنجازاته على الصعيد العلمي، فقد «كان رياضياً، فلكياً، عالماً بالطبيعيات، كما عُني بالطب والفلسفة، واهتمَّ في أواخر حياته بعلم الكلام»[٤]، فعلى الصعيد الفلكي، شكَّل هو ونصير الدين الطُّوسيّ ومؤيد الدين العرضيّ ما يمكن أن نسميه «الثالوث الفلكي» في مرصد مدينة مراغة الَّذي أنشأه الطُّوسيّ بدعم من هُولاكُو وجمع فيه حشداً مهماً من علماء الفلك والرياضيات.

---

(١) انظر مثلاً: ابن الفُوَطِيّ، تلخيص مجمع الآداب، ٣/ ٤٧٠، ٤/ ١٣٩، ١٤٠، ٤٩٩.

(٢) المصدر نفسه، ٥/ ٥٤. وأشار إليه أيضاً بلفظ «شيخنا» في (٤/ ١٤٠).

(٣) انظر: التقيّ الفاسيّ، منتخب المختار، ٢١٩ - ٢٢٢.

(٤) ألدو ميلي، العلم عند العرب، ٢٩٨.

يقول الأستاذ جورج صليبا عن الثلاثة هؤلاء: «إذا أخذنا بعين الاعتبار أعمال هؤلاء الثلاثة فقط لاستطعنا أن نشير إلى القرن الثالث عشر الَّذي عاش فيه هؤلاء الثلاثة شهد قيام ثورة حقيقية في البحوث الفلكية، كما شهد تغييراً جذرياً في المواقف إزاء مسلَّمات علم الفلك»[١]. وينتهي الباحث مورلون إلى القول: «وهكذا تشكَّلت (مدرسة) حقيقية حول مراغة كان لها تأثير هام على كل التطور اللاحق في علم الفلك في الشرق»[٢]. كما تمت على يده «أولى المحاولات في التفسير العقلاني لقوس قزح بواسطة الانعكاسات والانكسارات المتتالية ضمن حُبَيبات المياه»[٣].

ولّما كنّا لا نريد التوسع في ذكر مؤلَّفاته ببليوغرافياً وفي ذكر عناوينها، سنقتصر على تلك التي أهداها إلى حكّام عصره ومشاهيره، لأنّ ذلك يعيننا على تحديد الأزمان التي أُلّفت فيها، وربما الأماكن أيضاً، فضلاً عن معرفة علاقاته بأولئك، الَّذين لا بدَّ من أن يكونوا قد بادلوه هداياهم بما جادت به أيديهم تشجيعاً للعلم وأهله ليواصلوا نشر علومهم، ممّا يطلعنا على شبكة اتصالاته بأولئك المشاهير وكذلك الأماكن التي تنقَّل فيها، وهي بمجموعها تشكّل محطَّات فاصلة في حياته. وقد قيل فيه: إنّه كان «قويّ النفس، يخاطب السلطان والوزير كما يخاطب أصحابه، مع لينٍ وحسن خُلق، ولم يكن يتكلَّف في ملبس ولا يتصدَّر في مجلس، وكان كثير الشفاعات»[٤].

---

(١) صليبا، «نظريات حركات الكواكب في علم الفلك العَرَبيّ بعد القرن الحادي عشر»، موسوعة تاريخ العلوم العَرَبِيَّة، ١/ ٩٦. وكان بناء هذا المرصد قد بدأ سنة ٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م، وتمَّ في ٦٦١هـ/ ١٢٦٣م.

(٢) مورلون، «مقدمة في علم الفلك»، موسوعة تاريخ العلوم العَرَبِيَّة، ١/ ٤٢.

(٣) تاتون، تاريخ العلوم العام، العلم القديم والوسيط، ٤٩٤.

(٤) التقيّ الفاسيّ، منتخب المختار، ٢٢٣-٢٢٤.

وننقل فيما يأتي كلام قُطْب الدِّين في مقدمة شرحه لكتاب *القانون* لابن سينا، الَّذي سمَّاه *التحفة السعدية*، وسَرَدَ فيه سيرته الذاتية مع ذِكره أسماء بعض أساتذته:

يقول بعد البسملة والتحميد: «كنتُ من شُبَّ إلى دُبّ[1]، مغرىً بطلب العلم ومجالسة أهله والتشبه بهم حسب الإمكان، ومساعدة الزَّمَان؛ وذلك من فضل الله عَليّ ولطفه بي أنْ حبَّبه إليَّ، فبذلتُ الوسع - والله الموفِّق- في تحصيل ما وُفِّقْتُ له من أنواعه وأصنافه، حتى صار لي قوة الاطِّلاع على خفاياه، وإدراك خباياه؛ وحلّ ما لم ينحلّ إلى هذا الزَّمَان، بل من لدُن آدمﷺ إلى الآن؛ ولم آلُ جهداً في إعمال الطلَب، وابتغاء الأدب، إلى أن تشبثتُ مِن كلٍّ بطرف، وتشبَّهت فيه بأضرابي، ولا أقول تميّزتُ عن أترابي»، ثُمَّ يتكلم على صناعة الطب ويشرح مرتبتها المتقدمة في الصناعات:

«وحيث كانت مرتبة هذه الصناعة بين الصناعات ما ذَكَرْنا، وكنتُ من أهل بيتٍ مشهورين بهذه الصناعة، وإنْ كان لهم أشرف من هذه البضاعة، لكونهم موفقين في العلاج، وإصلاح المزاج، بأنفاسٍ عيسوية، وأيد موسوية؛ شغفتُ في ريعان الشباب وحداثة السن بتحصيلها، والإحاطة بمجملها وتفصيلها. فاكتحلتُ السهاد، وتجنبتُ الرقاد، إلى أن حفظت المختصرات المشهورة وتيقنتها، وشهدتُ المعالجات المتداولة وتحققتها، ومارست كلّ ما يتعلق بالطب والكَحْل، من أعمال اليد والسل، والتشمير والتقليب ولقط الطفرة والسبل، إلى غير ذلك إلَّا القَدْح فإنّه لا يحسن منّا، كلَّ ذلك عند والدي الإمام الهمام ضياء الدين مسعود بن المصلح الكازَرُونيّ، وكان بإجماعِ أقرانه - تغمَّده الله بغفرانه، وأسكنه أعلى غرف جنانه- بقراطَ زمانه، وجالينوس أوانه.

---

(١) المثل: أعييتني مِن شُبَّ إلى دُبَّ: أي من لدن كنت شاباً إلى أن دببت على العصا (انظر: الميداني، مجمع الأمثال، ٢/ ٣٢٥).

ولمّا اشتهرتُ بالحدس الصائب، والنظر الثاقب في تعديل العلاج، وتبديل المزاج؛ رتّبوني طبيباً في المارستان المظفري بشيراز[١] بعد وفاة والدي، وأنا ابن أربع عشرة سنة، وبقيتُ عليه عشر سنين كأحد الأطباء الّذين لا يتفرّغون لمطالعةِ اللهمّ إلّا لمعالجة، ولا للنظر في دليلٍ اللهمّ إلّا في دليل.

فأبَتْ نفسي أن أكتفي من تعلُّم هذه الصناعة بما اكتفى به المعاصرون، وهو القدر الّذي به يكتسبون، وإلى العامة يتشوقون؛ بل كلّفتني أن أبلغ الغاية القصوى، والدرجة العليا.

فشرعتُ في كلّيات *القانون* عند عمّي سلطان الحكماء، مقتدى الفضلاء، كمال الدين أبي الخير ابن المصلح الكازَرُونيّ[٢]، ثُمَّ الإمام المحقّق، والحَبر المدقِّق، شمس المِلَّة والدين مُحَمَّد بن أحمد الحكيم الكِيشيّ[٣]، ثُمَّ علّامة وقته وهو شيخ الكُلّ في الكُلّ شرف الدين زكي البُوشكانيّ[٤]؛ فإنّهم كانوا مشهورين بتدريس هذا الكتاب، وتمييز قشره عن اللباب؛ متعيّنين لحلِّ مشكلاته، وكشف معضلاته».

---

(١) هو المستشفى المعروف بدار الشفاء الّذي بناه الأتابك مظفر الدين أبو بكر بن سعد المتوفّى سنة٦٥٨هـ خلال مدّة حكمه (انظر: زركوب الشّيرازيّ، شيراز نامه، ٨٥).

(٢) ترجَمَه زركوب الشِّيرازيّ (شيراز نامه، ١٨٩)، وقال «كان حكيماً متألهاً وطبيباً متديناً، لم يكن له نظير في عصره، وكان يتقن العلوم الشرعية والدينية...، توفي سنة ٦٥٩هـ».

(٣) هو «محمَّد بن أحمد بن عبد اللّطيف. العلّامة، المصنِّف، ذو الفنون، شمس الدين القُرَشيّ، الكيشي. مدرس النظامية ببغداد. اتفق مولده بكيش سنة خمس عشرة وستمائة. وكان موته بشيراز [سنة ٦٩٥هـ]» (جُنَيد الشِّيرازيّ، شدّ الإزار، ١١٠، ونصّ على أنّ قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ كان من تلامذته؛ الصَّفَديّ، الوافي بالوفيات، ٢/ ١٠٠؛ مجهول كتاب الحوادث، ٥٢٨، الّذي قال: إنّه توفّي سنة ٦٩٤هـ، وهو من سهو القلم). طُبع أخيراً أحد آثاره وهو الإرشاد إلى علم الإعراب.

(٤) لم نهتدِ إلى ترجمته.

ثُمَّ يذكر بعد ذلك مجموعة من العلماء والأطباء ممّن شرحوا كتاب *القانون* لابن سينا وما أخذه على شروحهم؛ وبعد أن لم يجد غنىً في تلك الشروح سافر وعمره نيِّف وعشرون سنة[١] إلى نصير الدين الطُّوسيّ الَّذي يصفه بالقول: «توجَّهتُ تلقاء مدينة العلم، وشطر كعبة الحكمة، وهي الحضرة العليَّة البهيَّة القدسية، والسُّدَّة الزكيَّة الفيلسوفيَّة الأستاذيَّة النصيريَّة، قدَّسَ اللهُ نفسَه، وروَّحَ رمسَه، فانحلَّ بعضُ المنغلق، وبقي البعض»، ويطلعنا بعدها على رحلاته في البلدان التي استفاد منها في التباحث مع حكمائها وأطبائها فيقول: «ثم سافرتُ إلى بلاد خراسان، ومنها إلى بلاد عراق العجم، ثُمَّ إلى عراق العرب بغداد ونواحيه، ومنه إلى بلاد الروم؛ وباحثتُ مع حكماء هذه الأمصار، وأطباء تلك الأقطار؛ وسألتهم عن حقائق تلك المضايق، واستفدتُ ما كان عندهم من الدقائق، حتى اجتمع عندي ما لم يجتمع عند أحد من الحقائق. وكان كل هذا الاجتهاد، وتطواف البلاد إلى الروم حتى أجمع المجهول من الكتاب أكثر من المعلوم. إلى أن ترسَّلتُ سنة إحدى وثمانين وست مئة إلى سلطان مصر الملك المنصور قلاوون الألفي الصالحي، سقاه الله شآبيب رضوانه، وكساه جلابيب غفرانه، فظفرتُ هناك بثلاثة شروح تامة للكلِّيات...» .

ثُمَّ يعرِّج على ذكر الأطباء الثلاثة الَّذين أَلَّفوا تلك الشروح فضلاً عن شرح على حواشي الكتاب لعبد اللطيف بن يوسف البَغْدَادِيّ، ويقول: «وحيث طالعتُ هذه الشروح وغيرها مما ظفرتُ به انحلَّ الباقي من الكتاب، بحيث لم يبق فيه موضع انغلاق ولا إشكال، ولا محلّ قيلٍ وقال». والخلاصة إنّه قرَّر تأليف شرحه على كتاب ابن سينا، مستفيداً من كلّ تلك التجارب فضلاً عن تجاربه الشخصية.

---

(١) انظر: المتقي الفاسي، منتخب المختار، ٢٢٠.

يحدد قُطْب الدِّين تأريخ شروعه بتأليف هذا الكتاب بسنة ٦٨٢هـ، وأنّه بعد أن كتب الأول «فانتشر في الآفاق واشتهر في الأقطار، واستحسنه طبعُ الصغار والكبار»، طُلِبَ إليه أن يكمَله، فكتب الشرح الثاني. وبعد أن يشكو الزَّمَان وجفاء أهله، يعرِّج على ذِكْرِ «شروق شمس الدولة الغازانية»، و ذِكْرِ سعدِ الدين السَّاوَجيّ (أو السَّاوِيّ) وزيرِ السلطان محمود غازان، فبالغ في الثناء عليهما بسطور طويلة[1]. ونحن نعلم أنّ السلطان محمود غازان حكم خلال السنوات من ٦٩٤ - ٧٠٣هـ، أمّا السَّاوَجيّ فاستوزر أواخر سنة ٦٩٧هـ[2]؛ ولمّا لم يترحَّم عليهما، دلَّ ذلك على أنّهما كانا ما يزالان على قيد الحياة خلال تأليفه كتابَه، ونعتقد أنَّ الشرح الثاني للكتاب أُلِّف ومحمود غازان ما يزال حياً، وأنّه انتهى منه قبل سنة ٧٠٣هـ. وقد نصَّ في مقدمة كتابه أنّه سمّاه *التحفة السعدية* تيمناً بالوزير سعد الدين السَّاوِيّ، وحين أتمّه أهداه إليه؛ وصف أبو القاسم القاشانيّ هذا الوزيرَ - وكان معاصراً له - بأنّه «كان متجنباً لاقتراف الخطايا، متقياً، متديناً، عابداً، زاهداً، ورعاً، خائفاً من الله، محباً للفقراء، متفقداً للمساكين، قاضياً للحاجات، محباً للعلوم، راعياً للعلماء والفضلاء والزهّاد والعبّاد»[3].

إنّما أطلنا الكلام على كتاب *التحفة السَّعْدَيَة* لأهمية المعلومات والتواريخ التي ذُكرت فيه ممّا يسعفنا على تتبّع تطوره العلمي ورحلاته وتنقّله في البلدان، وفي الوقت نفسه معرفة علاقته بالحكّام المغول وغيرهم.

---

(١) اقتبسنا هذا التلخيص من أول التحفة السعدية لقُطْب الدِّين الشيرازي، الأوراق ١ - ٧.

(٢) قُتل هذا الوزير فيما بعد سنة ٧١١هـ، بأمر السلطان أولجايتو خدابنده.

(٣) أبو القاسم القاشانيّ، تاريخ أولجايتو، ١٢٨.

هناك كتابه الذي انتهى منه في ٢٤ ربيع الأول سنة ٦٧٦هـ[١]، *دُرَّة التاج لغُرَّة الدُّبَاج*، وهو موسوعة تضمّنت أنواع العلوم من فلسفة ومنطق ورياضيات وهندسة وموسيقى.... ألّفه لحاكم بلاد جيلان «دُباج ابن السلطان السعيد حسام الدولة والدين فيلشاه بن الملك المعظم سيف الدين رستم بن دُبَاج»[٢] (٦٦٠ - ٧١٤هـ).

ولقُطْب الدِّين أيضاً كتاب *تَرجَمَة أصول أقليدس*. ألّفه على عهد تاج الدين المعتز ابن طاهر في أول شعبان سنة ٦٨١هـ[٣].

وهناك كتابه *نهاية الإدراك* في الفلك الّذي أهداه إلى أحد حكّام بلاد الروم، حيث نقرأ في ترجمته: «مجير الدين أمير شاه بن تاج الدين معين بن طاهر، نائب السلطنة بالروم: كان من الحكّام ببلاد الروم، وله سيرة حسنة، وقواعد مستحسنة: ولأجله صنّف مولانا قطب [الدين] الشّيرازيّ كتابه *نهاية الإدراك في دراية الأفلاك*»[٤].

---

(١) انظر: دانش پزوه، فهرست ميكروفيلمهاي كتابخانه مركزي دانشگاه طهران، ١/ ٨٤.

(٢) قُطْب الدِّين الشّيرازيّ في أول كتابه درة التاج (الورقة ٣ أ). ويُكتب «دوباج» أيضاً. قال الذَّهَبيّ في ذيل تاريخ الإسلام، ١٤٦: إنّه «نزل عن السلطنة لابنه وقدِم الشام ليحجّ ويسكن دمشق، فأدركه الأجل بقباقب قرب تدمر، فحملوه إلى دمشق، وأُنشئت له تربة مليحة بشرقي سوق الصالحية ورُتِّبَ بها المقرئون. وكان فارساً شجاعاً عاقلاً مهيباً، يقال: إنّه هو الّذي رمى الملك خطلو شاه بسهم قتلَه، نوبةَ قَصَدَت التتار أَخْذَ جيلان سنة ٧٠٦، وعليهم خطلو شاه، فقُتِل، وسلَّط عليهم الجيالِنة البحر المِلْحَ في الليل، فغرق طائفة وانهزم الباقون بأسوأ حال» (انظر أيضاً: ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤/ ٨١). الجيالنة: أهل جيلان.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ١/ ٤٨، وفيه أنّ هذه النسخة كُتبت في رمضان سنة ٧٠١هـ.

(٤) ابن الفُوَطِيّ، تلخيص مجمع الآداب، ٤/ ٥٦٤. توفي مجير الدين هذا سنة ٧٠١هـ في قراباغ أرّان (انظر: الآقْسَرَائيّ، مسامرة الأخبار، ٢٩٣).

ويقول آغا بُزُرْك: «*نهاية الإدراك في شرح التذكرة النصيرية في الهيئة*[١]؛ أصل *التذكرة* للخواجه نصير الدين الطُّوسيّ، وأمّا هذا الشرح فهو للعلّامة قُطْب الدِّين محمود الشِّيرازيّ»[٢].

اختيارات المظفريّ، في الفلك، ألّفه للأمير مظفر الدين يولق أرسلان ألپيورگ الچوپانيّ حاكم قسطموني[٣] (ت ٧٠٤هـ)، أورد مختارات منه في *نهاية الإدراك*[٤].

ثم *التحفة الشاهية*، ألّفه للوزير «أمير شاه مُحَمَّد بن الصدر السعيد تاج الدين معتز ابن طاهر، وهو متأخر عن *نهاية الإدراك*»[٥].

وكتاب *فَعَلْتَ فلاَ تَلُم*، وسبب تأليفه أنَّ أحد معاصريه[٦] قد كتب «ما سمّاه *تبيان مقاصد التذكرة* وما كان هو إلّا عين *التحفة الشاهية* بجميع ألفاظها من دون نسبة إليه إلّا في مواضع ظنَّ المعاصرُ فسادها فنسبها إلى صاحب *التحفة*؛ ويورد عليه اعتراضات باردة غير واردة. فعمد القطب إلى دفعها، والنسخة بخطّه [بخطّ قُطْب الدِّين] في الخزانة الغروية في النَّجَف الأشرف»[٧].

---

(١) عنوانه التذكرة في علم الهيئة، والطُّوسيّ هو أبو جعفر نصير الدين مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الحسن (٥٩٧ – ٦٧٢هـ)، الفيلسوف وعالم الفلك والرياضيات المعروف.

(٢) آغا بُزُرْك، الذريعة، ٦/ ٢٢٨.

(٣) قسطموني: ولاية في تركيا، تقع في شمال غربي آسيا الصغرى.

(٤) انظر: دانش پزوه، فهرست ميكروفيلمهاي كتابخانه مركزي دانشگاه طهران، ١/ ٦.

(٥) حاجي خليفة، كشف الظنون، ١/ ٣٦٨.

(٦) اسم هذا السارق لكتاب قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ هو مُحَمَّد بن عَليّ بن الحسين المنجم حماذي (؟) (انظر: فهرست ميكروفيلمهاي كتابخانه مركزي دانشگاه طهران، ١/ ٣٦٠).

(٧) آغا بُزُرْك، ذيل كشف الظنون، ٢٧ – ٢٨.

أهداه إلى خزانة كتب أصيل الدين الحسن بن نصير الدين الطُّوسيّ[(١)].

مخطوطة الكتاب

هي مجموعة مخطوطة مكتوبة بخطِّ العلَّامة قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ نفسه، محفوظة في مكتبة آية الله المرعشيّ النَّجَفيّ بمدينة قم[(٢)]، وتأريخ كتابتها ورد قبيل الانتهاء من الأثر الأخير للسموأل (*نسخةُ مسألةٍ وردت على السَّمَوْأل...*)، حيث كتب قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ: «أحوج خلق الله محمود بن مسعود الشِّيرازيّ، ختمَ اللهُ له بالحُسنى، من خطّ السموأل، وذلك في سَرَار[(٣)] ربيع الآخر من شهور سنة خمس وثمانين وست مئة، وفي بلدة قُونية، صانَها اللهُ من الآفات».

تضمنت هذه المجموعة الآثار الآتية:

١ - *مجلس في الأخلاق* للشَّهْرَسْتانيّ (٤٦٩ - ٥٤٨هـ)[(٤)].

---

(١) انظر: دانش پزوه، فهرست ميكروفيلمهاي كتابخانه مركزي دانشگاه طهران، ١/ ٣٦٠.

(٢) أصدرت لها المكتبة نفسها طبعة تصويرية سنة ٢٠١٣م، مصدَّرة بمقدمة للسيّد محمود المرعشيّ النَّجَفيّ، ونشير هنا إلى أرقام صفحات هذه المطبوعة.

(٣) سَرَارُ الشَّهر: آخر ليلة منه.

(٤) ذُكرت ثلاث روايات لولادته: ٤٦٧، ٤٦٩، ٤٧٩هـ (انظر: آذرشب، مقدمة مفاتيح الأسرار، ١/ ١٦)، فآثرنا ٤٦٩هـ؛ لكون السمعانيّ الَّذي كان الشهرستانيُّ شيخَه قد ذكرها، فضلاً عن أنّ المؤرِّخ فصيح الخوافيّ (مجمل التواريخ، ٢/ ١٩٠)، قد نصَّ عليها أيضاً. أمّا نسبته، فقال السمعاني: «الشَّهْرَسْتانيّ: بفتح الشين والراء، بينهما هاء، ثُمَّ السين المهملة الساكنه، والتاء المفتوحة ثالث الحروف، بعدها الألف، وفي آخرها النون. هذه النسبة إلى شهرستانة وهي بليدة من الثغور، عند نَسَا من خراسان، ممّا يلي خوارزم يُقال لها: رباط شهرستانة» (الأنساب، ٣/ ٤٧٥)

وهو محمّد بن عبد الكريم الشَّهْرَسْتانيّ الشَّافِعِيّ الأشعريّ[1]، باللغة الفارسية (الصفحات ٢٧ - ٩٦، من الطبعة التصويرية)، ناقص الأول؛ وهو نفسه الَّذي تَرجَمه الدكتور آذرشب ملحقاً في آخر تحقيقه لكتاب مفاتيح الأسرار للشهرستانيّ[2]، وكان عنوانه هناك: «هذا مجلس عقده الإمام تاجُ الدين مُحَمَّد بن عبد الكريم الشهرستانيّ (واعتقده واعتمده)، تغمَّده اللهُ بغفرانه».

٢- *ابتداء دولة المغول وخروج جنكيز خان* لقُطْب الدِّين الشِّيرازيّ، وهو بالفارسية، ويشغل الصفحات من (٧٠ - ١٠٣)، وسنتكلم عليه لاحقاً.

٣- *نُكَتٌ لطيفةٌ في العلم والعمل*[3] أو *اللمعة الجُوَيْنيّة* (بالعربية).

---

(١) على ما قرَّره الدكتور آذرشب في مقدمته لكتاب مفاتيح الأسرار. قال الزركلي في الأعلام (٦/ ٢١٥): «من فلاسفة الإسلام. كان إماماً في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة. يُلقَّب بالأفضل. وُلد في شهرستان (بين نيسابور وخوارزم)، وانتقل إلى بغداد سنة ٥١٠ هـ، فأقام ٣ سنين، وعاد إلى بلده وتوفي بها. قال ياقوت في وصفه: «الفيلسوف المتكلم، صاحب التصانيف، كان وافر الفضل، كامل العقل، ولولا تخبطُه في الاعتقاد ومبالغته في نصرة مذاهب الفلاسفة والذبّ عنهم لكان هو الإمام). من كتبه الملل والنحل؛ نهاية الإقدام في علم الكلام؛ مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار؛ مصارعات الفلاسفة...» . وكتبه الأربعة هذه مطبوعة، وطُبع الأخير تحت عنوان مصارعة الفلاسفة.

(٢) انظر: الشهرستانيّ، مفاتيح الأسرار، ٢/ ١٠٦٤ - ١٠٩٠. وقد كُتب في آخر هذه المخطوطة: «نُقِلَ من خط العلّامة الشِّيرازيّ؛ ومع هذا كانت النسخة سقيمة، والحمد لله وحده»، وعبارة قُطْب الدِّين كما نجدها في مخطوطتنا هي: «نُقِل من نسخة منقولة، من نسخة منقولة، من نسخة بخطّ الإمام تاج الدين مُحَمَّد بن عبد الكريم الشهرستانيّ؛ ومع هذا كانت النسخة سقيمة، وأصلحتُ ما أمكن إصلاحُه عند النقل». (ص ٦٩ من الطبعة التصويرية).

(٣) هكذا كتب مؤلِّفُها ابن كَمُّونة في أولها.

وهذا الكتاب من تأليف سعد بن منصور بن سعد، عز الدولة ابن كَمُّونَة اليهوديّ المتوفّى سنة ٣٨٦هـ (الصفحات ١٠٥ - ١٤٤). قال آغا بُزُرْك: إنّه «توجد جملة من تصانيف ابن كَمُّونة في الخزانة الغَرَوِيَّة بخطِّه تواريخها من سنة ٦٧٠ إلى سنة ٦٧٩هـ، ومنها *اللمعة الجُوَيْنيّة*، في الحكمة العلمية والعملية، التي كتبها باسم الصاحب شمس الدين مُحَمَّد بن الصاحب بهاء الدين الجُوَيْنيّ»[١].

٤- *تنقيح الأبحاث في البحث عن الملل الثلاث*، لابن كَمُّونة أيضاً، الصفحات (١٤٥ - ٢٨٤)، وهو بالعربية[٢].

٥- *إفحام اليهود* (بالعربية)، الصفحات (٢٨٦ - ٣١٤)، من تأليف السَّمَوْأَل بن يحيى بن عباس المغربي المتوفّى نحو سنة ٥٧٠هـ[٣]. ورد في مخطوطتنا (ص ٢٨٥): «من أمالي السَّمَوْأَل بن يحيى بن عباس المغربيّ في يوم الجمعة في تاسع ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وخمس مئة».

٦- *نسخةُ مسألةٍ وردت على السَّمَوْأَل من بعض الزنادقة المتفلسفة* (بالعربية)، تأليف السَّمَوْأَل أيضاً، الصفحات (٣١٥ - ٣٢٠).

---

(١) آغا بُزُرْك الطهراني، الذريعة، ٢/ ٢٨٦.

(٢) انظر: كتاب الحوادث، ٤٧٦، عن احتجاجات العوام الَّذين أرادوا قتله بسبب هذا الكتاب.

(٣) نَقَلَ ابنُ أبي اصيبعة (عيون الأنباء،٤٧١) ترجمته من موفق الدّين عبد اللَّطِيف البَغْدَادِيّ وقَالَ: «شَابٌّ بغداديّ كَانَ يَهُودِياً ثُمَّ أسلم وَمَات شَابّاً بمراغة...، وَأقَام بديار بكر وآذربيجان...، وأقَام بِمَدِينَة المَراغة وأولد أَوْلاداً هُنَاكَ سلكوا طَرِيقَته فِي الطِّبّ. وارتحل إِلَى المُوصل وديار بكر وَأسلم فَحسن إِسْلامه وصنّف كتاباً فِي إِظْهَار معايب الْيَهُود وَكذب دعاويهم فِي التَّوْرَاة ومواضع الدَّلِيل على تبديلها وأحكمَ مَا جمعه فِي ذَلِك وَمَات بالمراغة قَرِيبا من سنة سبعين وَخَمْس مِئة».

وقد حُقِّق من هذه المجموعة ثلاثة كتب هي *مجلس في الأخلاق* للشهرستانيّ؛ *ابتداء دولة المغول وخروج جنكيز خان* لقُطْب الدِّين الشِّيرازيّ، طُبِعَ في إيران تحت عنوان *أخبار مغولان در أنبانه قُطْب*؛ *إفحام اليهود* للسَّمَوأل المغربيّ[١].

كتاب ابتداء دولة المغول وخروج جنكيز خان وأهميته

تأتي أهمية هذا الأثر لكون كاتبه قد عاصر أهم الوقائع التي رافقت الغزو المَغُوليّ لعالمنا الإسلاميّ في أشد عنفوانه، عصر هُولاكُو الَّذي شهد اجتياح قلاع الإسماعيلية في إيران وغزو العراق الَّذي انتهى بإسقاط الخلافة العَبَّاسِيَّة.

فيما تتعلَّق بالمصادر الخاصة بهذا الغزو، يقول بارتولد بشأن ما شهده القرنان ١٣ و١٤ الميلاديَّان من ظهور تواريخ باللغة الفارسية: «إنّ أدب التأريخ قد بلغ في إيران شأواً بعيداً في ذلك العصر»[٢]. ويقول الباحث برتشنايدر: «إنّ كتَّابنا نحن الأوربيين في التأريخ الَّذين انبروا لكتابة التأريخ المَغُوليّ قد استندوا بشكل تام تقريباً إلى كتابات المؤرِّخين المسلمين في القرنين ١٣ و ١٤م (٧ و ٨هـ)...، وإنّ المؤرِّخين الصينيين والمغول لم يتمكَّنوا إطلاقاً من أن يقدموا روايات وتفاصيل كتلك التي قدَّمتها الأقلام المقتدرة للمؤرِّخين الإيرانيين»[٣]. وبصورة عامة وفيما يتعلق بتأريخ المغول فإنّ الباحث المعروف في التأريخ المَغُوليّ ديفيد مورغان يقرِّر «أنَّ على كتَّاب التاريخ المَغُوليّ أن تكون لهم معرفة باللغة الفارسية بالدرجة الأولى، ثُمَّ باللغة الصينية»[٤].

(١) طُبِع طبعات متعددة بعنوان بذل المجهود في إفحام اليهود.

(٢) بارتولد، تركستان...، ١٢٦.

(٣) برتشنايدر، إيران وما وراء النهر، ٢٢٠.

(٤) تيموري، إمبراطوري مغول وإيران، ٥٥٠.

وأراني ملزماً بأن أُشير إلى أنَّ فن التاريخ في اللغة العَرَبِيَّة خلال حقبة الحكم المَغُوليّ هو الآخر قد شهد أيضاً غزارة في التأليف، وخصوصاً مدرسة المؤرِّخين البغاددة التي أبدعت من الآثار ما جعل كثيراً من المؤرِّخين الَّذين عاشوا خارج الإطار الجغرافي العراقي يغترفون لسنواتٍ من نمير هذه المدرسة المَنسيَّة. وهي المدرسة التي يتشرف كاتب هذه السطور بأنّه أول مَن أطلق عليها في كتاباته عنوان «المثلَّث الذَّهبيّ لمؤرِّخي بغداد»، الَّذين شكَّلوا ما سمَّيناه «الرواية البَغْدَادِيَّة عن الغزو المَغُوليّ للعراق»، وهي الرواية الحقيقية التي روى مؤرِّخوها الوقائع رأي العين واكتَووا بنارها، تمييزاً لها عن «الرواية الشامية/ المصرية» الزائفة التي استندت إلى الإشاعات وكتبت بأقلام مؤرِّخين جاؤوا بعد واقعة الغزو المَغُوليّ للعراق بعقود، وبعضهم وُلِدَ بعده بقرون، بل لم يصلوا إلى بغداد أمثال الذَّهبيّ وابن كثير وابن شاكر والسُّبْكيّ وابن تَغْري بَرْدي...

المثلَّث الذَّهبيّ لمؤرِّخي بغداد

هم ثلاثة من المؤرِّخين البغداديين المتعاصرين المرتبطين بروابط الرواية عن بعضهم والعمل، وهم بحقّ جيل عمالقة مؤرِّخي بغداد، وقد هُيِّئ لهم من ظروف الكتابة في المجال التأريخي ما ندر أن يُهَيَّأ لغيرهم؛ فقد وُلِدوا في بغداد حاضرة الخلافة وعاشوا في ظل حكوماتها التي حاقت بها الأهوال، وكانوا فيها ساعة اقتحام المغول لمدينتهم ورأوا فظائع ما فعلوه فيها؛ ثُمَّ عاشوا في ظل الحكم المَغُوليّ، وماتوا ودُفنوا في أرض بغداد، بل إنّ أحدهم (ابن الفُوَطِيّ) وقع في أسر المغول هو وأخوه؛ وهؤلاء: عَليّ بن أنجب المعروف بابن الساعي البَغْدَادِيّ الشَّافِعِيّ (٥٩٣ - ٦٧٤هـ)؛ ظهير الدين عَليّ بن مُحَمَّد البَغْدَادِيّ المعروف بابن الكازَرُونيّ الشَّافِعِيّ (٦١١ - ٦٩٧هـ)؛ عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفُوَطِيّ الشيبانيّ البَغْدَادِيّ الحَنبَليّ (٦٤٢ - ٧٢٣هـ).

لقد وفَّر هؤلاء لنا فرصة ذهبية نادرة لمعرفة حقيقة ما جرى في تلك السنوات السُّود، برغم ضياع أغلب مؤلَّفاتهم وامتناع كثير من المؤرِّخين المتأخرين عن النقل ممّا كان بين أيديهم من آثارهم، حين اكتشفوا أنّ ما فيها لا يتفق والرؤية التقليدية التي توارثوها ودأبوا على استنساخها وتَكرارها. لكن المعثور عليه من مؤلَّفاتهم، والشذرات الباقية المتناثرة منها في المصادر، كان كافياً ليقدِّم لنا رواية جديدة متماسكة تنير الكثير من زوايا ظلَّت مظلمة قروناً عديدة بشأن واقعة الاحتلال المَغُوليّ لبغداد.

وإنّما عرَّجنا على ذكر هذه المدرسة لأنّ النص الَّذي كتبه مؤلِّفنا قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ ينتمي إليها، أي «مدرسة المثلث الذَّهَبيّ البَغْدَادِيّ» التي يمكن أن نضع فيها حشداً من المؤرِّخين ممّن اقتبَسوا من كتاباتها أو ساروا على منوالها من أمثال ابن العِبْرِيّ (٦٢٣ - ٦٨٥هـ)، ورشيد الدِّين الهَمَذَانيّ (٦٤٨ - ٧١٨هـ)، وابن الطقطقى (كان حياً حوالي ٧٢٠هـ)[1]، وهِنْدُوشاه النَّخْجَوَانيّ (كان حياً سنة ٧٢٤هـ)...

وفي الوقت الَّذي أدّى فيه لجوء المؤرِّخين الفرس إلى بلاطات الملوك المغول - وخصوصاً مَن أعلن إسلامه مِن إيلخانات إيران - إلى بقاء الكثير من آثارهم وتداولها، فإنّ الغزوات المتتالية على العراق التي استمرت طويلاً بعد الغزو المَغُوليّ، أدت إلى ضياع أغلب آثار مؤرِّخي المدرسة البَغْدَادِيَّة؛ وحتى تلك التي قُيِّض لها أن تصل إلى بلاد الشام، طالتها يد التدمير والإحراق خلال الغزوات المغولية اللاحقة لتلك البلاد. وإذا حدث أن اطَّلع عليها أحد مؤرِّخي «المدرسة الشامية/ المصرية»، فإنّه لم يكن ينقل من أخبارها الخاصة بالغزو المَغُوليّ إلّا القليل ممّا يتوافق ورؤاه الإيديولوجية.

---

(١) استناداً إلى ما حقّقه السيّد علاء الموسويّ في مقدمته لكتاب (المختصر في مشاهير الطالبية والأئمة الاثني عشر لابن الطقطقى، ٨٢ - ٨٤).

عنوان الكتاب

عنوان الكتاب كما كتبه قُطْب الدِّين في أول سطر منه هو *ابتدا دولت مغول وخروج جنكيز خان* (= *ابتداء دولة المغول وظهور جنكيز خان*). ولكن محقق الطبعة الفارسية اختار له عنواناً هو *أخبار مغولان در أنبانه قُطْب*، وترجمته: أخبار المغول ممَّا في جِرَاب القطب، أي قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ. وكأنَّ المحقِّق افترض أنَّ المجموعة الخطية التي كان من بينها هذا الكتاب هي جِرابٌ[1] حوى مجموعة نفائس كان منها هذا الكتاب.

ولدينا معلومة من الذَّهبيّ بشأن تأليف قُطْب الدِّين كتبَه يقول فيها: «إذا صنَّفَ كتاباً [صلَّى] وصامَ ولازمَ السَّهَرَ، ومسوَّدته مبيَّضته»[2]؛ وإنّ المجموعة التي بين أيدينا التي كتبها قُطْب الدِّين بيده دالَّة على صدق ما ذكره الذَّهَبيّ، حيث السرعة في كتابة الكلمات وعدم الاهتمام بتجميل الخط ممّا أدى في مواضع كثيرة إلى صعوبة في قراءة الكلمات، وربما أدى ذلك إلى البعد بالجملة عن معناها الَّذي قَصَدَه المؤلِّف.

ونضرب لذلك مثلاً بما حدث في طبعة الكتاب الفارسية التي حقّقها علم من أبرز أعلام التحقيق في إيران، ونعني بذاك الأستاذ العالِم إيرج أفشار؛ حيث نجد في *أخبار المغول* (ص ٦٥ من المطبوعة، وفي الورقة ٣٩ أ) الجملة التي تضمنت هذا الموضع الَّذي كُتِبَ «تورغاج»، بالصورة الآتية:

---

(١) الجِراب: وعاء من الجلد يُدبغ ويُخاط بصورة تجعله قادراً على أن توضع فيه الأشياء أو الماء ويحمل بعدها في الأسفار على الكتف أو على ظهور الدواب، ويُقال له بالعربية الخُرْج أيضاً، وهذه الكلمة معروفة في عامّيتنا العراقية بلفظيها الجراب والخُرج.

(٢) الذَّهبيّ، ذيل تاريخ الإسلام، ١١٥؛ انظر أيضاً: الصَّفَديّ، أعيان العصر، ٥/ ٤١١؛ ابن حجر العسقلانيّ، الدرر الكامنة، ٤/ ٣٤٠؛ وما بين العضادتين اقتبسناه من التقيّ الفاسيّ (منتخب المختار، ٢٢٣)، الَّذي قال: إنّه نقل من الذَّهَبيّ.

«بعد از آن در تورغاج كه شور وكنكاج كردند...»، وترجمتها: «عقب ذلك وحين حصلت في تورغاج اضطرابات ونقاشات...»؛ وصواب الكلمة هو «يوزآغاج»، وينبغي أنْ تُقرأ الجُملة: «بعد از آن در يوزآغاج هشترود كنكاج كردند...» ، وترجمتها: «عقب ذلك تشاوروا في يوزآغاج من هشترود...» . وكلمة «هشترود» واضحة في المخطوطة سوى أن حرف «د» لم يُكتب في آخر الكلمة[١].

وعلى ذكر الفوائد الجغرافية في الكتاب - وهي كثيرة- فلو أخذنا مثلاً قوله عن شروياز التي يكثر ورودها في الكتاب: «رباط مسلم الواقع في شروياز بين مدينتي أبهر وزنجان»، حيث حدَّد مؤلِّفنا موقع شروياز الَّذي نجده بشكل نادر لدى بعض كتَّاب تلك الحقبة من غير تحديد لموقعها بصورة دقيقة[٢]، سوى ما أتحفنا به رشيد الدِّين بقوله: إنَّ شروياز هي نفسها المرج المعروف باسم قونغور أولانك[٣].

أهمية الكتاب التاريخية

يكتسب كتاب *ابتداء دولة المغول* أهمية خاصة لِما اشتمل عليه من معلومات قد يلتقي بعضها أحياناً بما نعرفه من المصادر الخاصة بالتاريخ المَغُوليّ وخصوصاً *جامع التواريخ* لرشيد الدِّين، لكن بعضها الآخر هو ممّا تفرَّد قُطْب الدِّين بذكره.

ولا عجب في ذلك فالرجل قد عاصر الحملة المغولية بقيادة هُولاكُو على قلاع الإسماعيلية في إيران ثُمَّ هجومه على العراق، وهي الحملة التي كلَّفه بها أخوه مُنْكو قاآن، بل هو يتحدَّث عن مهارة هُولاكُو في إدارة البلاد فيقول:

---

(١) وقد عرَّفنا بهذه المدينة في الموضع الَّذي ذُكرت فيه في آخر الكتاب.

(٢) انظر مثلاً: وصَّاف الحَضْرَة، تجزية الأمصار (تحرير آيتي)، ١٧٩؛ ابن الفُوَطِيّ، تلخيص مجمع الآداب، ١/ ٥١٣، ٥/ ٧٨.

(٣) انظر: رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧٥٥، وسنعرِّف بهذا الموضع لاحقاً.

«شاهدنا في بلاطه مراراً أنَّ أعمال هذه الولايات تُعرَض عليه في يوم واحد»[١].

لا نعلم متى التحق ببلاط هُولاكُو لكنه قدَّمَ تفاصيل مهمة عن بدايات الحملة المغوليَّة والحكام المسلمين الَّذين ساهموا فيها بإرسال الجيوش أو التجهيزات والمعدات الحربية واللوجستية، وانطلقوا مع هُولاكُو للهجوم على العراق سنة ٦٥٦هـ وأسقطوا الخلافة العَبَّاسِيَّة، وساهموا مساهمة فعّالة في قتل سكان بغداد وبعض مناطق العراق.

على أن نشير هنا إلى الدور السلبي الَّذي قام به بعض رجال الدين في تحريض المغول على بلاد المسلمين:

أشهر مَن عرف من هؤلاء المحرِّضين اثنان، الأب وهو قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن عبد الحميد القَزْوينيّ الشَّافِعِيّ، ونجله - وهو قاضي القضاة أيضاً- رضي الدين محمّد، و«كانا صاحبي جلالٍ وثروة هائلة وشغلا منصب قاضي قضاة عراق العجم[٢]، ودَعَوَا هُولاكُو خان إلى دفع شَرِّ الملاحدة الملاعين؛ وقد بذلا جهوداً مضنية في هذا السبيل إلى أن تمكَّنا من اقتلاع أولئك الملاعين وأنقذا سكَّانَ العالَم من شرِّهم، جزاهما اللهُ خيراً»[٣].

كان أهل قزوين آنذاك في صراع طويل مرير مع الإسماعيلية المجاورين لمدينتهم[٤].

---

(١) قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ، ابتدا دولت مغول، الورقة ٢٤ ب.

(٢) عراق العجم: تسمية قديمة أُطلقت على المنطقة الواقعة بين أصفهان وهمذان وطهران، وتشتمل على المدن: كرمانشاه، همذان، ملاير، أراك، كلبايكان، أصفهان (معين، فرهنك فارسي)، ووضع هذا الاسم تمييزاً له عن عراقنا المعروف الَّذي يسمُّونه عراق العرب.

(٣) كما يقول مواطنُهما حَمْدُ الله المُسْتَوفي القَزْوينيّ في (تأريخ گزيده، ٨١١). والملاحدة مصطلح يُعبَّر به آنذاك عن أتباع المذهب الإسماعيلي.

(٤) عن هذا الصراع، انظر: ابن الطِّقْطَقَى، الفخري، ٣١؛ مِنْهَاج سِرَاج، طبقات ناصري، ٢/ ١٨١.

لكنَّ هذين القاضيين أقدما على خطوة خطيرة حين حرَّضا الملك المَغُولِيّ مُنْكو قاآن على غزو مدن الإسماعيلية وقلاعهم وهو ما استجاب له، حيث نال هذا الدعم المعنويّ والشرعي الإسلاميّ لحملته.

إنّ أقرب المؤرِّخين زمنياً من هذا اللقاء كان مِنْهَاج سِرَاج الجَوْزَجَانيّ، برغم أنَّ آخرين قد ذكروه أيضاً[١]، لكن ابن خلدون قال: «ووفد عليه (على مُنْكو قاآن) جماعة من أهل قزوين وبلاد الجبل يشكون ما نزل بهم من ضرر الإسماعيلية وفسادهم فجهَّزَ أخاه هلاكو لقتالهم واستئصال قلاعهم»[٢].

إنَّ هذا يعنى أنَّ هذين الاثنين كانا في ضمن وفدٍ قزويني، أو أنَّ هذا الوفد ذهب بشكل مستقل عنهما.

يقول المؤرِّخ مِنْهَاج سِرَاج[٣]:

«كان القاضي شمس الدين القَزْوينيّ إماماً وعالماً مرموقاً، سافر عدة مرات إلى بلاد الخِطا وتحمَّل النَّصَبَ ومفارقة الأوطان، إلى أن تسنَّم مُنْكو قاآن العرشَ، فذهب إليه مستغيثاً، وشرح له شرور الملاحدة وإفسادهم في بلاد الإسلام.

---

(١) ممّن ذكر هذا اللقاء التحريضيّ: ابن الطِّقْطَقَى في الفخري، ٣١؛ رشيد الدِّين في جامع التواريخ، الطبعة الفارسية، ٢/ ٦٨٤ - ٦٨٥، وفي ٢(١)/ ٢٣٣ من التَّرْجَمَة العَرَبِيَّة؛ حَمْدُ الله المُسْتَوفي القَزْوينيّ في تأريخ گزيده، ٨١١، وفي ملحمته الشعرية ظفر نامه التي نشر الأستاذ عناية الله مجيدي المقاطع الخاصَّة منها بغزو قلاع الإسماعيلية وفيها خبر اللقاء المذكور(انظر: ميمون دز أَلَموت، ١٧٥ - ٢٠٢)؛ مير خواند في روضة الصفاء، المجلد الخامس/ الورقة ٢٦٩، ٢٨٠؛ خواند مير في حبيب السير، المجلد الثالث/ الورقة ٢٦أ.

(٢) ابن خلدون، العبر، ٥/ ٥٢٩.

(٣) لَقَّبَ مِنْهَاج سِرَاج نفسَه بـ«الناصر لأهل السُّنَّة والجماعة» (انظر: طبقات ناصري، ١/ ٦).

وقد تحدَّث في البلاط منطلقاً من صلابة الإنسان المسلم ودينه بلهجة جافة أثارت حفيظة مُنكو قاآن بحيث استولى عليه الغضب وغرور السلطة، ووَصَفَ إدارتَه الملكية للبلاد بالعجز والضعف.

فقال مُنكو قاآن: تُرى أيَّ عجزٍ شاهده القاضي في مملكتنا بحيث تفوَّه بهذا النوع من الكلمات القاسية؟ قال القاضي شمس الدين: وكيف يكون العَجْز بحيث شيَّد جمعٌ من الملاحدة عدَّة قلاع، وهم يعتنقون ديناً يغاير الديانة النصرانيَّة ويغاير دين المسلمين والمغول، وهم يخدعونك بدفعهم مالاً إليك، بينما هم يتحيَّنون الفرصة لظهور أدنى أمارة من أمارات الضعف في دولتك لينـدفعوا من بين الجبال والقلاع ويقضوا على البقية الباقية من أهل الإسلام ولا يَدَعُوا للإسلام أثراً؟.

لقد أهاجت هذه الكلمات غضب مُنكو قاآن فأمَرَ باجتثاث جذورِ قلاعِ وبلادِ الملاحدة وقهستان[1] وأَلَمُوت[2].

تحرَّكت جيوشُ تركستان التي في بلاد إيران والعجم، من خراسان والعراق إلى بلادِ قهستان وقلاعِ أَلَمُوت.

---

(١) قهستان أو كُهستان أو كوهستان: اسم ولاية كانت قديماً في القسم الجنوبي من خراسان، تقع بين يزد وخراسان (انظر: معين، فَرْهَنْك فارسي)، كان فيها ما يزيد على خمسين قلعة حصينة للإسماعيلية (انظر: الجويني، تاريخ جَهَانْكُشَا، ٣/ ٧١٣).

(٢) آلُه: العُقاب، أموت: العُش، فالمعنى عُشُّ العُقَاب، تبعد حوالي ٣٥ كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من مدينة قزوين (دفتري، معجم التاريخ الإسماعيلي، ٩١)؛ وهي قلعة للإسماعيلية النِّزارية، ظلت مدة طويلة مقراً للزعيم الإسماعيلي الحسن الصَّبَّاح وأتباعه ومركزاً لإدارة عملياتهم (معين، فَرْهَنْك فارسي). كما كانت المنطقة التي تقع فيها هذه القلعة تدعى ألموت.

وفَتَحَتْ هذه الجيوش في ١٠ سنين أو أكثر جميعَ المدن والقلاع، وأَعمَلَتِ السيفَ في جميع الملاحدة سوى النساء والأطفال[١]، وأرسَلَتِ الباقين جميعاً إلى الجحيم، وتحقَّقت آيةُ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾»[٢].

وسيذكر مؤلِّفُنا أسماء حكّام مسلمين آخرين دعموا هولاكو في حملته على إخوانهم المسلمين، فضلاً عن حكّام غير مسلمين[٣].

هذه هي الحقيقة المُرة التي دعت الدكتور سعد الغامديّ إلى القول: «من الخطأ أن نقول بأنّ سقوط بغداد ونهاية الدولة العَبَّاسِيَّة كان قد قام به المغول فقط، إذْ أنّه لولا تعاون ومشاركة أولئك المسلمين في الإطاحة بحكومة العباسيين، لوجدَ المغولُ من الصعب جداً أن يحقِّقوا ما حقَّقوه في حملتهم تلك، ولربما أخذت مجريات الأحداث التاريخية سبيلاً غير السبيل الَّذي نعرفه»[٤].

---

(١) استناداً إلى النصوص التاريخية فإنَّ القتل شمل النساء والأطفال أيضاً بأبشع صوره في هجوم المغول الوحشي، ولم يرحموا أحداً، بل فعلوا في مدينة قزوين، مدينة هذين القاضيين ما تشيب لهوله وقسوته الرؤوس وتدمى القلوب (انظر تفاصيل ذلك لدى الجُوَيْنيّ، تاريخ جَهَانْكُشَاي ، ٢/ ٥٧٩، وفي تَرْجَمَة هذا الكتاب إلى العَرَبِيَّة المعنونة تاريخ فاتح العالم، ٢/ ١٧٤ - ١٧٥). وقزوين مدينة سُنِّيَّة يقول المواطن القَزْوينيّ حمدُ الله المستوفي: «إنّ أهلها شافعية بأسرهم وليس فيها من الحَنَفيّة إلّا ما يعادل الواحد بالألف من سكانها» (انظر: نوائي، مقدمته لكتاب تاريخ گزيده، ص (يج)، نقلاً من مخطوطة ظفرنامه للمستوفي أيضاً).

(٢) مِنْهَاج سِرَاج، طبقات ناصري، ٢/ ١٨١ - ١٨٢. والآية من سورة الأنعام الرقم ١٢٩.

(٣) عن هؤلاء جميعاً وأدوارهم في تلك الحملة، انظر كتابنا إعادة كتابة التاريخ، الغزو المَغُوليّ للعراق أنموذجاً (الطبعة الثانية)، ١٩ - ٢٣، ٩٤ - ٩٧.

(٤) الغامدي، سقوط الدولة العَبَّاسِيَّة، ٣٦٩.

ففي الجانب المَغُولِيّ بقيادة هُولاكُو: جيوش تُحشَّد من كلّ مكان، وأسلحة ومعدات كان بعضها قد جُهِّز بواسطة الحكّام المسلمين كما حدث عندما أمدَّ بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل الجيش المغولي بما يحتاجه لغزو العراق(١). وقد قدَّر أحد مواطني بغداد آنذاك جميع أفراد جيش هولاكو الزاحفين على المدينة بمئتي ألف مقاتل، وقال: إنّ عدد أفراد الجيش العبَّاسيّ بقيادة الدُّوَيْدار الصغير كان «دون العشرة آلاف»(٢). بل إنّ مواطناً بغدادياً آخر قال: إنّه «دون سبعة آلاف فارس وجُلُّهم ليس بنافع»(٣).

لكن ماذا نرى على الجانب الآخر في البلاط العَبَّاسيّ، وهو أمر يهمنا لكون العراقيين ذاقوا ويلات هذا الغزو، ولكون مؤلِّفنا قُطْب الدِّين قد تناول هذا الغزو في كتابه؟

سنجد الخليفة المستعصم بالله بن المستنصر بالله الحَنْبَلِيّ(٤) (حكم خلال السنوات ٦٤٠ - ٦٥٦هـ)، منهمكاً بالطيور وإقامة المسابقات الخاصة بها، وقد قرَّب بعض الأشخاص في بلاطه لكونهم على معرفة بالطيور وأنواعها(٥).

---

(١) كان بدرُ الدين لؤلؤ والدَ زوجة الدويدار الصغير القائد العام للقوات المسلحة العَبَّاسِيَّة.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٣/ ١٨٢.

(٣) الحسني العلوي، «التحفة في نظم أصول الأنساب»، الورقة ٢٤٦. نقل هذا النص عباس العزاوي في (تأريخ العراق بين احتلالين، ٣/ ١١ (الملحق الثاني)» عن العلّامة الدكتور مصطفى جواد؛ قدَّره منهاج سراج أيضاً بـ ٢٠٠ ألف (انظر: طبقات ناصري، ١/ ١٩٥)؛ عن أعداد الجيش المغولي المنطلق من منغوليا عند بدء الغزو، انظر: مجيدي، ميمون دِز ألموت، ١١٨.

(٤) «تفقَّه على مذهب أَحمد، وتَشَبَّهَ في أَوَّلِهِ في كلِّ ما هو أَحمد» (ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٢٤/ ٢٤٤).

(٥) انظر: ابن الفُوَطِيّ، تلخيص مجمع الآداب، ٤/ ٢٧٤؛ مجهول، كتاب الحوادث، ٤٤٣.

قال المؤرِّخ النخجوانيّ: «إنَّ خاصَّته كانوا من أراذل العوام»[١]. وفي الوقت الَّذي كان فيه شحيحاً على الجنود حتى دعاهم الجوع إلى الاستجداء، كان سخيًّاً مع المطربين والعازفين والراقصات[٢]، و«كان مغرَماً بسماع الملاهي، محبّاً للهو واللعب، يبلغه أنّ مغنِّيةً أو صاحبَ طربٍ في بلدٍ من البلاد فيراسل سلطانَ ذلك البلد في طَلَبِه»[٣].

تحدَّث نسَّابة عاش في بغداد آنذاك عن «المستعصم وتَغَفُّله وتَخَلُّفه ما إذا نزلَ التترُ على بعقوبة على سبعة أميال فما حولَها من بغداد وهو مقبلٌ على لذَّاته ولهوِه؛ ومَن تفوَّه بمجيء التتار عُوقب، وربما ذُكِرَ أنّه قَتَلَ بعضَ مَن تفوَّه بذلك»[٤].

ويقول ابن العبري: «كان إذا نُبِّهَ على ما ينبغي أن يفعله في أمر التتار: إمَّا المداراة والدخول في طاعتهم وتوخِّي مرضاتهم؛ أو تجييش العساكر وملتقاهم بتخوم خراسان قبلَ تمكُّنهم واستيلائهم على العراق، فكان يقول: أنا بغداد تكفيني ولا يستكثرونها لي إذا نَزَلْتُ لهم عن باقي البلاد، ولا أيضاً يهجمون عَليّ وأنا بها وهي بيتي ودار مقامي»[٥].

ونُقل أيضاً عنه قوله: «إنَّ بغداد هي تَخْتُنَا ولن يدخلوها ما لم نأذَنْ لهم»[٦].

---

(١) هِنْدُوشاه النَّخْجَوَانيّ، تجارب السلف، ٣٥٤.

(٢) انظر: العمري، مسالك الأبصار، ١٠/ ٣٥٦؛ ابن الطِّقْطَقَى، الفخري، ٣٣٣؛ هِنْدُوشاه النَّخْجَوَانيّ، تجارب السلف، ٣٥٤؛ فارمر، تأريخ الموسيقى العَرَبِيَّة، ٢٦٨.

(٣) سبط ابن قنينو، خلاصة الذهب المسبوك في مختصر سير الملوك، ٢١٥.

(٤) الحسنيّ العلويّ، «التحفة في نظم أصول الأنساب»، الورقة ٢٤٦. نقل هذا النص عباس العزاويّ في (تأريخ العراق بين احتلالين، ٣/ ١١ (الملحق الثاني)» عن الدكتور جواد.

(٥) ابن العِبْرِيّ، تأريخ مختصر الدول، ٤٤٥ - ٤٤٦.

(٦) ابن العِبْرِيّ، تأريخ الزَّمَان، ٢٨٨ - ٢٨٩. التَّخْت: فارسية وتعني مقرّ المُلْك.

وكان الشريف ابن الصلايا العلويّ الوالي المخلص للخليفة على مدينة أربيل «يسيِّر إلى الخليفة ويحذِّره من التتر وهو غافل لا يجدي فيه التحذير ولا يوقظه التنبيه»[(١)]؛ والسبب كما يقول النخجواني أنَّ الخليفة «كان منشغلاً في أكثر الأوقات باللهو والصيد، وكان غافلاً عن إدارة شؤون البلاد والرعية، وكان مؤيد الدين ابن العَلْقَمِيّ يواصل تقديم التقارير المتضمنة لتنبيهه والتحذير له، لكن الخليفة لم يتنبَّه إلى شيء وازداد غفلةً»[(٢)]. بل لقد كانت هناك خطة لوقف تقدُّم هُولاكُو نحو العراق اقترحها حسام الدين عكَّة حاكم دَرْتَنْك وما حولها[(٣)]، المعَيَّن مِن قِبَل الخليفة، أبلغها إلى حاكم أربيل ابن الصلايا العلوي المعَيَّن مِن الخليفة أيضاً، وشَرَحها بقوله: إنَّ بمقدوري أن أجمع مئة ألف مقاتل من الكُرْد والتُّركمان ليسدُّوا الطريق بوجه جيش هُولاكُو، ولن أدَعَ أيَّ مخلوق يصل إلى بغداد، لو أنَّ الخليفة تعاون معي وثبَّتَ فؤادي وأرسل ما لديه من الفرسان.

وقد أبلغ ابن الصلايا تلك الخطة إلى الوزير ابن العَلْقَمِيّ الَّذي ذهب إلى الخليفة وعرضها عليه لكنه لم يُعِرْها اهتماماً.

---

(١) ابن واصل، مفرج الكروب، ٦/ ٢١٥؛ هذا النَّص موجود أيضاً في ذيل مرآة الزَّمَان (١/ ٨٧)؛ وتأريخ الإسلام للذهبي (٤٨/ ٣٥): «كان ابن صلايا نائب إربل يحذر الخليفة ويحرِّك عزمه، والخليفة لا يتحرك ولا يستيقظ»؛ وعيون التواريخ، ٢٠/ ١٣٢).

(٢) هِنْدُوشاه النَّخْجَوَانيّ، تجارب السلف، ٣٥٦ .

(٣) درتنك: هي مدينة حُلْوان (تعاليق الدكتور طبيبي على كتاب تحفه ناصري، ٤٦٣)، يقول حمدُ الله المستوفي عنها (نزهة القلوب، ٢٨): «الحَدُّ الَّذي يبدأ منها عُرض العراق لينتهي بالقادسية المحاذية لصحراء نجد»؛ وهذا دالٌّ على سعة المساحة التي كان يمكن أن تشتِّت جهد القوات المغولية لو أنَّ الخليفة وافق على تلك الخطة.

وقد وصلت أنباء هذه المراسلات إلى مسامع هُولاكُو فاستعمل الحيلة لإلقاء القبض على حسام الدين وقتْله[١]، ثُمَّ أضمر الشر لحاكم أربيل (ابن الصلايا)، وتمكَّن من قتْلِه بعد احتلال بغداد حيث خَدَعه بدر الدين لؤلؤ وجاء به إلى هُولاكُو[٢].

كما لم يكن المستعصم أميناً، فقد أودع لديه الملك الناصر الأيوبي ملك الكَرَك[٣] وديعة قُدّرت بمئة ألف دينار من الحلي والمجوهرات[٤] حين حلَّ ضيفاً عليه في بغداد بعد خلافه مع أُسرته في الشام، وحين طالبه بها ماطلَ وسوَّف في قصة طويلة، بل إنّه مَنَعَه من دخول بغداد بعد ذلك[٥]؛ وأخيراً قال له: إنّه قد استضافه في بغداد عند زيارته له، وإنّه أنفق عليه مبالغ ضخمة، ثُمَّ كتب قائمة بنفقات الضيافة بأسعار مضاعفة أضعافاً، احتسب فيها حتى الخبز وعلف الدوابّ بل حتى الحطب الَّذي أُشعلت به قدور الطعام[٦].

---

(١) انظر: رشيد الدِّين الهمذاني، جامع التواريخ، ٢/ ٧٠٥.

(٢) أخبار مقتله وتحريض لؤلؤ على قتله لدى: ابن واصل، مفرج الكروب، ٥/ ٥٠، ٦/ ٢٤٤ - ٢٤٥؛ ابن الجَزَرِيّ، تاريخ حوادث الزَّمَان (اختيار الذهبي)، ٢٤٧؛ الذهبي، العبر، ٥/ ٢٣٦؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٢٧/ ٢٤٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٥/ ٨٨؛ ابن شاكر، عيون التواريخ، ٢٠/ ٢٠٣ - ٢٠٤. «وبنو الصلايا من الأسر العلوية الجليلة» كما يقول ابن عِنَبَة في عمدة الطالب (٣٥٠)؛ لتفاصيل أوفى، انظر: الهادي، إعادة كتابة التاريخ، ١٤٨ - ١٤٩.

(٣) هو الناصر صلاح الدين أبو المفاخر داود بن عيسى بن مُحَمَّد بن أيوب الأيوبي الحَنَفيّ.

(٤) انظر مثلاً: الزركشي، عقود الجمان، الورقة ١١٢أ؛ وقدَّرها قرطاي العزي في (تاريخ مجموع النوادر، ٩٩) بخمسين ألف دينار.

(٥) انظر: قرطاي العزي، تاريخ مجموع النوادر، ٩.

(٦) انظر: اليونيني، ذيل مرآة الزَّمَان، ١/ ١٧٢؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ٣/ ١٩١؛ ابن فضل الله، مسالك الأبصار، ٢٧/ ٢٤٠؛ العليمي، الأنس الجليل، ٢/ ١٠.

وهكذا ابتلع الخليفة تلك الوديعة، ولم يرها الملك الناصر بعدها[١]، وانتشرت هذه الفضيحة في العالمين[٢]. وحين صحا من غفلته عندما كان المغول يطوقون بغداد وخصّص مبلغاً من المال لتشكيل قوة من الرماة للدفاع عن بغداد، بادر الأعيان وأعوان الديوان إلى صرف القليل منه في هذا السبيل وسرقوا أغلب الباقي[٣].

ومن مطالعة سيرة هذا الخليفة نجد أنّه لم يكن يعبأ بمواطنيه ولا يدرك تبعات ما هو مُقْدِم عليه، فقد حدث مرةً أن قُتل شابٌ من منطقة قطفتا ببغداد (وهي محلة سُنّيَّة)، وجاء المقرّبون منه واتَّهموا أهل جانب الكرخ من بغداد بقتله وقدموا تقريراً مبالغاً فيه حول الحادث و«أطنبوا في ذمّ أهل الكَرْخ»[٤]. والكرخ «إحدى المحالّ العَرَبِيَّة، يوُصَف أهلُها باللطف والرِّقَّة في الطباع؛ وهي مشهورة بسكنى الشِّيعَة»[٥]، وهم رافضة كما يسميهم متشددو الحنابلة آنذاك.

---

(١) انظر: ابن الشحنة، روض المناظر، الورقة ١٣٧أ.

(٢) انظر: أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ٢/ ١٧٩، ٣/ ١٨٧، ١٩١؛ الزركشي، عقود الجمان، الورقة ١١٢ب؛ قرطاي العزي، تاريخ مجموع النوادر، ٩٩ - ١٠٠؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٦/ ٧٨، ١٨٣ - ١٨٦، ١٩١ - ١٩٣؛ اليونيني، ذيل مرآة الزَّمَان، ١/ ١٣، ١٧٢؛ ابن فضل الله، مسالك الأبصار، ٢٧/ ٢٣٩؛ ابن سباط، صدق الأخبار، ٣٦٦؛ المقريزي، الذهب المسبوك، ١١٢ - ١١٣؛ العَيْنيّ، عقد الجمان (حوادث وتراجم ٦٤٨ - ٦٦٤هـ)، ١٢٠؛ ابن أبي عذيبة، إنسان العيون، ٣٣٧ - ٣٣٨؛ ابن الوردي، تأريخ، ٢/ ١٧٦؛ الذَّهَبيّ، تاريخ الإسلام، ٤٨/ ٢٦، سير أعلام النبلاء، ٢٣/ ٣٨٠؛ ابن شاكر الكتبي، عيون التواريخ، ٢٠/ ٩٣ - ٩٤، فوات الوفيات، ١/ ٥٨٠؛ الصَّفَديّ، تحفة ذوي الألباب، ٢/ ١١٥؛ ابن الحريري، منتخب الزَّمَان، ٢/ ٣٤٧.

(٣) انظر: ابن الكازَرُونيّ، مختصر التأريخ، ٢٧٢.

(٤) الأشرف الغساني، العسجد المسبوك، ٦٢١.

(٥) ابن باطيش، التمييز والفصل، ١/ ٤٣١. كان ابن باطيش قد عاش في بغداد إبّان تلك الحقبة.

وكان خطيب الحنابلة يلعن بإذن من المستعصم الشِّيعَةَ الإماميةَ على المنبر[١]، ولـذا استسهل الخليفة أن يصدر أمراً بتأديب أهل الكرخ بأن يهاجم الجيشُ بقيادة الدويدار وهو حنبلي ونجل الخليفة وهو حنبلي أيضاً، الجانبَ الغربي من بغداد (الكرخَ) فبادرا إلى اجتياحه مع العوام واستباحته، حيث «ركب الجند إليهم وتبعهم العوام ونهبوا محلة الكَرْخ وأحرقوا عدة مواضع وسبوا كثيراً من النساء والعلويات الخَفِرات وسفكوا الدماء وعملوا كلّ منكر...»[٢]. ووصف المؤرِّخ المكين جرجس الحال بقوله: «إنّ الخليفة المستعصم بالله أمر بنهب الكَرْخ وجميعُه من شيعة عَليّ بن أبي طالب، فنهبهم العوام وأخذوا أموالهم وجميع نعمتهم ونسوانهم وأولادهم، وأباعوا بناتهم»[٣].

---

(١) هذا الخطيب هو الإمام الحَنْبَلِيّ المعروف بابن الشقاق الواعظ، ويعرف بابن أخت أبي صالح الحَنْبَلِيّ (انظر: ابن الفُوَطِيّ، تلخيص مجمع الآداب، ٥/ ٩٨).

(٢) من المؤرِّخين الَّذين أوردوا أخبار استباحة الجيش العَبَّاسيّ والعوام للكرخ وانتهاك حرمات أهله: مجهول، كتاب الحوادث، ٣٣١؛ الذَّهَبِيّ، تأريخ الإسلام، ٤٨/ ٢٣. وردت استباحة الكَرْخ وانتهاك حرمات أهله أيضاً لدى: مِنْهَاج سِرَاج، طبقات ناصري (٢/ ١٩١) بلا تفاصيل؛ مختصر أخبار الخلفاء المنسوب إلى ابن الساعي وهو ليس له جزماً (ص ١٢٦)؛ العَيْنِيّ، عقد الجمان، ١٧٠ (حوادث ٦٤٨ - ٦٦٤هـ)؛ الأشرف الغساني، العسجد المسبوك، ٦٢١؛ المكين جرجس، أخبار الأيوبيين، ١٦٧؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٦/ ٢١٤؛ اليونيني، ذيل مرآة الزَّمَان، ١/ ٨٦؛ وصَّاف الحَضْرَة، تجزية الأمصار، الورقتان ٣٦، ٣٧؛ مير خواند، روضة الصفاء، ٥/ الورقة٢٨٢؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ٣/ ١٩٣؛ ابن شاكر، عيون التواريخ، ٢٠/ ١٣١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/ ٢٢٨ - ٢٢٩، انظر أيضاً: ١٣/ ٢٣٤؛ القَلْقَشَنْديّ، مآثر الإنافة، ٢/ ٩٠؛ السُّبكيّ، طبقات الشَّافِعِيَّة الكبرى، ٨/ ٢٦٣؛ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٣/ ٥٣٧؛ وغيرهم.

(٣) المكين جرجس، أخبار الأيوبيين، ١٦٧. وفي تاج العروس للزبيدي: «أبعتُهُ إباعةً: عَرَضْتُهُ للبَيْع».

وكان لا بدَّ لأعمال كهذه من أن تفتِّت الجبهة الداخلية للبلاد التي يحكمها خليفة عابث كالمستعصم.

لكن حين جاء المغول وطوَّقوا بغداد كان عدد أفراد الجيش غير كافٍ للمواجهة، فضلاً عن نقص في المعدات والتجهيزات، وفقر في الخطط الحربية بحيث وقع الجيش العَبَّاسيّ في كمين مغولي أدى إلى إبادة أغلب أفراده. بعد هذه الهزيمة المؤلمة التي حلَّت بالجيش العَبَّاسيّ عاد الدويدار الصغير إلى بغداد ليطلع الخليفة على تطورات الموقف، فوجده جالساً في أحد أروقة القصر وبين يديه جارية تُدعى عَرَفَة تؤدي إحدى رقصاتها[1]؛ وقد حاول الدويدار الصغير الهروب من بغداد بأمواله ومدَّخراته وبعض حاشيته في سفن بنهر دجلة لكن المغول أطلقوا عليه «حجارةَ المنجنيق والسهامَ وقواريرَ النفط واستولوا على ثلاث سفن وأهلكوا مَن فيها، وعاد الدواتدار منهزماً»[2]. ويقول ابن الفُوَطِيّ: إنّه «أَخَذَ الأموالَ والجواهر وأراد أن ينحدر في سفينة، فاستولى المغولُ عليها»[3].

أمّا المواطنون، فحين اجتاح المغول العراق لم يميزوا بين مواطنيه على أسس طائفية، و«راح تحت السيفِ الرافضةُ والسُّنةُ وأممٌ لا يُحصون»[4].

---

(١) انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ٣٥٥؛ وردت هذه الواقعة في عيون التواريخ لابن شاكر، ٢٠/ ١٣٣؛ والبداية والنهاية لابن كثير، ١٣/ ٢٣٣؛ وعقد الجمان للعيني (ص ١٧١، الجزء الخاص بحوادث السنوات ٦٤٨ - ٦٦٤هـ).

(٢) رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧١١.

(٣) تلخيص مجمع الآداب، ٤/ ٦٩.

(٤) كما يقول الذَّهَبيّ في تاريخ الإسلام، ٤٨/ ٣٧؛ انظر أيضاً: النجوم الزاهرة، ٧/ ٥٠.

وأخيراً استسلم الخليفة وساق معه حشداً من الوجهاء والعلماء لإظهار هيبته، فذبحهم المغول جميعاً، ثُمَّ دخل المغول بغداد وسأله هُولاكُو أن يدلّه على كنوزه التي تحت الأرض «فاعترف الخليفة بوجود حوض مملوء بالذهب في ساحة القصر، فحفروا فوجدوه ملآنَ بالذهب الأحمر، وكلُّه سبائك تزن الوحدة مئة مثقال.

ثُمَّ أَمرَ هُولاكُو بإحصاء نساء الخليفة فعدُّوا سبعَ مئة زوجة وسُرِّيَّة وألفَ فلمّا اطَّلَعَ الخليفةُ على تعداد نسائه تضرَّع فقال لهولاكو: مُنَّ عَليّ بأهل حَرَمي اللائي لم تطلع عليهنَّ الشمسُ ولا القمر. فقال له هُولاكُو: اخترْ مئةً من هذه النساء السبع مئة واترك الباقي. فأخرجَ الخليفةُ معه مئةَ امرأة من أقاربه والمحبَّبات إليه»[٢]. ومن الواضح أنّ هُولاكُو كان يسخر من الخليفة[٣].

انتهى كلُّ شيء؛ قُتل الخليفة وسُبيت حشود نساء القصر من شتى الطبقات، ونصادف في ٦٦١هـ بنتاً لأحد كبار قادة الجيش العَبَّاسيّ تعيش سبيَّة في مدينة هراة، على بعد آلاف الكيلومترات من وطنها بغداد وقد حدثت بشأنها منافسة بين اثنين من أمراء المدينة، كلٌّ يريد أن يستحوذ عليها[٤].

---

(١) في تأريخ مختصر الدول، ٤٧٥: «أَمَرَ هولاكو الخليفةَ أن يفرز جميعَ النساء اللائي باشَرَهُنَّ هو وبنوه ويعزلهنَّ عن غيرهن ففعل، فكنَّ ٧٠٠ امرأة، فأخرجهنَّ ومعهنَّ ٣٠٠ خادم خصيّ».

(٢) رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧١٣؛ ابن العِبْرِيّ، تأريخ مختصر الدول، ٤٧٥.

(٣) انظر ملخصاً وافياً عن الغزو المَغُوليّ للعراق في كتابنا إعادة كتابة التاريخ، ٧ - ٢٠٤.

(٤) سيف الهروي، تاريخ نامه هراة، ٢٧٣، وقال سيف عنها: «إنَّها في غاية الملاحة والجمال». وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون أن أصبح مصير تلك الفتاة النبيلة بيد اثنين من حثالة البشر القُساة.

نصَّان، قطبيّ ورشيديّ

يثير التشابه في بعض النصوص لدى قُطْب الدِّين الشّيرازيّ (٦٣٤ - ٧١٠هـ) بما ورد في كتابات رشيد الدِّين الهَمَذَانيّ(٦٤٨ - ٧١٨هـ)، إلى حدِّ التطابق في الألفاظ، تساؤلاً علمياً عن السبب في ذلك. خصوصاً وإنّنا نعتقد - بحكم تعاملنا الطويل مع نصوص المدرسة البَغْدَادِيَّة حول الغزو المَغُوليّ - أنّ كِلا المؤرِّخَينِ (قُطْب الدِّين ورشيد الدِّين) يستند في نُقوله إلى نصوص المدرسة البَغْدَادِيَّة؛ مع عدم إغفال مشاهداتهما الشخصية للوقائع، وهو أمر يجعل كلًّا منهما يتفرَّد برواية أخبار خاصة به.

لنضرب مثلاً بالنص الخاص بالخطة الذكية التي دبَّرها جلال الدين نجل الدويدار الصغير الَّذي غَدَرَ هُولاكُو بأبيه وقتله بعد استسلامه خلال اجتياحه بغداد سنة ٦٥٦هـ، الخطة التي أوصلته وأسرته إلى بلاد الشام؛ وسنضع في حقلين متجاورين النصّ «القطبيّ» إلى جوار النص «الرشيديّ»، لنستخلص ما يمكن استخلاصه، وسننقل النصّين بلغتهما الأصلية لكون التَرْجَمَة لا تعطي ما نريد إثباته من خلال المقارنة اللفظية، مذكِّرين بأنّ النصّ القطبيّ مترجَم إلى العَرَبِيَّة بتمامه في كتابه الَّذي بين أيدينا:

قُطْب الدِّين الشّيرازيّ	رشيد الدِّين الهَمَذَانيّ
* پسر دواتدار كوچك را كه اين پسر را جلال الدين مي گفتند بركشيده بود وبزرگ كرده، واو خويشتن را چنان فرانموده كه در همه ممالك ولشكر هُولاكُو ازو مشفق تر وراست گوى تر نيست.	* وجلال الدين پسر دواتدار كوچك را بر كشيده بود وبزرگ گردانيده واو خود را در نظر پادشاه چنان فرانموده كه در همه الوس پادشاه را ازو مشفق تر كسى نيست.

* این جلال تقریر کرد که در ولایت خلیفة هنوز چند هزار تُرْك قفجاق هست که هم راه دان اند وهم شیوه آن ولایت دانند. اگر پادشاه فرمان دهد بروم ایشان را بیاورم، تا چون به جنگ برکه رجعت فرمایی ایشان را بیاورم وپیش روی کنند ووقوف دهند [یوجد هنا ٢٠ سطراً تقریباً من الوقائع ینفرد بها قُطْب الدِّین، ثُمَّ یتصل الکلام لیتطابق ثانیة مع رشید الدِّین].

* در بندگی عرضه داشت که چون عزم دشت قبجاق مصمم است، در ولایت خلیفه هنوز چندین هزار تُرْك قبجاق هستند که راه ورسوم قبجاقیان نیکو دانند. اگر فرمان شود، بروم وایشانرا جمع گردانم تا در جنگ بِرکای مقدّمه باشند.

* واو را مثال فرمود که هر کس را که این جلال مصلحت داند اسپ وسلاح وساخت وبرگ ونفقه تمام بدهند، حاکمان بغداد وهیچ آفریده به میان کار او در نیاید، تا آنچه به او فرموده ایم ساخته گرداند.

* هُولاکُو خان پسندیده داشت، او را یرلیغ وپایزه فرمود که حکام بغداد هر چه جلال الدین خواهد از زرّ وسلاح وآلات، بدهند وهیچ آفریده میان کار او در نیاید، تا مهمّی که بدان موسومست، ساخته گرداند.

* جلال به بغداد شد در شهور سنة اثنتین وستین وست مئة، وهر که را

* در شهور سنة اثنتین وستین وست مئة، بموجب فرمان به بغداد رفت

دانست وآن چه با او گفتند که این مردی است به کار آمده، خواه در سپاهگیری وخواه در نوعی دیگر، ایشان را طلب می کرد در خُفْیه می گفت پادشاه مرا فرستاده است تا شما را ببرم که در پیش لشکر دارد که آن جا بمیرید یا نام بر آورید. اگر خود آن جا کشته شوید به جائی دیگرتان همین شغل برجا خواهد بود.

وهر کس که در سپاهی گری پسندیده دید، به دست آورد واحیانا بکنایت وتعریض می گفت که پادشاه شما را می برد سپر بلای خصم کند: یا آنجا بمیرید یا نام آورید.
واگر در آن جنگ کشته نشوید، مصافی دیگر شما را همین واقعه مقرر خواهد بود.

* اکنون شما همه مرا می دانید که کیستم ومن روا ندارم که شما را علف شمشیر سازم به جهت کافری. من اندیشه می کنم که با آن که پادشاه با من در غایت عنایت است، ترك این دولت واقبال کافری بگویم وخود وشما را از دست این مغولان بیرون افکنم.

* وشما حسب ونسب من میدانید که چگونه است وبا شما چه نسبت دارم، وهرچند هُولاکُو خان را با من عنایت تمام است، روا نمی دارم که شما را علف شمشیر گردانم، می اندیشم که تَرْك دولت واقبال مغول باز رهانم، می باید که با من موافقت نمایید.

* چون او این سخن بگفت همه به قول او فریفته شدند ولشکری جمع

* آن قوم بقول او فریفته شدند، وبعد از آنك لشکریان متفرق را جمع

شد. او يك بار بـه لشكر برنشست وطبل بزد وبر جسر بغداد بگذشت وتاخـت بـه عـرب خفاجـه كـرد وگاوميشـی چنـد وشُـتُّری چنـد غـارت بيـاورد واز خزانـه بغـداد جهـت ايـن مقـدار لشكر كـه خـود جمع كرده بود اسپ وسلاح ونفقه وعلوفـه تمـام بستد، وآن جماعـت را با زن وفرزند وهرچشـان بـود كـوچ فرمود كردن وباز طبل بزد وبرجسر بغداد بگذشت.

گردانيـد، بـا طبـل وعلـم برنشسـت وبر جسر بغداد بگذشت وبر عـرب خفاجـه تـاختن بـرد وگـاوميش وشترى چند بغارت بياورد واجـره ومـا يحتـاج لشـكريان از اسـپ وسلاح ونفقه از خزانه بغـداد بستد وباز لشكريان را با زن وبچه واتبـاع واشياع واقمشه وامتعه كوچ فرمـود وبـاز بـا طبـل رحيـل زد وبـر جسـر بگذشت.

* گفت زنان وبچگان را با خود ببريم تـا زيـارت مشـاهد مقدسـه ائمـه دريابند كه باشد كه ما را بعد از اين مقـام در ولايـات دَرْبَنْـد وآن حـدود باشد وبا اين جـا نيفتيم ومـا مـردان برويم وآزقای راه را از عرب اولجـه ای بياوريم يعنی غارتی، وبرفت.

* وگفت اهل وعيال را با خـود بـبريم تـا زيـارت مشـاهده [في طبعـة ٢٠١٦م: مشاهد] دريابند، چـه مـن بعـد مقـام مـا در دَرْبَنْـد وشروان وشماخی خواهد بود ومـا لشگريان وسپاهيان بـرويم وآزوق راه عـرب خفاجه كه ياغی اند، بياريم.

* چون از فـرات بگذشـت زنـان خـود را وعامَّه لشكر را گفت من انديشـه

* چون از فرات گذشت، سپاهيان را گفت كه من عزم شام ومصر دارم،

شام ومصر دارم، هر كه ازين جا موافقت مى كند فَبِها ونعمه، والاً هم ازين جا باز گردند.	هر كه با من مى آيد فَبِها، والاً از اينجا باز گردد.
* ايشان را اگر نيز دل نبود كه بروند از بيم نيارستند گفت كه باز مى گرديم وبه يك بار بدين شيوه ساخته وپرداخته به شام رفتند.	* ايشان از بيم شر، هيچ نتوانستند گفت وباتفاق از راه عانه وحديثه بجانب شام ومصر رفتند.
* وچون اين سخن به سمْع پادشاه رسيد، به غايتى برنجيد (أخبار مغولان در أنبانه قطب، ٣٩ - ٤٣).	* وچون آن خبر بسمْع پادشاه رسيد، به غايت برنجيد (جامع التواريخ، ٢/ ٧٣٥ - ٧٣٦).

لاكلام لنا على وحدة مضامين هذين النصّين اللّذين يتحدثان عن الواقعة نفسها، لكن هذا التطابق المدهش في الألفاظ هو المثير للتساؤل، وهو دالّ على:

١- إنَّ أحد الكاتِبين قد اقتبس من الآخر مع تغيير طفيف في استبدال كلمة بأخرى ترادفها في المعنى، أو زيادة في كلمة أو كلمتين أو حذف.

٢- إنَّ كلا الكاتِبين قد اقتبس كلامه من مصدر ثالث، وعلينا البحث عن ذلك المصدر.

إنّنا نعلم يقيناً أنّ قُطْب الدِّين ألَّف كتابه *ابتداء دولة المغول وظهور جنكيز خان* بين سنة ٦٨٠ أو ٦٨١هـ وبين ٦٨٣هـ، حيث نجده يقف عند مقتل تكودار واعتلاء أَرْغُون العرش في تلك السنة، ومن الواضح أنّه لم يواصل تدوين مشروعه التاريخي هذا، بدليل أنّنا لا نجد فيه واقعة أبعد من سنة ٦٨٣هـ.

أمّا مجموعته التي بين أيدينا التي ضمت أخبار المغول وغيرهم، فقد انتهى منها في تأريخ يتجاوز قليلاً شهر ربيع الأول من سنة ٦٨٥هـ.

وعلى ما حقَّقناه بعد طول استقصاء، فإنَّ السلطان محمود غازان أسند إلى رشيد الدِّين الهَمَذَانيّ في ١٢ رجب سنة ٧٠٠هـ مهمةَ تأليف كتابٍ في تاريخ المغول، وقد بيَّض شطراً كبيراً منه سنة ٧٠٢هـ، وعند وفاة غازان في ٧٠٣هـ، جاء رشيد الدِّين بالقسم الأول من الكتاب الخاص بتاريخ المغول إلى خَلَفِهِ السلطان مُحَمَّد خدابنده أولجايتو وعرضه عليه في ربيع الثاني سنة ٧٠٣هـ[1]؛ وهذا القسم الأول من كتاب رشيد الدِّين الَّذي تمَّ في هذه السنة هو الَّذي يهمّنا للمقارنة مع كتاب قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ، لكونه خاصاً بتاريخ المغول.

لقد كانت هناك علاقة قامت بين الرجلين - برغم ما كان يشوبها من تنافس ظل يضطرم في خبايا اللاشعور لدى قُطْب الدِّين ممَّا أشرنا إليه آنفاً - وقد أقام كلا الرجلين في تبريز أيضاً، لكنّنا نستبعد أن يكون رشيد الدِّين اقتبس شيئاً ممَّا لدى قُطْب الدِّين، ذلك أنّ لدى رشيد الدِّين تفاصيل مطولة لا توجد لدى قُطْب الدِّين. والعكس صحيح أيضاً، أي أنّنا نجد لدى قُطْب الدِّين تفاصيل لا نجدها لدى رشيد الدِّين، وبإمكان القارئ الكريم أن يتتبع ذلك بما أشرنا إليه في هوامش تحقيقنا لكتابنا *ابتداء دولة المغول* ليقوم بالمقارنة الأكثر دقة. كما نستبعد أن يكون رشيد الدِّين يقتبس من كتابٍ لقُطْب الدِّين خلال حياته ثُمَّ يدَّعي ما فيه لنفسه، إذ سيشكِّل ذلك فضيحة علمية تضرّ بسمعة رشيد الدِّين الوزير والطبيب والكاتب الراسخ القدم في الكتابة في ش تى الفنون.

---

(١) بحثنا بالتفصيل مراحل تأليف كتاب جامع التواريخ في مقدمتنا للطبعة التصويرية للترجمة العَرَبِيَّة لهذا الكتاب (مخطوطة أَيا صوفيا)، التي هي الآن تحت الطبع وستصدر عن مؤسّسة نشر التراث المخطوط في طهران.

من البديهي أنَّ قُطْب الدِّين لم يقتبس من كتاب رشيد الدِّين الَّذي بدأ بتأليفه سنة ٧٠٠هـ، أي بعد ١٩ عاماً على التأريخ الَّذي بدأ فيه قُطْب الدِّين كتابه في ٦٨١هـ.

وعلى هذا لم يبقَ سوى احتمال أن يكون كلا المؤلِّفينِ قُطْب الدِّين ورشيد الدِّين قد اقتبس نصوصَه المكتوبة من مصدر ثالث لا نعرفه لكنّه بقلم أحد أعضاء المدرسة البَغْدَادِيَّة، نستثني من ذلك ما شاهده أو سمعه كلٌّ منهما، فهذه تجارب شخصية ذات خصوصيات متميّزة ولا دخل للنقل فيها.

والاحتمال الأقرب هو أن يكون ذلك المؤرِّخ هو ابنَ الفُوَطِيّ الَّذي وصَفَه الذَّهَبِيّ بأنّه «مؤرِّخ الآفاق»[(١)]، وأضاف: أنّه «عمل تاريخاً كبيراً لم يبيِّضه»[(٢)]، ثُمَّ عمل آخر دونه في ٥٠ مجلداً سمّاه *مجمع الآداب في معجم الأسماء على معجم الألقاب*»[(٣)]، ووصفه أيضاً بأنّه: «فاقَ علماء الآفاق في علم التأريخ وأيام الناس»[(٤)]، لكونه المؤرِّخ الأقرب لكليهما. وله علاقة بهما معاً ممّا كان يذكره في كتابه *مجمع الآداب*، فضلاً عن علمهما بأنّ ابن الفُوَطِيّ كان شاهد عيان على وقائع الغزو المَغُولِيّ للعراق وما جاوره.

أمّا علاقة ابن الفُوَطِيّ بالوزير والمؤرِّخ رشيد الدِّين الهَمَذَانِيّ وببعض أفراد أسرته فقد كانت وثيقة، حيث كان يجلُّه كثيراً، وذكر أنّه قام في مدينة بغداد مع أحد علماء عصره[(٥)] بمقابلة نسخة من كتابه *جامع التواريخ*.

---

(١) الذَّهَبِيّ، تذكرة الحفاظ، ٤/ ١٤٩٣.

(٢) سمَّى ابن الفُوَطِيّ كتابه هذا باسم التاريخ والحوادث المرتَّب على السنين، وذكره بكثرة في كتابه تلخيص مجمع الآداب (انظر مثلاً: ١/ ١٧٤، ٣٩٢، ٢/ ٢٢٨...

(٣) الذَّهَبِيّ، تذكرة الحفاظ، ٤/ ١٤٩٣ - ١٣٩٤.

(٤) الذَّهَبِيّ، المعجم المختص بالمحدثين، ١٤٤ - ١٤٥.

(٥) انظر: ابن الفُوَطِيّ، تلخيص مجمع الآداب، ٤/ ٢٦٤.

لقد كان ابن الفوطي دائم التردد على مدينة السلطانية العاصمة الجديدة للحكّام المغول ووزيرهم رشيد الدِّين[١] أو الإقامة فيها، ممّا يدعونا للقول إنّه لا بد من أن يكون قد التقى مراراً بالوزير رشيد الدِّين. وإنّ آخر تأريخ وجدناه لإقامة ابن الفوطي في السلطانية كان في رجب سنة ٧١٧هـ[٢]، أي قبل أقلّ من عام على مقتل هذا الوزير العالِم. كما كان على علاقة وثيقة جداً بغياث الدين[٣] نجل رشيد الدِّين الَّذي أصبح وزيراً بعد مقتل والده.

وأمّا علاقة ابن الفُوَطِيّ بقُطْب الدِّين الشِّيرازيّ، فقد أشرنا إليها في مقدمتنا هذه وأنّه كان يلتقيه في «زاويته» بتبريز كما يحلو له أن يسمّيها.

لا ننسى أن نشير أخيراً إلى علاقة ابن الفُوَطِيّ المتميّزة بالأديب والمؤرِّخ علاء الدين عطا ملك الجُوَيْنيّ (٦٢٣ - ٦٨١هـ)، وهو يسمّيه «شيخنا الصاحب السعيد علاء الدين»، وقال في ترجمته: «هو الَّذي أعادني إلى مدينة السلام، وفوَّضَ إليَّ كتابة التأريخ والحوادث [بعد شيخنا تاج الدين عَليّ بن أنجب (ابن الساعي)]، وكتب ليَ الإجازة بجميع مصنّفاته، وأملى عَليّ شعره بقلعة تبريز سنة ٦٧٧هـ»[٤].

تُرى ما المانع من أن يستفيد كلا المؤرِّخينِ (القطب والرشيد) من علاقتهما بابن الفُوَطِيّ فيستعيران بعض كتاباته وينقلان منها كلٌّ على حدة من غير أن يعلم بأنّ المؤرِّخ الآخر قد استفاد من تلك النصوص؟

---

(١) انظر مثلاً: المصدر نفسه، ١/ ١٥٢، ٢٦٢، ٤٦٥، ٢/ ٣٧٢...

(٢) انظر: المصدر نفسه، ٤/ ٥٢٦.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ٢/ ٤٥٦.

(٤) ابن الفُوَطِيّ، تلخيص مجمع الآداب، ٢/ ٢١١، ٣١٥، ٤/ ٢٥، وقال ابن الفُوَطِيّ: إنّ علاء الدين ولد سنة ٦٢٢هـ. ٤/ ٢٥، ما بين العضادتين من (تاريخ الإسلام للذهبيّ، ٥١/ ٨٢).

على أن لا ننسى احتمالاً آخر هو أن يكون كلا المؤرِّخين قد استفاد أيضاً من كتابات مؤرِّخينِ شهيرينِ عاشا تلك الحقبة هما ابن الساعي البَغْدَادِيّ (ت ٦٧٤هـ)، وابن الكازَرُونيّ البَغْدَادِيّ (ت ٦٩٧هـ) - وكتبهما كانت معروفة منذ زمن بعيد قبل أن يؤلّف القطب والرشيد كتابيهما - استفادا منها بصورة مباشرة أو بالواسطة من خلال كتابات ابن الفُوَطِيّ الَّذي بالغ في النقل من هذين المؤرِّخين البغداديينِ في كتابه *معجم الألقاب*.

إنّه احتمال نراه مقبولاً إلى أن يتمَّ العثور على نصٍّ ينير لنا بشكل جازم علَّة هذا التشابه في الألفاظ الَّذي نجده في النصّين «القطبيّ» و«الرشيديّ».

متى ألَّفَ قُطْب الدِّين كتابه؟

أول تأريخ نجده مُعيناً لنا على تحديد الحقبة التي ألَّف فيها كتابه، هو قوله في أول الكتاب في أثناء كلامه على الملك تودا مُنكو وتسنُّمه العرش عقب وفاة أخيه مُنكوتيمور: «ومن بعده توتا مُنكو الَّذي هو الملك اليوم، أي في شهور سنة ثمانين وستمائة»[١]، مع أنّ رشيد الدِّين يقول: إنّ وفاة مُنكوتيمور وتسنّم توتا مُنكو العرش كان سنة ٦٨١هـ[٢]. إذن كانت بداية التأليف في ٦٨٠ أو ٦٨١هـ، أمّا نهايته فقد استمر يكتب الوقائع حتى التأريخ الَّذي قُتل فيه السلطان أحمد تكودار بن هُولاكُو ليلة الخميس ٢٦ من جمادى الأولى سنة٦٨٣هـ، وبويع ابن شقيقه السلطان أَرْغُون بن آباقا خان بن هُولاكُو في يوم الجمعة ٢٧ من جمادى الأولى سنة٦٨٣هـ[٣]. وكأنّه كان قد وضع تاريخه هذا على منضدته يضيف إليه بين الحين والآخر ما يستجد من وقائع.

هذا ما يتعلق بمشاهداته الشخصية، أمّا ما نقله من غيره فقد بحثناه آنفاً.

---

(١) قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ، ابتدا دولت مغول، الورقة ٢٢ أ.

(٢) انظر: رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ١/ ٥٢٧.

(٣) انظر: رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧٩٨، ٨٠٧.

المغول والتتار

لكثرة ورود مصطلَحَي «المغول» و«التتار» في كتابات كهذه، لا بدَّ من التعريف بهؤلاء الغزاة القساة القلوب:

كانت قبيلة التتار واحدة من القبائل المغولية، وكان أفرادها يعيشون في المناطق القريبة من حدود ولايات الخِطا (الصين الشمالية)، وقد بلغوا من الشهرة والمَنَعَة حداً أن دُعي باسمهم سائر المغول وأصبحوا يعرفون بهم.

يقول المؤرِّخ المَغُوليّ رشيد الدِّين: «لمّا كان التتار في قديم الأيام مهيمنين ومسلَّطين على أغلب أقوام الولايات، وكانوا ذوي جاه وشوكة وحُرمة تامَّة، وفي غاية العزَّة، فإنّ بقية أصناف الأتراك على اختلاف مراتبهم وطبقاتهم وأساميهم دعوا أنفسَهم باسمهم، فكان يُطلَق على الجميع اسم التاتار...، كما أنّه في هذا العصر، ولقوَّة شوكة جنكيز خان وأعقابه - ولكونهم مغولاً - فإنَّ بقية الأقوام من الأتراك مثل الجلائريين، والتاتار، و...، يسمُّون أنفسَهم جميعاً على سبيل التفاخر باسم المغول»[(١)].

وكانت هناك معارك وحروب بين هؤلاء التتار والمغول، ومنها ما حدث على عهد جنكيز خان حيث خاض حرباً معهم انتصر فيها وقتل كثيراً منهم ونهبَ ممتلكاتهم[(٢)].

إذن فالتتارُ قبيلةٌ من القبائل المغوليَّة، ومع ذلك فإنَّ جميع القبائل المغولية سُمِّيت باسمهم غالباً، كما حدث في حين آخر أن دُعي التتار باسم المغول.

---

(١) رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ١/ ٥٧ - ٥٨.

(٢) انظر: The Secret History of the Mongols, P. 63؛ رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ١/ ٥٩، ٦١؛ أبو الغازي، شجرة الأتراك، الورقة ٢٥ أ.

استناداً إلى غروسيه، فإنّ «المغول بالمعنى التاريخي الدقيق والمحدد لهذه الكلمة، الَّذين كان جنكيز خان واحداً منهم، كانوا يتجولون في الشمال الشرقي لمنغوليا الخارجة التي تقع اليوم بين نهرَي أونون Onon، وكِرُولِن Kerulen »[١]، النهرين اللذين يقعان إلى الشمال من صحراء غوبي (Gobi)[٢].

ولا بدَّ من الإشارة أيضاً إلى أنّه لكون الأتراك والمغول قد سكنوا في مناطق تداخلت فيها قبائلهم فهم يذكرون معاً حتى إنّ المؤرِّخ رشيد الدِّين يُعنوِن أحد فصول كتابه *جامع التواريخ*، بالقول: «ذِكرُ أقوامٍ من التُّرك الَّذين يُلَقَّبون المغول»[٣].

منهجنا في الترجمة والتحقيق

في ترجمتنا استعملنا حيناً الألفاظ العربية السائدة في كتب التراث في عصر المؤلِّف، حتى إنّنا استعملنا الألفاظ المغولية والتركية الواردة في الأصل الفارسي لكون بعض مؤرِّخي ذلك العصر من الناطقين بالعربيَّة كانوا يدرجونها في مؤلَّفاتهم لشهرتها، وقدَّمنا أدلّة على استعمالاتها تلك، مثل: القوريلتاي أي مجلس الشورى المغولي، واليارغو أي التحقيق أو المحاكمة. وبعد الانتهاء من الترجمة اتخذنا الخطوات الآتية:

أولاً: تخريج نصوص الكتاب على المصادر الموثوق بها الخاصة بالتاريخ المغولي وأهمُّها كتاب *جامع التواريخ* لرشيد الدِّين الهمذانيّ، والإشارة إلى موارد الاتفاق والاختلاف بين كتابنا وتلك المصادر.

---

(١) Grousset, The Empire of the steppse, p 193.

(٢) انظر: فلاديميرتسوف، جنكيز خان، ٥١؛ تيموري، إمبراطوري مغول وإيران، ١٨؛ الغامدي، سقوط الدولة العَبَّاسِيَّة، ٥٤.

(٣) رشيد الدِّين، جامع التواريخ (مخطوطة أَيَا صوفيا)، الورقة ٣٨ أ.

ثانياً: إذا وجدنا كلمة مطموسة أوسقطاً في النصّ، اقتبسناه من مصادر أُخرى ووضعناها بين عضادتين هكذا [ ]، كما وَضَعنا بين عضادتين كلَّ ما زِدناه على النصّ لإيضاح معنىً أو إكمال عبارة.

ثالثاً: عرَّفنا بإيجاز بأهم الأعلام الواردة في الكتاب. ولَمَّا كانت صِيَغ كتابة أسماء الأعلام المغولية تعددت غالباً، أشرنا في الهوامش إلى تلك الصيغ، فمثلاً قنقرتاي نجل هولاكو يُكتب في المصادر: قنقورتاي، قونقورتاي، قونكقورتاي...، ممَّا قد يجعل القارئ يتصور أن كلَّ واحد من هؤلاء هو غير الآخر.

رابعاً: حرَصنا على تحديد المواقع الجغرافية بدقَّة - قدر المستطاع - وكان بعضها ذا أهمية خاصة مثل الجزيرة التي دُفِنَ فيها هولاكو وعدد من الملوك المغول، الجزيرة التي تُدعى الشَّاهِيَّة، وفيها وَضَعَ هولاكو الكنوز والأموال التي استولى عليها من العراق وغيره وسقط البُرج الذي اكتُنزَت فيه في البحر بفعل أحد الانهيارات.

خامساً: ما وُضِعَ بين قوسين داخل المتن هكذا ( )، هو لإيضاح ما قبله، مثل الـمُغُل (المغول)، ذلك أن صيغة «الـمُغُل» غير مألوفة في أغلب المصادر.

ختام وشكر

في الختام، لا بدَّ لي من توجيه خالص الشكر والتقدير لرفيقة عمري التي راجعت معي تَرْجَمَة هذا الكتاب باختيار أدقِّ الألفاظ في لغتنا العَرَبِيَّة الكريمة لتقابل ما تعنيه تماماً الجملةُ الفارسيةُ المتميِّزةُ في كتابنا هذا *ابتداء دولة المغول وخروج جنكيز خان*، بسبب كون مؤلِّفه - الفارسي اللغة والأُمي الثقافة - عاش بين ظهراني العرب والفرس والمغول والتُّرك، كما تابَعَتْ - وكان هذا هو شأنها في جميع ما أصدره من كتب التراث -

التجاربَ الأولى للطبع وتصحيحَ الملازم وإعدادَ الفهارس التفصيلية بصَبر وجَلَد.

كما أشكر أفلاذ كبدي أزهر وأنور وعماد الَّذين كانوا يشكِّلون لي في كلّ مشروع من مشاريعي البحثية والتحقيقية فريقاً متماسكاً يمدُّ لي يد العون في الطباعة أو جلب المصادر، أو إصلاح ما يحدث من مفاجآت في جهاز الطباعة الخاص بي وما أكثرها. فليجعل اللهُ ذلك لهم بِرَّاً بي، وليكتبهم في ديوان الأبرار.

لا يفوتني أن أتقدَّم بالشكر الجزيل للسادة المشرفين على مركز إحياء التراث التابع للعتبة العَبَّاسِيَّة المقدَّسة على رعايتهم لهذا المركز بما يضمن مواصلة البحث عن كنوز تراثنا الإسلاميّ ونشره، وفَّقَهم الله لهذه الجهود العلمية. وأخصّ بالذكر الأستاذ علي حبيب العيدانيّ على ما بذله من جهدٍ في مراجعة الكتاب من الناحية اللغوية.

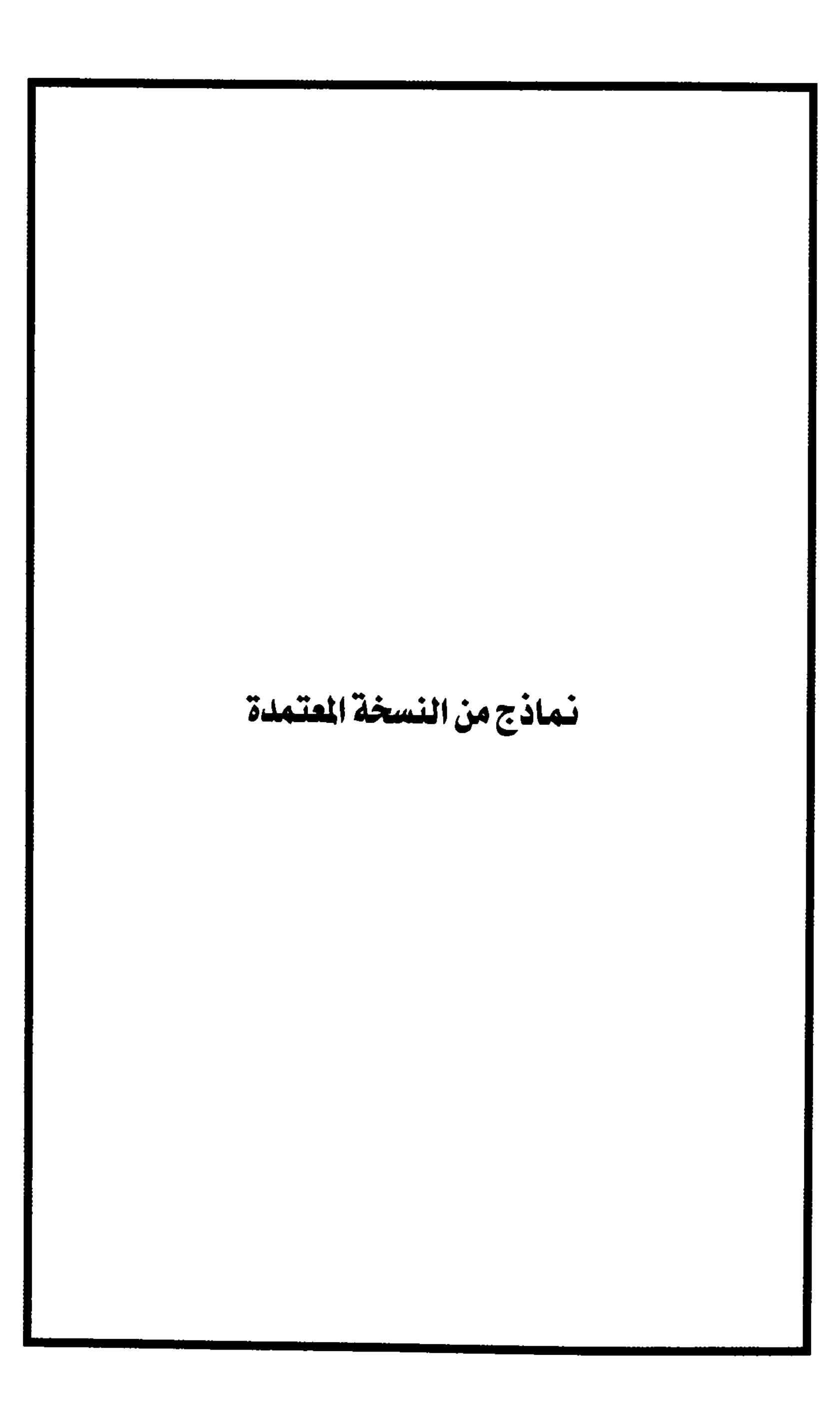
آمل أن أكون قد قدَّمتُ ما ينفع الناس، ممّا هو مصداق قوله تعالى:

﴿فأمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً، وأمَّا ما يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الأَرْضِ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ﴾[1].

يوسف الهادي

في ٢٠١٦/٤/١٥

(١) سورة الرعد: ١٧.



نماذج من النسخة المعتمدة

ابتداء دولت مغول و چنگیز خان

بر حسب کتب انقلاب ستوبهادر در شهور

تسع و تسعین و خمسمائه هجری بود دولت ختای

در میان ... در سال ۱۲۰۳ و بحساب ...

سنه ۱۲۷۶ و بتاریخ مغول ...

و بتاریخ خطاییان سال ... و آن کار او

باز خواندند در وادی ...

... اما چند روز پیشه خوردن ...

... از شکار و ...

...

و چون ... از ... کرده ... ایران

... او ... اینجا ...

... از ان قسمت در ...

و تبع او ... او را ...

و از فرزندان او چهار پسر ...

در میان مردم مشهور شده اند جغتای

و اوکتای ... تولی خان و ... خان

جغتای بعد از پدر ...

اوکتای را ... پادشاه کرده ...

مقام ... کرد و تولی خان را ...

... در ... و ... و بلغار ...

... اینجا پادشاهی کردند ...

... بعد از ... خان ...

... تولی خان بعد از ...

بعد از ... تولی ...

الصفحة الأولى من النسخة المعتمدة

نداند و گفتند ما هم نگاه داریم تا ارغون بیاید
بعد از آن در شورغاج نشستند و کنگاج کردند
تخت پادشاهی به ... باشد سوغنار آقا گفت اتفاق
کردیم که تا پادشاه بعد از [illegible] ارغون باشد
و دیگر آنکه چون گواهی دلالت چون در پادشاهی
مشغول در پادشاهی هیچ کاری و مصلحت
نیز امرا بزرگ و لشکر فراوان [illegible] را میل با ارغون [illegible]
برار اتفاق کردند و در سه شنبه بیست و چهارم
جمادی الاول احمد را جهت کشتن [illegible] یرغو
داشتند و او را از آن [illegible] در شب
چهارشنبه بیست و پنجم جمادی الاول احمد را
بکشتند هم در آن [illegible] تا احمد [illegible] را
کشته [illegible] و در روز [illegible] بیست و هفتم جمادی الاول
پادشاه جهان ارغون مبارک بر تخت نشست
بطالع فرخ [illegible] بر جهانیان مبارک و میمون باد
و دولت او در تزاید و عظمت و پادشاهی
در تضاعف بمحمد و عترة الطاهرة

شب حامله است تا چه زاید [illegible]
وانگشت زمانه بر نخاید [illegible]
از دور فلک چه تلخ آمد دیدم
و در عمر [illegible] تلخ اندیشم

الصفحة الأخيرة من النسخة المعتمدة


ابتداء دولة المغول
وخروج جنكيز خان

بدءُ دولة المغول وظهور جنكيز خان بن ييسوكا بن قُبلا بن سنقو بهادر في شهور سنة تسع وسبعين وخمس مئة للهجرة[1]، وفي سنة ١٥١٤ بالحساب الروميّ، وفي سنة ٥٧٢ بالحساب اليزدجرديّ، وفي سنة طنغوز إيل بحساب الأُيغور[2]،

---

(١) في الأصل: سنة تسع وتسعين وخمس مئة؛ وهو من غلط النسّاخ، فـ «سبعين» يمكن أن تلتبس بـ «تسعين» خصوصاً إن لم تُنقَّط. وصحّحناه استناداً إلى فصيح الخوافي (مجمل التواريخ، ٢/ ٢٦٤) من أنّ تموچين - أي جنكيزخان- أصبح رئيسَ قومه سنة تسع وسبعين وخمس مئة. أي حين كان في الثلاثين من عمره، إذْ وُلِدَ في العشرين من ذي القعدة سنة ٥٤٩ هـ (فصيح، المصدر نفسه،٢/ ٢٤٧؛ انظر أيضاً: رشيد الدِّين، جامع التواريخ،١/ ٢٣١).

(٢) هم شعب الأُويغور التُّركي، وسيسمّي المؤلّف بلادهم باسم يُغُرْستان، حيث سنعرِّف بهم وببلادهم هناك. أمّا قوله «وفي سنة طنغوز إيل»، فقد اتّخذ شعب الأُويغور ومَن صاقَبَهم من الأُمم تقويماً يسمُّون به السنين بأسماء اثني عشر حيواناً تبدأ بسنة الفأر (سجقان ييلي) وتنتهي بسنة الخنزير (طنغوز ييلي)، يقول شرف الزمان المروزي في طبائع الحيوان، الورقة ١٦ ب - ١٧ أ): «أنّ للصين والتُّرك وتُبّت والخُتَن دَوْراً يدور على ١٢ سنة ويعود عند منتهاه إلى أوَّله، وتلك السنون مسمّاة بحيوانات تختلف أسماؤها في لغاتهم»، وهي: «١. سنة الفأر؛ ٢. سنة الثور؛ ٣. النَّمِر؛ ٤. الأرنب؛ ٥. بَنات الماء؛ ٦. الحَيَّة؛ ٧. الفَرس؛ ٨. الشاة؛ ٩. القِرْد؛ ١٠. الدَّجاجة؛ ١١. الكلب؛ ١٢. الخنزير، ثم يعود إلى الفأر». وأوسع مَن بحث هذا التقويم وسبب ظهوره وتفسير سِنِيِّه هو الكاشغريُّ في ديوان لغات الترك (١/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠)؛ انظر أيضاً: ابن عنبة الذي ذكرَ أسماءها بالتُّركية وقال: إنّ المغول يؤرّخون بهذا التقويم أيضاً (حلية الإنسان، ١٨٥ - ١٨٦)، وهو أمر ذكره رشيد الدِّين في جامع التواريخ (١/ ١٢٥)، حيث علّقَ محقِّقاه بالقول: إنّ تقويم الاثنتي عشرة سنة هذا كان سائداً بين التُّرك وتابَعَهم عليه المغولُ وإيرانيُّو آسيا الوسطى (٣/ ١٨٩٦). ويرى الدكتور جوادي أنّه يمكن القول إنّ هذه الأسماء وُضعت استناداً إلى أسماء أبراج النُّجوم (انظر: ديوان لغات الترك محمود كاشغري واصطلاحات...، ٤٧). قلتُ: ما يزال الإيرانيون المتمسّكون بفولكلورهم حتى اليوم يتفاءلون ويتشاءمون عند رأس كل سنة شمسية باسم الحيوان المذكور في هذا التقويم.

وفي سنة كوي بحساب الخِطائيين[١].

كان بَدء أمره في تحمّل المسؤولية، عندما كان في وادي بالچونة ببلاد الخِطَا[٢]، حيث مكث أياماً لم يجد فيها ما يأكله. وكان أحد رجال جيشه قد سدَّد سهمه نحو طائر بري فأصابه، ثُمَّ جاء به وشواه وقدَّمه بين يدي جنكيز خان الَّذي قسَّمه إلى سبعين حصة - وهو عدد أفراد المقاتلين الَّذين كانوا معه - وأخذ نصيبه منه مثل سائر مَن كان معه. ومن اليوم الَّذي تمّت فيه تلك القسمة ولاستقامته، أصبح أبناء شعبه محبِّين له وطوعَ أمره ويفتدونه بأرواحهم.

كان له أربعة أبناء ذاع صيتهم بين الناس:

جغتاي خان، هوكتاي خان، تولي خان، توشي خان.

لم يعمَّر جغتاي طويلاً بعد أبيه.

أمَّا هوكتاي فقد اختاره أبوه نائباً عنه في حياته وخليفة له.

وعَيَّنَ توشي خان حاكماً على ولايات الخفچاق[٣] والروس وسقسين والبلغار، وقد

---

(١) الخطائيون: الصينيون. وقد احتفلوا هذه السنة (٢٠١٧م) بسنة الدِّيك بحسب هذا التقويم.

(٢) بلاد الخِطَا هي الصين، ولا نعلم بالتحديد موضع هذا الوادي، لكن وصَّاف الحَضْرَة (تجزية الأمصار (تحرير آيتي)، ٢٩٢)، قال إنّ اسم هذا النهر يعني الماء الكَدِر.

(٣) استناداً إلى برتشنايدر (إيران وما وراء النهر، ٥٢)، فإنّ السهول الشاسعة الواقعة جنوب روسيا وشمالي بحر الخزر هي التي دعاها الكتَّاب الإيرانيون باسم القبجاق، ويضيف أنّ هذه المنطقة لم تكن معروفة تماماً للمغول، لكنّهم وصلوها سنة ١٢٣٦م/ ٦٣٣ - ٦٣٤هـ. يقول غروسيه (The Impire of the steppes, p 264): «في ١٢٣٧م/ ٦٣٥هـ، شنَّ المغول هجوماً على أتراك السُّهوب الروسية الوثنيين البدو أنصاف الهمجيين الَّذين يسميهم المسلمون القبچاق، ويسميهم الهنغاريون والبيزنطيُّون، الكومانيين، ويسميهم الروسُ، البولوفتزيِّين».

حكمت سلالته هناك(١):

كان أوّلهم غونكران، ومن بعده سيبان خان، ثُمَّ باتوخان، ومن بعده بِرْكَة، ثُمَّ منكوتمور، ومن بعده توتا منكو(٢) الَّذي هو الملك اليوم [٢٢أ]، أي في شهور سنة ثمانين وست مئة. ومن هذا الفرع كان هوكتاي قاآن الَّذي خَلَفَهُ كيوك خان.

ولمّا مات – وبعد التشاور مع باتوخان- اختير مُنْكو قاآن لارتقاء العرش؛ لكن أبناء جغتاي وهوكتاي لم يوافقوا على ذلك وفكروا بالعصيان وقرروا الإطاحة بمنكو خان.

عَلِمَ مُنْكو قاآن بما اتفقوا عليه فتلقى ذلك بالرأي السديد ورباطة الجأش وبادر إلى معاقبتهم بالقتل والتعذيب والسجن، بحيث لم يُبْقِ أحداً ممن كانت له يد في تلك المعارضة. في الوقت عينه لم يلحق ضرراً بأيٍّ من الأبرياء؛ وكان العدل والإنصاف سائداً في عهده ممّا لم يحدث مثله إلَّا قليلاً في الزَّمَان، بحيث كان الذئب والحَمَل يشربان من نبع واحد.

---

(١) جرت العادة أن يرِد هذان الموضعان (سقسين والبلغار) معاً (انظر مثلاً: أبو الحسن البيهقي، تاريخ بيهق، ١٠٩؛ بكران، جهان نامه، ٩٩؛ الجُوَيْنيّ، تاريخ جَهَانْكُشَاي، ٣/ ٦٥١). كما تكتب سخسين (انظر: الغرناطي، تحفة الألباب، ١١٣)؛ قال عنها الكاشْغَريّ في (ديوان لغات التُّرْك، ١/ ٣٦٥): «سخسين: بلدة قرب بلغار»، والمقصود ببلغار موطن الشعب البلغاري، وتقع سقسين على نهر طنابرس (انظر: أبو الفداء، تقويم البلدان، ٢٠٥) وهو نهر الدنيبر. أمّا البلغار، فبحسب الجغرافية القديمة «مدينة تقع ناحية صغيرة منها على ضفة نهر إتل [الفولغا حالياً]، سكانها جميعاً مسلمون» (مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ٢٠٠). قال إقبال: إنّ مدينة بلغار تقع قرب مدينة غازان الحالية في روسيا الوسطى، وينبغي أن لا يتم الخلط بينها وبين بلاد بلغاريا الحالية (انظر: تاريخ مغول، ١٠٩).

(٢) هذا هو الملك تودا منكو الَّذي تسنَّم العرش المَغُوليّ عقب وفاة أخيه منكوتيمور سنة ٦٨١هـ، كما يقول رشيد الدِّين (جامع التواريخ، ١/ ٥٢٧)، وليس سنة ٦٨٠هـ كما يقول قُطْب الدِّين هنا.

ولمّا استقام له أمر ولايات تركستان والخِطَا[١] وما وراء النهر والتُّبَّت وتَنْكُت[٢] وكثير من الولايات، أرسل شقيقه هُولاكُو لينظم الأمور في الجانب الآخر من جيحون[٣]، أي ولايات العرب والعجم.

---

(١) الخِطا: بلاد الصين (الكاشْغَريّ، ديوان لغات الترك، ١/ ٢٨)؛ أما تركستان فهي بلاد تركستان الشرقية وسنعرِّف بها لاحقاً.

(٢) ورد هذان الموضعان معاً لدى الجُوَيْنيّ (تاريخ جَهَانْگُشَاي، ١/ ١٢٤)، وتُبَّت هي بلاد التِّبت الحالية الواقعة في الجنوب الغربي من الصين، شمالي جبال الهملايا، استولت عليها الصين الشيوعية سنة ١٩٥٠م. أمّا تنكُت أو تنكوت، فهي «بلاد واسعة من الإقليم الخامس دعاها المغول باسم قاشين، من مدنها المعروفة يِري قيا، وقراتاش، وهما مدينتان مهمتان؛ وفيها عمران كثير وشتى أنواع المزروعات، وفي صحرائها ما لا حصر له من السكان» (حَمْدُ الله المُسْتَوفي، نزهة القلوب، ٢٧٥). وفي حدود العالم (ص ١٣٣): «تنكُث بخارنان: قصبة ولَها نواحٍ، بين إيلاق وجذغل والشاش؛ فيها مياه جارية، ويجتمع فيها التجار». ولتقريب موقعها يقول لسترنج: «الخرائب المعروفة اليوم بتاشكند القديمة هي موضع المدينة التي سمّاها العرب الشاش» (بلدان الخلافة الشرقية، ٥٢٣).

(٣) يعبّر المؤرّخ الخُنْجيّ بعبارة شاملة عن هذا النهر فيقول: «نهر آموية الّذي هو نهر بلخ الّذي يسمونه جيحون» (مهمان نامه بخارى، ٩٦). وهو نهر آمو دريا أحد أنهار آسيا الوسطى، طوله ٢٦٥٠ كم، ينبع من جبال شمال أفغانستان (پامير)، وكان يصب فيما مضى في بحر الخزر، لكنّه اليوم يصب في بحيرة آرال (انظر: معين، فَرْهَنْك فارسي).

[سنة نيِّف وخمسين وستّ مئة هجرية]

انطلق هُولاكُو في سنيٍّ نيّف وخمسين وست مئة من خراسان بُغيةَ الوصول إلى دمشق. فاستولى على جميع خراسان وبلاد الجبال وكرمان وغزنين ووصل إلى المولتان وأقاصي بلاد الهند وعراق العجم وعراق العرب(١) ومازندران وبلاد أرّان وشروان ودربند، ثُمَّ استولى على بلاد الخفچاق الداخلة.

ثُمَّ جلب جيشاً من بلاد الروس(٢) وأغار به على برِّية العرب، وكان قد قضى على الخليفة ببغداد قبل ذلك وتمكن من القضاء على سلاطين ديار بكر والشام بأسرهم [٢٤أ] وبسط سلطانه على بلاد الروم الداخلة وبلاد الإفرنج.

---

(١) عرَّفنا فيما مضى بعراق العَجَم، وأمّا عراق العرب فهو عراقنا المعروف الّذي حَدَّه حمدُ الله المستوفي في (نزهة القلوب، ٢٨) بالقول: «طوله من تكريت حتى عبّادان ١٢٥ فرسخاً، وعرضه من عقبة حُلْوان حتى القادسية المحاذية لصحراء نَجْد ٨٠ فرسخاً» (انظر أيضاً: مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ١٥٩ - ١٦١)، وقال المستوفي أيضاً (نزهة القلوب، ٣٦): إنّ المسافة بين بغداد وحلوان هي ٣٥ فرسخاً (الفرسخ = ٨ كيلومترات تقريباً).

(٢) المعروف أنّ هُولاكُو استعان بكتيبة من الجورجيين (الكُرْج) الّذين بلادهم مجاورة لروسيا، حتى قال ابن واصل (مفرج الكروب، ٦/ ٢١٥) عن القائد المغولي بايجو نويان: «جاء في جحفل عظيم وفيه خلقٌ من الكُرْج»؛ (انظر أيضاً: ذيل مرآة الزَّمَان، ١/ ٨٨) وفيه: «من الكَرْخ»، وهو غلط شنيع (عن النتائج الكارثية لكتابة «الكَرخ» بدل «الكُرج»، انظر: الهادي، إعادة كتابة التاريخ، ٦٥ - ٦٢ الطبعة الأولى، وفي ١٧٩ - ١٨٦ الطبعة الثانية). وتقول المصادر الأرمنية: «حين توجه هولاكو إلى بغداد وضع القادة الجورجيون تحت تصرفه أفضل ما لديهم من المقاتلين الذين شاركوا مشاركة فعَّالة في معركة بغداد، وقد قيل إن الجورجيين شعروا آنذاك بنشوة عارمة لقتل المسلمين وتدمير بغداد» (ساندرز، تاريخ فتوحات مغول، ١١١؛ انظر أيضاً: خصباك، العراق في عهد المغول، ٥٥؛ فييه، أحوال النصارى...، ٣٨٠).

ولو أنَّ أحداً سمع بذلك في الأساطير تملَّكه العجب، حيث استولى على تلك البلدان جميعاً أي من ما وراء النهر حتى دمشق، ومن بادية العرب حتى بلاد الروس، ومن بلاد الهند حتى خوارزم.

ولقد شاهدنا في بلاطه مراراً أنَّ أعمال هذه الولايات كانت تعرض عليه في يوم واحد فكان يصدر الحكم المناسب بشأن كل واحدة منها، وكان عدله شاملاً جميع البلدان.

عَبَرَ هُولاكُو نهر جيحون ووصل إلى خراسان بعد أن جمع جيشاً عرمرماً من بلاد تركستان والخِطا[١] وما وراء النهر مجهّزاً بالسلاح والعتاد الضخم، بحيث كانت معه آلة السهام التي يسحب قوسُها ثلاثةَ أوتار في المرة الواحدة وكانت سِهام الأوتار الثلاثة تنطلق معاً في السحبة الواحدة، ويصل مدى السهم الواحد منها إلى ثلاثة أو أربعة فراسخ[٢].

وكانوا يضعون في نهاية كلِّ سهم ريشة نسر أو عقاب. ويسوّون جميع السهام بالمِنحات والسكِّين؛ أمّا سهام المجانيق فكانوا يصنعونها من خشب النبع ويغطونها بجلود الخيل والأبقار، كما تُغلف أغماد السكاكين والسيوف.

وكانت كلُّ خمسة أو سبعة من سهام المجانيق هذه تُربَط إلى بعضها وتُشَدّ بالأحزمة.

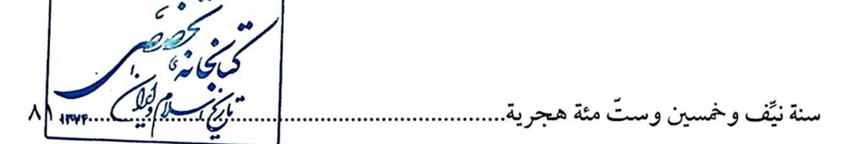
وقد جُلبت جميع هذه الآلات على العجلات إلى بلاد الترك[٣] بإشراف أساتذة مقتدرين مَهَرة.

---

(١) الخِطا هو تسمية أخرى لبلاد الصين كانت متداولة في القرون الوسطى في آسيا الوسطى والغربية ثُمَّ في أوروبا (وان يي دان، تعاليقها على تاريخ چين لرشيد الدِّين الهَمَذَانيّ، ١٥٨ - ١٥٩).

(٢) يقول الجُوَيْنيّ (تاريخ جَهَانْگُشَاي، ٣/ ٧٠٨)، إنّ مدى سهامها يصل إلى ٢٥٠٠ قدم.

(٣) يعني بلاد المغول (منغوليا)، ذلك أنّ هُولاكُو انطلق منها. ولكون الأتراك والمغول قد سكنوا في مناطق تداخلت فيها قبائلهم، فهم يُذكرون معاً حتى إنّ رشيد الدِّين يقول: «ذِكْرُ أقوامٍ من الترك الَّذين يُلقّبون المغول» (جامع التواريخ (مخطوطةأيا صوفيا)، الورقة ٣٨ أ).



وعلى مشارف خراسان أرسل هُولاكُو رسائلَ ورُسلاً إلى الملوك والسلاطين في البلدان يقول فيها: إنّني عزمت على التوجه إلى [بلاد] الملاحدة، فإن بعثتم عوناً من جند وسلاح ومعدات وتجهيزات عسكرية فسأكون ممتناً لكم، وستبقون أنتم وبلدانكم سالمين آمنين؛ وإن لم تفعلوا ذلك فسآتيكم بعد أن أنتهيَ منهم، وحينها لن يُقبَل منكم أيُّ عذر.

ومن هؤلاء بادَرَ ملوكٌ مثل أتابك بلاد فارس مظفر الدين أبي بكر بن سعد(١)، وسلاطين مثل سلطانَي بلاد الروم عزّ الدين وركن الدين(٢)، وملوك خراسان

---

(١) أرسل أبو بكر بن سعد السلغريّ حاكم فارس نجلَه سعداً لتهنئة هُولاكُو بفتح قلاع الإسماعيلية، ثُمَّ أرسل جيشاً بقيادة ابن أخيه مدداً له عند غزوه بغداد، كما شارك مُحَمَّد نجل سعد للقتال في معركة بغداد وأظهر شجاعة في القتال جعلت هُولاكُو يثني عليه (انظر: رشيد الدِّين، جامع التواريخ (تاريخ سلغريان فارس)، ١٤، ١٨)؛ ثُمَّ إنّ سعداً هذا ذهب إلى هُولاكُو مع جمع من الأمراء محمَّلاً بهدايا وافرة إليه بعد استيلائه على بغداد لتهنئته بالفتح (القاضي البيضاوي، نظام التواريخ، الورقة ١١٤أ؛ انظر أيضاً: رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧١٧؛ البَنَاكَتِيّ، روضة أولي الألباب، الورقة ١٢٤أ؛ الشبانكارئي، مجمع الأنساب، ١٨٥؛ مير خواند، روضة الصفا، ٤/ الورقة ١٨٧). كما ذهب إليه في سنة ٦٥٨هـ، فعيَّنه بمرسومٍ حاكماً على بلاد فارس (انظر: رشيد الدِّين، جامع التواريخ، (تاريخ سلغريان فارس)، ١٥؛ زركوب الشِّيرازيّ، شيراز نامه، ٨٦؛ وصَّاف الحَضْرَة، تحرير تاريخ وَصَّاف، ١٠٥؛ حافظ أبرو، جغرافيا، ٢/ ١٧١).

(٢) كان هذان الشقيقان من سلاجقة بلاد الروم التي خضعت للهيمنة المغولية، وحين نشب بينهما صراع حول مَن يجب أن يحكم البلاد منهما، ذهبا سنة ٦٥٧هـ إلى هُولاكُو فأمرهما أن يحكما البلاد مناصفةً (انظر: الآقْسَرَائِيّ، مسامرة الأخبار، ٦٢؛ مجهول، تاريخ آل سلجوق در آناطولي، ٩٩؛ ابن البيبي، مختصر سلجوق نامه، ٢٩٤؛ ابن العِبْرِيّ، تاريخ مختصر الدول، ٤٦٦، الّذي يتحدث عن تقاسمهما الملك سنة ٦٥٥هـ، تاريخ الزَّمَان لابن العِبْرِيّ أيضاً، ٣٠٣).

وسجستان ومازندران وكرمان ورستمدار[١] وشروان وبلاد الكرج والعراق[٢] وآذربيجان وأرّان ولورستان وغيرهم، إلى الحضور بأنفسهم، بينما أرسل الباقون إخوانهم وذويهم مع جنود ومعدَّاتٍ وتجهيزاتٍ حربية وخِلَعٍ وتقدِماتٍ وتحفٍ، معلنين انقيادهم له[٣].

---

(١) قرية تابعة لمدينة آمل الإيرانية على بعد ١٣ كيلومتراً منها، وكان يوجد فيها واحدة من أهم قلاع الإسماعيلية (معين، فَرْهَنْك فارسي).

(٢) كان هُولاكُو قد طلب إلى الخليفة العَبَّاسيّ المستعصم بالله أن يمدَّه بالجنود ليهاجم قلاع الإسماعيلية، فلم يلبِّ طلبه (رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٦٩٩).

(٣) فيما يأتي أسماء بعض الحكّام الّذين أرسلوا إلى البلاط المَغُوليّ رسلَهم وهداياهم أو إلى هُولاكُو أموالهم وجنودَهم في زحفه على إيران والعراق، أوّلاً: الملك الصالح إسماعيل نجل بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل الّذي بعثه أبوه بتجهيزات عسكرية وتحف وهدايا (ابن واصل، مفرج الكروب،٦/ ٢١٥؛ اليونيني، ذيل مرآة الزّمان، ١/ ٨٨؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ٣(٢)/ ٤٧٩)؛ العَيْني، عقد الجمان (حوادث ٦٤٨-٦٦٤هـ)، ١٧٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/ ٢٣٣)، وأرسل إليه أيضاً «جماعة من عسكره نجدةً له» (ابن العِبْرِيّ، تاريخ مختصر الدول، ٤٨٢)؛ ثانياً: الملك الكامل مُحَمّد بن شهاب الدين غازي الأيوبي صاحب ميافارقين الذي توجّه إلى مُنكو قاآن ومعه هدية سَنية(ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ٣(٢)/ ٤٧٩)؛ ثالثاً: الملك العزيز ابن حاكم حلب الناصر صلاح الدين يوسف الثاني بن مُحَمّد بن غازي الأيوبي، جاء مع الزين الحافظي وجماعة بتحف وهدايا ملكية إلى هولاكو (رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧١٨؛ الذهبيّ، تاريخ الإسلام، ٤٨/ ٢٨، دول الإسلام، ٢/ ١٧١، سير أعلام النبلاء، ٢٣/ ١٨، العبر، ٥/ ٢٢١)؛ رابعاً: الملك المظفر ابن صاحب ماردين (انظر: ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ٣(٢)/ ٤٧٩)، كما جاء إلى منكو قاآن «من العراق وخراسان وآذربايجان وأران وشروان وجورجيا، الملوك والصدور والأعيان، وكانوا يحملون الهدايا اللائقة» (رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٦٨٨؛ انظر أيضاً: الجويني، تاريخ جهانكشاي، ٣/ ٦٩٤).

وأُرسل مِن جميع الولايات طعام وأعلاف بكميات لا حصر لها محمولة على البغال والجمال والأبقار والحمير وغيرها، بحيث أرسلت حتى عصائد اللَّاخِشة[1] والجاروس (الدُّخْن) المطحون، من ولايات بلاد الخِطا ويُغرستان[2] إلى حدود أَلَمُوت وميمون دِز وغيرها من القلاع[3].

(١) نوع من الحساء يُصنع من الدقيق ويستعمل فيه اللوز (انظر: معين، فَرْهَنْك فارسي، تتماج، لاخشة).

(٢) هي بلاد الأويغور وهم إحدى القبائل التركية وأكثرها تحضُّراً. وموطنهم في الشمال الشرقي من تركستان الشرقية الحالية وفي شمالي بحيرة لوبنور ونهر تاريم، أي مدن تورفان وبيشبالغ وبرقول وقره شهر، وكانت عاصمتهم بيشبالغ. انتشرت بينهم الديانات المانوية والمسيحية والبوذية (معين، فَرْهَنْك فارسي)، ثُمَّ اعتنقوا الإسلام بعد ذلك. ولكونهم شعباً متعلِّماً، ولم يكن للمغول أبجدية يكتبون بها، فقد أمر جنكيز خان أن يقوم الأويغور بتعليم أطفال المغول الكتابة الأويغورية (انظر: الجُوَينيّ، تاريخ جَهَانْكُشَاي، ١/ ١٢٧). ومازال المغول يستعملون الأبجدية الأويغورية في الكتابة؛ أما الأُويغور فبعد اعتناقهم الإسلام استعملوا وما يزالون الأبجدية العربية. كانت دولتهم (تركستان الشرقية) دولة مستقلة، لكن حدث في سنة ١٨٨٤م أن أصدر الإمبراطور الصيني زاي تين مرسوماً بضم تركستان الشرقية إلى الصين مقاطعةً وتسميتها سينكيانغ أو شنجانغ ومعناها المستعمرة الجديدة. وبعد الاحتلال الشيوعي الصيني لها سمَّاها الشيوعيون في ١٠/ ١٠/ ١٩٥٥م مقاطعة شنجانغ أُويغور المتمتعة بالحكم الذاتي (انظر: رحمتي، التهجير الصيني في تركستان الشرقية، ١١، ٣٢، ٣٨). يعاني الأُويغور اليوم أبشع أنواع الاضطهاد والظلم على أيدي المستعمرين الصينيين الذين يحرمونهم من حقوقهم الدينية والمدنية بل ويجلبون بين الحين والآخر الآلاف من العوائل الصينية لإحداث تغيير ديموغرافي وتحويل الأُويغور سكان البلاد الأصليين إلى أقلية يمكن إذابتها وسط الملايين من الصينيين الغزاة المستعمرين.

(٣) كانت هذه من أشهر قلاع الإسماعيلية وأكثرها حصانةً.

ووضعوا على مسافة كلّ نصف فرسخ من الطَّحين والرُّز والأطعمة في أكياس الكرباس ماكُدِّسَ فوق بعضه بحيث كان هناك تلال ضخمة منها بادية للعيان في كلِّ مكان[1].

---

(١) إن جميع المواضع التي كان الجيش المغولي يمرُّ بها هي بلاد إسلامية، ولا بُدَّ أن يكون حكَّامها المسلمون هم الذي أمروا بإعداد تلك المؤن الهائلة. لتفاصيل أكثر عن الإمدادات بالعساكر والمعدات والمؤن التي قدَّمها بعضُ الحكامِ المسلمين وغيرُهم للغزاة المغول، انظر تفاصيل أوفى في كتابنا إعادة كتابة التاريخ، الطبعة الثانية (ص ٢٢ ـ ٢٥).

[سنة إحدى وخمسين وست مئة هجرية]

بادر هُولاكُو إلى إرسال الجيوش [التي أعدَّها] في خراسان، إلى قُهِسْتَان، فأرسل أولاً في ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وست مئة[١] جيشاً إلى حدود قلعة گردكوه وحاصرها بشكل لم يرَ أحدٌ له مثيلاً. فحفروا حول القلعة خندقاً عظيماً، وبنوا حول الخندق سوراً منيعاً، ومن بعد السور اتَّخذوا لهم مواضع، وبنوا بعد تلك المواضع سوراً آخر، وحفروا بعده خندقاً آخر (٣٢أ)، بحيث لو خرج أحدٌ من داخل القلعة أو أراد أحدٌ من خارجها أن يهاجم تلك الجماعة، فإنَّ الخندق والسور سيكونان حائلاً بين كليهما[٢].

ثم إنَّ الجيش تقدم إلى مشارف القلعة وحارب حوالي يوم أو يومين. ولمَّا لم يكن من اليسير الاستيلاء على القلعة، فقد وضع هُولاكُو هناك جيشاً جراراً وعيَّن عليه قادة حازمين.

وبعد سنة تَفَشَّى الطاعون بين أهل قلعة گردكوه، فمات أكثرهم. فوصل إلى علاء الدين مُحَمَّد ملك الإسماعيليين خبر مفاده أن قلعة گردكوه لم يبقَ فيها رجال وستسقط، فأرسلَ إليهم نجدةً من مئة رجل برفقة القائد مقدَّم الدين مبارز مُحَمَّد ليقوموا بالالتفاف على القوات المحاصِرة[٣].

---

(١) هذا التأريخ ذكره أيضاً رشيد الدِّين في جامع التواريخ كما ذكر بعضاً من هذه التطورات.

(٢) حول بناء هذه المواضع والاستحكامات، انظر: رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٦٩٠. ويمكن مراجعة تفاصيل أوفى عنها في الكتاب القيِّم لعناية الله مجيدي، ميمون دز ألموت.

(٣) يقول رشيد الدِّين (جامع التواريخ، ٦٩٠)، إنّ عدد أفراد القوة كان ١١٠ أفراد بقيادة مبارز الدين عَليّ توران، وشجاع الدين عَليّ سراباني.

تمكَّن هؤلاء[١] من اختراق صفوف القوة المحاصِرة ولمْ يُصَبْ أيٌّ منهم بأذىً سوى رجل واحد زلَّت قدمه فسقط في الخندق، ومع ذلك تمَّ إنقاذه هو الآخر. وهكذا دخلوا القلعة وعاد وضعها حصيناً[٢].

ولقد ظلَّت هذه القلعة تحت الحصار عشرين عاماً[٣]، وفي النهاية استسلم مَن فيها فقُتلوا ولم يَنْجُ منهم أيُّ أحد.

---

(١) أي قوات النجدة القادمة.

(٢) يذكر رشيد الدين هذه التطورات بتفاصيلها الدقيقة أيضاً (انظر: جامع التواريخ، ٢/ ٦٩٠).

(٣) يعني في المدة التي سبقت غزو هولاكو، حيث صراع الإسماعيلية الطويل مع جيوش الحكام المجاورين لقلاعهم.

[سنة ثلاث وخمسين وست مئة هجرية]

وفي ذي القعدة من سنة ثلاث وخمسين وست مئة[١]، قُتل علاء الدين مُحَمَّد على يد شخص مرتَدّ كان قد أصبح خادمَه الخاص وموضع ثقته[٢]. فتسنَّم العرش نجله ركن الدين حسن الَّذي كان يُدعى خورشاه وأرسل أخاً له يُدعى شاهنشاه إلى بلاط هُولاكُو يحمل رسالة تقول: إنْ كان أبي لم يقدِّم لك فروضَ الطاعة فأنا أقدِّمها وأضع نفسي في خدمتك. فذهب شاهنشاه إلى نيسابور وحضر بين يدي هُولاكُو الَّذي أبقاه لديه وأخذه معه إلى العراق.

ثم إنَّ ركن الدين أرسل ابناً آخر له [٣٢ ب] ليكون في الخدمة قائلاً: أرسلتُ أخي ليكون طليعةً لي من ولاية الري. فأعاده هُولاكُو مع عشرة آخرين من المئتي رجل الَّذين كانوا صحبته قائلاً: إذا كان ركن الدين لا يستطيع القدوم بنفسه فليرسل لنا أخاً آخر أو ابناً. فبادر ركن الدين إلى إرسال وزيره وأخٍ آخر له يُدعى شيران شاه يحمل كثيراً من التحف، مطمئنّاً إلى هُولاكُو الَّذي كان قد قال له: بما أنّك أصبحت طائعاً، فلَكَ الأمان؛ غافلاً عن أن جيشنا أصبح في بلاده.

---

(١) في ٣٠ شوال سنة ٦٥٣هـ (رشيد الدِّين، جامع التواريخ، تاريخ إسماعيليان، ١٨٠).

(٢) علاء الدين مُحَمَّد الثالث (ح ٦١٨ - ٦٥٣هـ) الإمام الإسماعيلي النزاريّ السادس والعشرون والسيّد ما قبل الأخير لقلعة أَلَمُوت (دفتري، معجم التاريخ الإسماعيلي، ٢٠٢ - ٢٠٣). استناداً إلى رشيد الدِّين، فقد وُجِد مقتولاً في شيركوه قرب أَلَمُوت «واكتُشف بعد إعدام عدد من المقرَّبين وخَدَمه الَّذين اتُّهموا بقتله، أنّ قاتلَه هو حسن المازندرانيّ الَّذي كان أخصَّ خواصِّه، وحقيبة أسرارِه، والملازم له في ليله ونهارِه. وبرغم أنّ ذلك القتل تمَّ بأمر من ركن الدين (خورشاه نجل علاء الدين)، إلّا أنّه تمَّ قتل المازندرانيّ وأُحرقت جثته، ثُمَّ قُتِل نجلُه وطفلتاه وأُحرقت جثثهم» (جامع التواريخ، تاريخ الإسماعيلية، ١٨١).

وعندما كان يرسل أحداً لمقابلة أحد الأمراء [المغول] كان يسأله: لَمَّا كنّا قد أعلنا لك طاعتنا فلماذا جئتَ إلى بلدنا؟ كان يجيب: لأنّك أصبحت طائعاً وإنّا وإيّاكَ صرنا واحداً، فقد جئنا لطلب الأعلاف لدوابّنا.

وحين وصل هُولاكُو إلى مشارف بلادهم شنَّ عليهم هجوماً كاسحاً، بحيث لو لم يكن المطر غزيراً تلك الليلة لأمكن اعتقال ركن الدين أسفل القلعة.

علم ركن الدين بما جرى فتحصَّنَ في القلعة صباحاً. وخلال ساعة حاصرت الجيوش القلعة من جميع الجهات بصورة لا يصدِّق معها أيُّ مخلوق أنّ شيئاً كهذا يمكن أن يُصنع إلَّا أن يكون قد رأى الحال بأمّ عينيه حيث أحاطوا بالجبل والآجام والصحارى بشكل لم يبق معه طريق لواحد من المشاة في أي جانب، وفي أقل من ليلة وضحاها ضربوا طوقاً حول القلعة التي كانت جبلاً شاهقاً، ويُقَدَّر محيط هذه الطوق بحوالي ستة فراسخ.

وبعد ثلاثة عشر يوماً من تبادل الرأي ومناقشة أعيان دولته وأركانها، خرج ركن الدين وحضر بين يدي هُولاكُو، فلمّا رآه أدرك أنّه طفل (٢٣ أ) ليست له الكفاءة لتولي مقاليد الحكم. وتمكّن هُولاكُو من طمأنته بلسانه إلى أن أرسل رسلاً إلى جميع القلاع والحصون التي كانت تحت سلطته في خراسان وقومس وورودبار والشام وغيرها يطلب إلى متولّيها والناس الّذين فيها بالنزول منها، فاستسلموا جميعاً، إل حدِّ أنّه باستثناء قلعة گردكوه التي مرَّ ذكرها التي ظلت مغلقة على نفسها لِما يقرب من عشرين سنة، وقلعة لَمسر التي كان فيها أقارب ركن الدين التي ظلت تقاوم لِما يزيد عن سنة كاملة، ومات أهلها بعد أن عانوا لِما يزيد على عامٍ مجرَّمٍ الطاعونَ والوَيلات، فقد استسلمت جميع القلاع الباقية التي يربو عددها على المئة من غير إراقة قطرة دم واحدة.

وفي نهاية المطاف أرسل هُولاكُو ركنَ الدين إلى شقيقه مُنْكو قاآن، وحين أخذوه إلى هناك، أبقاه لديه ثُمَّ قُتل عنده[1]، كما قُتل باقي أشقائه وأولاده ومخدَّراته ومَن يمتُّ إليه بصلة بين قزوين وأبهر، وبذلك طويت صفحة تلك الدولة.

(١) استناداً إلى رشيد الدِّين (جامع التواريخ، ٢/ ٦٩٧)، فإنَّ مُنْكو قاآن لَّما بلغه خبرُ جلبه إليه، أرسل إلى المكلَّفين بذلك يقول: لماذا تُرهقون البغل الَّذي سيحمله إليَّ؟ وأرسل مبعوثاً من قِبَلِهِ ليقتل ركنَ الدين خورشاه في الطريق. لكنّه يقدِّم رواية ثانية في القسم الخاصّ بتاريخ الإسماعيلية من كتابه جامع التواريخ المطبوع بصورة منفصلة عن التاريخ المخصَّص للمغول وقبائلهم وملوكهم المسمّى بالتاريخ الغازاني، يقول فيها إنّ خورشاه وصل إلى العاصمة المغولية قراقورم، ثُمَّ قُتل هناك (انظر: جامع التواريخ، القسم الخاص بتاريخ الإسماعيلية، ١٩٠)؛ وهذه الرواية تتفق مع رواية الجُوَيْنيّ (تاريخ جَهَانْگُشَاي، ٣/ ٧٨٠)؛ وهي التي نقلها أيضاً ابنُ العِبْرِيّ (تاريخ مختصر الدول، ٤٦٢ - ٤٦٥) من الجُوَيْنيّ، ونقلها أبو القاسم القاشانيّ في زبدة التواريخ (ص ٢٣٢). وأخيراً مؤلِّف كتاب الحوادث (ص ٣٣٠) يورد رواية يقول فيها إنّ هُولاكُو هو الَّذي أمر بقتل خورشاه.

[سنة خمس وخمسين وست مئة هجرية]

ومن هناك وفي أوائل شهور سنة خمس وخمسين وست مئة انبرى [هُولاكُو] لقتال جمع من الملوك وأهل الجبال، مثل بلاد درتنگ[١] وكلين وأيوه وغيرها واستولى عليها.

وفي شوال سنة خمس وخمسين وست مئة انطلق من ولاية همذان إلى بغداد فوصلها بعد ثلاثة أشهر، ذلك أنّه لم يكن يقطع في اليوم أكثر من فرسخ أو فرسخين وقد عبّأ الجيوش بصورة كان معها الجنود قد ملأوا الفضاء من بلاد فارس إلى بلاد الروم بأعداد لا حدّ لها ولا حصر متوجهين إلى بغداد.

تقدم عسكر فارس وكرمان من طريق خوزستان وتستر بحيث كانت ميسرته تتحرك من ساحل بحر عُمَان، بينما ميمنته منضمَّة إلى جيش (. . .)[٢] [٢٣ ب] العراق وغيره؛ وجاء جيش بلاد الروم من حدود الشام وديار بكر، بحيث كانت ميسرته قد انضمَّت إلى جيشي أران وآذربيجان، وهجموا على عراق العرب من جميع الجهات في آن واحد.

---

(١) ذكرنا في المقدمة أنّ درتنگ هي مدينة حلوان العراقية.

(٢) كلمة غير واضحة.

[سنة ست وخمسين وست مئة هجرية]

أول جمع وصل بغداد وواجه جيشها كان الأمراء بوقاتمور وبايجو نوئين وسونجاق نوئين - ونوئين[١] تعني باللغة المغولية الأمير - وكان مع كلّ واحد من هؤلاء الأمراء جيش يضم ما بين عشرة آلاف وخمسة عشر ألف مقاتل[٢]، فوصلوا إلى مشارف بغداد عند الحَربيّة[٣].

خرج جيش الخليفة الَّذي كان يقوده مجاهد أيبك[٤] الدواتدار المسمّى الدواتدار

---

(١) تُكتب (نويان) أيضاً.

(٢) ذكر رشيد الدِّين (جامع التواريخ، ٢/ ٧٠٩)، وصول هؤلاء القادة الثلاثة إلى محلَّة الحربيَّة لكنّه لم يذكر أعداد الجنود الَّذين كانوا معهم.

(٣) الحربية محلَّة كبيرة ببغداد كانت تُدعى رَبَض حَرْب كما قال ياقوت في معجم البلدان، ٢/ ٧٥٠، الَّذي أتمَّ تسويده سنة ٦٢١هـ، وأضاف: «وخرب جميع ما كان يجاور الحربية من المحالّ وبقيت وحدها كالبلدة المفردة في وسط الصحراء، فعمل عليها أهلها سوراً وجيّروها، وبها أسواق من كلِّ شيء، ولها جامع تقام فيه الخطبة والجمعة، وبينها وبين بغداد اليوم نحو ميلين» (المصدر نفسه، ٢/ ٢٣٤)، «وكان معظم سكان الحربية أولاً من الفُرس والتُّرك والمهاجرين إلى بغداد بمعيَّة العبَّاسيِّين، ثُمَّ سكَنتها الحنابلة في عصور الدولة العَبَّاسِيَّة الأخيرة» (جواد وسوسة، دليل خارطة بغداد المفصل، ٩٤)؛ قال ابن خلكان (وفيات الأعيان، ١/ ٦٥): «وقبر أحمد بن حنبل مشهور بها يُزار».

(٤) في الأصل: ببكرز. ولا معنى لها. وهو مجاهد الدين أبو اليامن أيبك بن عبد الله المستنصريّ الجركسيّ الحَنْبَليّ المعروف بالدويدار الصغير (٥٧٦ - ٦٥٦هـ)، القائد العام للقوات المسلَّحة العَبَّاسِيَّة، وكان هو الحاكم الحقيقيّ للعراق آنذاك وليس المستعصم بالله، بل إنَّه أراد خلعه في سنة ٦٥٤هـ، ففي تلك السنة «امتدت أيدي جمع من العيَّارين والشُّطَّار والغوغاء والأوباش بالاعتداء على الناس، فكانوا يسلبون كلَّ يوم جمعاً من خلق الله الأبرياء؛ وكان مجاهد الدين ←

الصغير - وكان قطبَ رحى جيش الخليفة المستعصم بالله أبي أحمد ودولته- لمواجهة الجيش الَّذي كان سونجاق نوئين قد جاء بطليعته التي تضمّ ما بين أربعة آلاف إلى خمسة آلاف مقاتل، فانقضَّت تلك الطليعة على جيش الخليفة وألحقت به هزيمة نكراء وطاردته لمسافة أربعة فراسخ حتى البشيرية من ناحية الدجيل.

→

أبيك الدواتدار يحمي أولئك الغوغائيين والأوباش، حتى أصبح في مدَّة قصيرة صاحب شوكة ونفوذ. ولّما رأى نفسه قوياً والخليفةَ المستعصم عديم الرأي والتدبير وساذجاً، اتفق مع جمع من الأعيان على خلعه...» ، لكن الوزير ابن العَلْقَمِيّ أحسَّ بتلك الدسيسة فأخبر الخليفة بها (رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٦٩٨)، ممَّا أدى إلى توتر العلاقة بين الرجلين، وأدى من ثمّ إلى أن ينبري الدويدار الصغير إلى معارضة ابن العَلْقَمِيّ حتى في الأمور الخطيرة الخاصة بأمن الدولة؛ فعندما نصَحَ الوزيرُ ابنُ العَلْقَمِيّ الخليفة أن يرسل وفداً محمَّلاً بالهدايا إلى هُولاكُو لفتح باب التفاوض كي ينصرف عن بغداد، أحبط الدويدار تلك المحاولة، يقول الذَّهَبِيّ: «في سنة ٦٥٥هـ سار هُولاكُو من همذان قاصداً بغداد ، فأشار ابن العَلْقَمِيّ الوزير على الخليفة ببذل الأموال والتحف النفيسة إليه ، فثناه عن ذلك الدويدار وغيره، وقالوا: غرض الوزير إصلاح حاله مع هُولاكُو . فأصغى إليهم وبعث هدية قليلة مع عبد الله ابن الجوزي، فتنمَّرَ هُولاكُو» (تاريخ الإسلام، ٤٨/ ٣٢). ثُمَّ بعث الدويدار بمَن أشاع أنّ الغوغاء سيهاجمون أعضاء الوفد المتوجِّه إلى هُولاكُو ويذيقونهم أبشع أنواع العذاب، وسينهبون الهدايا التي سيبعث بها الخليفة لهولاكو إنْ هو أَقْدَمَ على ذلك (انظر: رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧٠٢)، ممّا أخافَ الخليفة فلم يرسل ذلك الوفد، وظلَّ هولاكو يتقدم نحو بغداد حتو وصلها وطوَّقها؛ وكان عداء الدويدار الصغير للوزير ابن العَلْقَمِيّ جارفاً إلى درجة أنّ «أتباعه من غوغاء المدينة وأوباشها كانوا يذيعون بين الناس أنّ الوزير متفق مع هُولاكُو خان وأنّه يريد نصرتَه وخذلانَ الخليفة» (رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧٠٢ - ٧٠٤)؛ انظر تفاصيل مهمة عن حياته وأدواره السياسية والعسكرية في كتابنا إعادة كتابة التاريخ (٤٨ - ٥٠، ١١٠ - ١١١، ١٢٢).

وحين حلَّ الظلام توقَّفت [القوة المغولية] هناك، كما أنَّ جيش بغداد لم يرجع إلى المدينة(١).

في تلك الليلة، أرسل سونجاق الى بوقاتيمور وبايجو فحضرا على الفور بجيشيهما وانضمَّا إليه فطوّق الجميعُ جيشَ بغداد، وقبل أن يطلع الصباح، ارتفعت صرخاتهم وسلُّوا سيوفهم فأصبح جيش بغداد كما لو كان قد غرق في بحر.

بادر الدواتدار مع جوقة من الخيّالة إلى شَقِّ صفوف الجند المغول وتسلَّل من الميدان، وتحوّل بعض الجنود الأتراك الجياع إلى الجانب الآخر وغادروا إلى جهة الشام(٢).

---

(١) ذكر رشيد الدِّين (جامع التواريخ، ٢/ ٧٠٩)، هذا الموضع باسم «البشرية»؛ والصواب البشيرية. وهي من محلات الجانب الغربي من بغداد، اشتهرت بوجود «المدرسة البشيرية لطائفة الحنابلة» (ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ٤/ ٣١١، ٤٢٦، ٤٣٠)، وهي «على شاطئ دجلة بغربي بغداد» (مجهول، كتاب الحوادث، ٣١٩، ٣٢٣).

(٢) كان جند الخليفة جياعاً بسبب بخله وانهماكه في الإنفاق على الغناء والطرب والرقص واللعب بالطيور. فبعد حوالي شهرين من تولِّي المستعصم للخلافة (سنة ٦٤٠هـ)، حدث أن تمردت إحدى القطعات العسكرية بسبب قلة الرواتب (مجهول، كتاب الحوادث، ١٩٧ - ١٩٨)؛ وفي حوادث سنة ٦٤٨هـ: «ثارت طائفة من الجند ببغداد ومنعوا يوم الجمعة الخطيب من الخطبة، واستغاثوا لأجل قطع أرزاقهم...، وكان الخليفة قد أهمل حال الجند وتعثروا وافتقروا وقطعت أخبازهم ونظم الشعر في ذلك» (الذَّهبيّ، تأريخ الإسلام، ٤٧/ ٦٣، ٤٨/ ٣٢، حوادث سنة ٦٥٥هـ). وقبل عام من وصول المغول بغداد: «كان الخليفةُ قد أهمل حال الجند ومَنَعَهم أرزاقهم وأسقطَ أكثرَهم من دساتير ديوان العرض. فآلت أحوالهم إلى سؤالِ الناسِ وبذْلِ وجوهِهم في الطلبِ في الأسواقِ والجوامعِ، ونَظَمَ الشعراءُ في ذلك الأشعارَ» (مجهول، كتاب الحوادث، ٣٥٠؛ ابن شاكر، عيون التواريخ، ٢٠/ ١٢٩).

ووصل هُولاكُو من جانب طريق خراسان، وكان المغول قد قطعوا اثني عشر ألف أُذن من آذان جيش الدواتدار الَّذين كانوا قد قتلوهم [٢٥ أ] وأرسلوها إلى هُولاكُو[١]، وكان هؤلاء غير أولئك الَّذين غادروا المعركة وسقطوا في المياه والغدران.

ولَمَّا وصل هُولاكُو إلى بغداد وقَف مَن بقيَ من الجيش [العَبَّاسيّ] في المدينة على السور. وكان قد تفشَّى وباءٌ في المدينة قبل أن يصل جيش المغول إليها بسبب ازدحام الناس فيها، حيث كان جميع سكان السواد المحيطين ببغداد قد قدِموا إليها، وحدث قحط وشظف في العيش وغلاء عظيم[٢]، ومات كثيرون وبلغ عدد الموتى من الكثرة حداً أن كان الأموات يجهزون ويدفنون من بيت المال بادئ الأمر، وفيما بعد ساء الوضع بحيث لم يكن أحد يغسِّل الموتى ويدفنهم، بل كانوا يلقون بهم في الشط لكثرتهم، ولم يكن لدى الحَمَّالين متسع من الوقت لنقلهم.

وأخيراً أمر الخليفة بأن يفرَّغ في كلِّ محلَّة خانٌ ليلقى الأموات فيه، وحين يمتلئ يخرجونهم، فإن أمكنت الفرصة دفنوهم.

---

(١) في عام ١٢٣٦م/ ٦٣٤هـ شنَّ باتو حفيد جنكيز خان هجوماً على بلاد الصقالبة واللان والروس والبلغار، منطلقاً من ضفاف نهر الفولغا، يقول ابن العِبْرِيّ: «فقتَلَ فيها خلائقَ بلغ عددهم مئتي ألف وسبعين ألفاً، عُلِمَ ذلك من آذان القتلى التي قطعوها امتثالاً لمرسوم قاآن، لأنه تقدَّم بقطع الأُذن اليمنى من كلّ قتيل» (تاريخ مختصر الدول، ٤٣٤، انظر أيضاً: ابن العِبْرِيّ، تاريخ الزَّمَان، ٢٧٩).

(٢) نقرأ في وقائع ٦٥٥هـ عن تقدُّم جيش هُولاكُو باتجاه بغداد وكيف أنّ أهل السواد المحيط بالعاصمة كانوا يهربون من بين يديه ويدخلون بغداد متصورين أنّ جيش الخليفة سيحمي البلاد والعباد: «حتى امتلأت شوارعها، فضاقت على سِعَتِها عنهم، فقعدوا في الطرقات والدكاكين، وغَلَت الأقوات ووقع الناس في الخوف الشديد والويل العظيم» (مجهول، كتاب الحوادث، ٣٥١).

وصل الجيش المَغُوليّ ولم يبادر للقتال.

ثم وصل هُولاكُو إلى المدينة ونصب المجانيق بحيث وضعوا في مواجهة باب الحلبة والظفرية(١) ستة عشر منجنيقاً على أحد الأبراج وكانت ترمي أحجاراً يتراوح وزنها بين مئة مَنّ وخمس مئة مَنّ، فدكُّوا ذلك البرج الّذي يُدعى برج العجميّ(٢) خلال يوم وليلة.

ولمّا لم يكن في أطراف بغداد أحجار للمجانيق [٢٥ ب] بل كان يؤتى بها من جلولاء وجبل الحِمْرِين(٣)، فقد بادروا إلى تقطيع جذوع النخيل بالمناشير واستعملوها

---

(١) بعد أن اتسعت بغداد في العصور اللاحقة عمّا كانت عليه في عهد أبي جعفر المنصور، بوشر سنة ٤٨٨هـ على عهد الخليفة المستظهر بإنشاء سور عظيم وخندق يحيطان بهذه المدينة الجديدة ويضمّان داخلها دارَ الخلافة وسورها وجميع العمران الّذي نشأَ حولها، وأُكملَ إنشاؤه في عهد الخليفة المسترشد، وقد جُعلت له أربعة أبواب كان أحدها يُدعى باب الظفرية، وكان يُعرف أحياناً بباب خراسان، وما يزال قائماً بقرب تربة الشيخ عمر السهرورديّ، ويُعرف اليوم باسم الباب الوسطاني؛ ودُعي الباب الثالث باب الحَلبة الّذي جدّده الخليفة الناصر سنة ٦١٨هـ، وعُرِفَ في العهد الأخير باسم باب الطلسم، وبقي قائماً إلى سنة ١٩١٧م، ففي هذه السنة نسَفَه الأتراك بالبارود عند خروجهم من بغداد؛ وموقعه في شرقي محلة باب الشيخ الحالية (لخّصناه من جواد وسوسة، دليل خارطة بغداد المفصل، ١٦٠ - ١٦١).

(٢) قال الدكتور جواد عن هذا البرج: «منسوب إلى الشيخ الزاهد الفقيه الواعظ محي الدين عبد القادر الجيليّ المعروف بالكيلانيّ (٤٧١ - ٥٦١هـ)، وكان يُعرف عند أهل بغداد بالعجميّ لأنّه قدم من جيلان وهي بلاد عجمية» (تعاليقه على مختصر التأريخ لابن الكازَرُونيّ، ٢٧٢)؛ ونقل الشطنوفي في بهجة الأسرار (الورقة ١٧٥أ) قولَ الشيخ الكيلاني عن نفسه: «أقمتُ في البرج المسمّى ببرج العجميّ إحدى عشرة سنة، وبطول إقامتي فيه سمّي برج العجمي». وكان يقع قرب باب الحلبة المعروف بباب الطلسم.

(٣) يعرف الآن باسم جبال حمرين.

قذائف للمجانيق، إلى أن أصيب الناس بالهلع وطلب الخليفة الأمان وأعلن أنّه مستعد للصلح وأن يكون مطيعاً لهولاكو(١).

فأمر هُولاكُو المغولَ الَّذين تسوَّروا السُّور أن لا يتراجعوا وأن يظلُّوا في مواضعهم إلى أن يخرج الخليفة، وأرسل إليه رسولاً قائلاً: إن كنتَ أصبحت طائعاً لي فأخرج جنودَك لنحصيَهم، وحين نرى الوقت مناسباً سنأخذ منهم مَن نشاء(٢).

أمر الخليفة جنوده بالخروج من المدينة؛ ثُمَّ أرسل هُولاكُو إلى قادة جيش الخليفة، الدواتدار أولاً ومن بعده سليمان شاه وغيرهما يَرليغاً وپايزة لكلِّ واحدٍ منهم ليخرجا مصطحبينِ جنودَهما لكي يأخذهم معه مدداً إلى بلاد الشام والروم.

---

(١) يقول المؤرِّخ ابن العِبْرِيّ (تاريخ الزَّمَان، ٣٠٧ - ٣٠٨): «لَمَّا أَيِسَ الخليفةُ المستعصم التاعس الحظ، استدعى ابن العَلْقَمِيّ وزيرَه ونجمَ الدين ابن الدرنوس ومار مكيخا الجاثليق، وأمرهم أن يأخذوا ذهباً كثيراً وبضائع مَلَكيَّة وخيولاً عربيَّة، وأن يطلقوا سفراء التتر من السجن ويوشِّحوهم ويُسنوا لهم الهدايا الوافرة ويذهبوا معهم إلى ملك الملوك، ويطلبوا الأمانَ له ولأبنائه وأهله، ويعتذروا له بأنَّ ما جرى إنّما جرى على يد مشيرين أشرار، وأنّهم إنْ ظلُّوا على قيد الحياة أمسوا عبيداً خاضعين يؤدُّون له الجزية. ولّما سار هؤلاء وأكملوا سفارتهم، ثبَّطهم هُولاكُو ولم يأذن لهم أن يعودوا إلى الخليفة؛ وشدَّد القتال».

(٢) كانت هذه واحدة من حِيَل هُولاكُو، فبعد أن أعلن الخليفة لهولاكو أنّه مستعدٌّ للاستسلام وأن يصبحَ عبداً له مدى الحياة، وكان هُولاكُو يريد دخول بغداد بأقلّ الخسائر، وكانت هناك مقاومة شعبية من قِبَل بعض سكان المدينة من ذوي النجدة والحَمِيَّة، طلبَ إلى المستعصم أن يصدر أمراً بأن يلقي أهل المدينة أسلحتهم ويأتوا إلى خارج المدينة ليقوم بإحصائهم، وقد صدَّق الخليفة المستعصم الساذج أقوال هُولاكُو الَّذي استخدمه شَرَكاً للإيقاع بالمقاتلين الَّذين ظلوا يحملون أسلحتهم مدافعين عن بغداد وأهلها «فأرسل الخليفةُ مَن ينادي في المدينة ليضع الناس أسلحتهم ويخرجوا، فألقى الناس أسلحتَهم زمراً زمراً وصاروا يخرجون فكان المغول يقتلونهم» (رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧١٢).

وحين خرج جيش بغداد منها[١]، خرج معه عدد لايُحصى من السُّكّان المدنيين متصوِّرين أنّهم إن غادروا فسيكونون بأمانٍ، وأنّ بقاءهم في المدينة أسوأ لهم من مغادرتها، بينما كان ما حدث هو خلاف ذلك، حيث سلم مَن كان قد اختبأ في الشقوق والحفر ومواقد الحَمّامات والآبار داخل المدينة، أمّا مَن خرجوا منها فقد تمَّ تقسيمهم على مجاميع تضمُّ العشرة آلاف أو الألف والمئة والعشرة وقُتِلوا جميعاً[٢].

---

(١) عرّفنا باليرليغ والپايزة في «قائمة بالكلمات المغولية...» . كان هُولاكُو ينوي التوجُّه - بعد احتلاله العراق - إلى بلاد الشام، ولذا فقد خدع هذين القائدينِ العباسيينِ بأنّهما إنْ أقنعا من بقيَ من جنودهما بالمجيء معهما فإنّه سيأخذهم معه جنوداً مرتزقة يستعين بهم على فتح بلاد الشام ومصر، فذهبا إلى المدينة وجَلَبا من قدرا على جَلْبِه من جنودهما - وكانوا خلقاً لا يُحصى جاؤوا على أمل الخلاص - فقسَّمهم المغولُ ألوفاً ومئاتٍ وعشرات وقَتَلوهم بأسرهم. وكان مع سليمان شاه ٧٠٠ شخص من أقاربه؛ فأمر هُولاكُو بقتله وقتل جميع أقاربه، كما قَتَلَ الدويدارَ الصغير (انظر: رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧١١ - ٧١٢).

(٢) نقرأ في كتاب الحوادث (ص ٣٥٩ - ٣٦٠) (وروايته رواية بغدادية أصيلة تستند إلى شهود عيان)، صورة مرعبة لِما حدث: «وأُحرق معظم البلد وجامع الخليفة وما يجاوره واستولى الخراب على البلد. وكانت القتلى في الدروب والأسواق كالتلول، ووقعت الأمطار عليهم ووطئتهم الخيول، فاستحالت صورهم وصاروا عبرة لَمن يرى. ثُمَّ نودي بالأمان فخرج من تخلَّف وقد تغيرت ألوانهم وذهلت عقولهم لِما شاهدوا من الأهوال التي لا يُعبَّر عنها بلسان وهم كالموتى إذا خرجوا من القبور يوم النشور، من الخوف والجوع والبرد...، وقيل إنّ عِدَّة القتلى ببغداد زادت عن ثمان مئة ألف نفس، عدا مَن أُلقي من الأطفال في الوحول ومَن هلك في القَنا والآبار وسراديب الموتى جوعاً وخوفاً. ووقع الوباء فيمَن تخلَّف بعد القتل من شمِّ روائح القتلى وشرب الماء الممتزج في الجيف. وكان الناس يكثرون من شمِّ البصل لقوة الجيفة وكثرة الذباب، فإنّه ملأ الفضاء وكان يسقط على المطعومات فيفسدها».

ثم أمر هُولاكُو بإحصاء القتلى فبلغ عددهم مليوناً واثنين وعشرين ألف إنسان[١].

وبعد أن دخل هُولاكُو المدينة وتجوَّل في قصر الخليفة وأقام حفلاً هناك[٢]، أَخرج الخليفةَ من باب المدينة واقتاده [٢٦ أ] إلى قرية تُدعى الوَقْف، وبذلك أصبحا خارج المدينة[٣].

---

(١) تراوح تقدير أعداد الضحايا ببغداد لدى المؤرِّخين، فبدأ من ٨٠٠٠٠٠، حتى انتهى إلى ٢٨٠٠٠٠٠ إنسان (عن هذه الأرقام، انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ٣٦٠؛ بَيْبَرْس المنصوري الدوادار، زبدة الفكرة، ٣٨، حيث قال إنّ القتلى كانوا ٢٣٣٠٠٠٠ نسمة؛ الذَّهَبِيّ، تأريخ الإسلام، ٤٨/ ٣٦، دول الإسلام، ٢/ ١٧٣؛ ابن شاكر، عيون التواريخ، ٢٠/ ١٣٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/ ٢٣٥؛ ابن خلدون، العبر، ٣/ ٥٣٧؛ ابن دقماق، نزهة الأنام، ٢٣٩؛ العَيْنِيّ، السيف المهند، ٢٠٩؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ٣/ ١٢٨؛ الخوافي، مجمل فصيحي، ٢/ ٣٢٦؛ خواند مير، حبيب السير، المجلد الثالث/ الورقة ٢٦ب؛ الديار بكري، الخميس في أحوال أنفس نفيس، ٢/ ٤٢١؛ القرماني، أخبار الدول، ٢/ ١٩٦؛ أبو الغازي، شجرة الأتراك، اللوح المصوَّر رقم ١٠٦٥٢٤٣٤، الَّذي ذكر أنّ عدد الضحايا كان مليوناً و٨٠٠ ألف). وقال أحد مواطنيها مِمَّن وُلد بعد سنتين من الواقعة إنّهم «قتلوا أهلَها كلَّهم فلم يبقَ منهم غير آحاد» (ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ١/ ٢٠٩).

(٢) حين دخل هُولاكُو إلى قصر الخليفة قال له: نحن ضيوفك فقدِّم لنا ما تضيفنا به، فكسر عدة خزائن واستخرج منها ثياباً وعشرة آلاف دينار ونفائس وجواهر، فلم يعبأ بها هُولاكُو ووزّعها على الأمراء، ثُمَّ قال له إنّه يريد الكنوز التي تحت الأرض، فاعترف الخليفة بوجود حوض مملوء بالذهب في ساحة القصر، فحفروا الأرضَ حتى وجدوه، وكان ملآنَ بالذهب الأحمر وكان كلُّه سبائك تزن الواحدة مئة مثقال (رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧١٣؛ حَمْدُ الله المُسْتَوفي: إنّ عمق الحوض كان خمسة أذرع، وكان ملآنَ بسبائك الذهب التي وزن الواحدة منها ٣٠٠ مثقال(تاريخ گزيده، ٥٨٩؛ النطنزي، منتخب التواريخ معيني، ١٠٩).

(٣) أي هُولاكُو والخليفة.

في يوم [الأربعاء الرابع عشر من شهر صفر][١]، وعند الصلاة الثانية سنة ست وخمسين وست مئة استُشهد الخليفة[٢]، ولم يُعرف ما إذا كان نجلاه الأكبران قد استشهدا قبله أو بعده[٣].

---

(١) ما بين العضادتين فراغ في الأصل، فاقتبسناه من جامع التواريخ، ٢/ ٧١٤. هناك رواية تقول إنّ هُولاكُو «قدَّم بين يدي الخليفة طبقاً مملوءاً بالذهب وطلب إليه أن يأكل؛ فقال الخليفة: إنّه ليس ممّا يؤكَل. فقال هُولاكُو: إذن لماذا ادَّخرته ولم توزِّعه على جنودك؛ لِمَ لَمْ تصنع من أبواب الحديد هذه نِصالاً وتأتِ إليَّ إلى شاطئ جيحون لتمنعني من العبور؟ أجاب الخليفة: هكذا كان ما قدَّره الله. قال الملك (هُولاكُو): إنّ ما سيحلُّ بك أيضاً سيكون من تقدير الله» (مجهول، «رسالة في كيفية واقعة بغداد»، ٣/ ٧٨٨؛ معين الدين الأسفزاري، روضات الجنات، الورقة ٢١٨).

(٢) استناداً إلى المؤرِّخين البغاددة الَّذين كانوا فيها حين اجتاحها المغول فإنَّ الخليفة«لم يُهرَق دمُه، بل جُعل في غرارة ورُفس حتى مات، ودُفِن وعُفي أثرُ قبرِه» (مجهول، كتاب الحوادث، ٣٥٧)، قلتُ: هذه رواية المؤرِّخ ابن الكازَرُونيّ وهي في سير أعلام النبلاء، ٢٣/ ١٨٣. ويمكن مقارنة ما ورد فيه بما في مختصر التأريخ لابن الكازَرُونيّ، ٢٧٣ - ٢٧٤. وقال النويري إنّ هُولاكُو أمر أن يُجعَل في جوالق ويُداس بأرجل الخيل، ففُعل به ذلك حتى مات، وعلَّق قائلاً: «ومن عادة التتار أنّهم لا يسفكون دماء الملوك والأكابر غالباً» (النويري، نهاية الأرب، ٢٧/ ٢٥٨). يمكن مراجعة كتابنا إعادة كتابة التاريخ (الطبعة الثانية)، ١٣٦ - ١٤٠، لمعرفة تفاصيل أُخر عن هذه الواقعة.

(٣) استناداً إلى رشيد الدِّين (جامع التواريخ، ٢/ ٧١٤)، فإنَّ المغول قتلوا مساء الأربعاء الرابع عشر من صفر سنة ٦٥٦هـ الخليفةَ وابنَه الأكبرَ وخمسةً من الخدم كانوا برفقته، ثُمَّ قتلوا نجلَه الأوسطَ يوم الجمعة السادس عشر من صفر، بينما سُلِّم ولده الأصغر مبارك شاه إلى أولجاي خاتون (زوجة هُولاكُو)، فأرسلته إلى مراغة ليكون برفقة نصير الدين الطُّوسيّ، وقيل: إنّها أرادته لكي يلاعب ابنها مُنكوتيمور (انظر: رشيد الدِّين، جامع التواريخ، تاريخ إيران وإسلام، ٢/ ١٥٢٣)؛ ثُمَّ إنّهم زوَّجوه امرأة مغولية فأنجب منها ولدين؛ لكن الذَّهَبيّ يقول: إنّه خلَّف ثلاثة أبناء، وتوفي سنة ٦٧٧هـ، وكان عمره آنذاك ٣٧ سنة (: انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، ٥٠/ ٢٧٨).

وعادت الجيوش من هناك [من بغداد] وكانت حرارة الجوّ قد ازدادت وروائح التعفُّن تزكم الأُنوف، وتفشّى الوباء ومَرِضَ أغلبُ الجنود المغول ومات الكثير منهم، فغادروا إلى بلاد سياه كوه وهمذان(١).

وفي اليوم العشرين مَرِضَ هُولاكُو، ثُمَّ شُفي، وتوجَّه في الشتاء إلى أرَّان وموقان(٢). وفي آخر الشتاء أرسل جيشاً بقيادة نجله يشموت(٣) إلى ديار بكر، وذهب هو إلى مَيَّافارقين(٤) وضرب حصاراً عليها(٥)؛ وفي أول الصيف وصل يشموت.

---

(١) سياه كوه منطقة تابعة لمدينة همذان؛ يقول العلَّامة مُحَمَّد قزويني: «لا يخفى أنّ محل إقامة هُولاكُو ومعسكره خلال السنوات ٦٥٤ - ٦٥٦هـ، أي في المدة الواقعة بين فتحه قلاع أَلَمُوت وفتح بغداد، وكذلك المدة القصيرة التي أعقبت فتح بغداد، كان في أطراف همذان ومنها سياه كوه، وذلك قبل أن ينقل مقرَّه إلى آذربايجان (مراغة، تبريز، آلاتاغ) بصورة نهائية» (تعاليقه على تاريخ جَهَانْگُشَاي للجويني، ٣/ ٤٠١). كما كانت محط رحال الملوك المغول اللاحقين وعساكرهم في الأزمنة التالية (انظر مثلاً: مجهول، كتاب الحوادث، ٤٦٨، ٥١٥، ٥١٦؛ ابن العِبْرِيّ، تاريخ مختصر الدول، ٤٧٥، تاريخ الزَّمَان، ٣٧٢، ٣٧٧).

(٢) يقول رشيد الدِّين: إنّ هُولاكُو وصل إلى أغروق الواقعة في حدود همذان في يوم الأربعاء الحادي عشر من ربيع الآخر سنة ٦٥٦هـ، وتوقف عن الرحيل لوعكة أصابته، لكنّه تماثل للشفاء بعد أسبوع (انظر: جامع التواريخ، ٢/ ٧١٥).

(٣) يكتب أيضاً: يشمُت، أشموط (انظر: وصَّاف الحَضْرَة، تجزية الأمصار (تحرير آيتي)، ٣٣؛ مجهول، كتاب الحوادث، ٣٧٠).

(٤) قال ياقوت: إنّها أشهر مدينة بديار بكر (انظر: معجم البلدان، ٤/ ٧٠٣).

(٥) بعد معارك استبسل فيها المدافعون عن المدينة بقيادة حاكمها الملك الكامل الأيوبي الَّذي قاتل بضراوة إلى أن أُسر ثُمَّ قُتل، انتهى حصار المدينة بموت أكثر سكانها جوعاً ثُمَّ دخلها المغول فقتلوا أغلب مَن ظلَّ حياً (انظر: ابن العِبْرِيّ، تاريخ مختصر الدول، ٤٨٨؛ رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧٢٥ - ٧٢٧).

[سنة سبع وخمسين وست مئة هجرية]

في خريف هذه السنة أي سنة سبع وخمسين وست مئة توجه هُولاكُو بنفسه إلى الشام واستولى على جميع ديار بكر والشام وقَتَلَ أغلب أهل حلب[١].

بينما أرسل أهل دمشق إليه رسولاً وتحفاً، وغادر السلطان الملك الناصر دون قتال وسلّم (. . .)[٢]، وكان السلطان قد ذهب إلى بلاد مصر واليمن.

---

(١) عندما تحرَّك هُولاكُو بجيشه لفتح بلاد الشام في ٢٢ رمضان سنة ٦٥٧هـ، استعان بقوَّة أرسلها حاكم الموصل بدر الدين لؤلؤ، فقد أرسل إلى هذا الحاكم قائلاً: «لكونك قد بلغت التسعين فإنّنا نعفيك من القدوم معنا، لكن عليك أن تبعث بابنك الملك الصالح ليكون في خدمة الرايات المتوجِّهة لفتح بلاد الشام ومصر. وامتثالاً منه للأمر، أرسل بدر الدين نجله الملك الصالح، وحين وصل أهداه هُولاكُو ابنة السلطان جلال الدين خوارزم شاه ليتزوجها، ثُمَّ بعثه على رأس جيش لفتح مدينة آمد...» (رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧١٩؛ انظر أيضاً: ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ١١٦).

(٢) كلمة غير مقروءة. وهذا الملك هو «الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملك العزيز مُحَمَّد ابن الملك الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، صاحب حلب والشام»، وهو آخر مَن مَلَكَ دمشق من الأسرة الأيوبية (ابن طولون الصالحي، إعلام الورى، ٣). لمّا جاءه خبر قدوم قوات هُولاكُو «هرب من دمشق، وكان قد اجتمع إليه عساكر كثيرة تناهز المئة ألف، فترك الجميع وهرب في سادس صفر سنة ثمان وخمسين وست مئة. وجرى له ما جرى مع المُغُل، واستصحبوه معهم وقتلوه وقتلوا أخاه والصالحَ بن شيركوه» (الصَّفَديّ، تحفة ذوي الألباب، ٢/ ١٥٤ - ١٥٥). ويقول ابن العِبْرِيّ إنّه أخذ نساءه وأبناءه وعبيده وجميع ما يعزّ عليه وغادر دمشق منهزماً إلى بريّة الكرك والشوبك (تاريخ مختصر الدول، ٤٨٧، تاريخ الزَّمَان، ٣١٥؛ انظر أيضاً: ابن واصل، مفرج الكروب، ٦/ ٢٧١، الذي يقول إنه وصل إلى غزة «ونزل بها معه خلق من التركمان والأكراد الشهرزورية».

أرسل هُولاكُو إلى دمشق شِحْنَة[١] وحاكماً هما علاء الدين الجاستيّ[٢] والقاضي شمس الدين القُمِّيّ[٣]، والعجيب أن أغلب أهل دمشق كانوا من اليزيدية بينما كان كلا هذين شيعيّاً قُمِّيّاً، فرحّب بهم أهل دمشق بشكل لم تمسّ معه هذينِ العظيمينِ ذرّةُ سوءٍ أبداً[٤].

(١) كان منصب الشِّحنة يعادل اليوم منصب مدير الشرطة أو مَن يُوكل إليه الأمن في البلد.

(٢) في الأصل: «الجاسي»، فصحّحها محقّق الطبعة الفارسية إلى الجاستي مستدلاً بقول المؤلِّف إنّهما من أهل قم، وقال: إنّ جاست ناحية تابعة لمدينة قُم.

(٣) استناداً إلى جامع التواريخ (١/ ٧٢٠)، فإنّ المعيَّنين كانوا ثلاثة: علاء الدين الجاشيّ، وجمال الدين قرقاي القَزْوينيّ، والقاضي شمس الدين القُمِّيّ.

(٤) أما السبب الذي حدا أهل دمشق على إرسال الهدايا والتحف محاولةً منهم لإرضاء هذا الغازي الغاشم وتعاملهم المسالم مع الشحنة والحاكم، فاستناداً إلى رشيد الدِّين (جامع التواريخ٢/ ٧٢٠)، فإنّهم حين «أحسُّوا بالرعب ممَّا ارتكبه الجيش المَغُوليّ من مآسٍ، ولمَّا علموا بأنّ جميع أطراف الشام ونواحيها أصبحت تحت سلطة هُولاكُو، توجَّه إلى الحضرة جمعٌ من كبار شخصياتها وأعيانها حاملين شتى أنواع التحف والهدايا مع مفتاح باب المدينة، وأعلنوا طاعتهم وانقيادهم وتسليمهم المدينة، فأمر هُولاكُو القائدَ العسكريّ كيتوبوقا نويان أن يذهب إلى دمشق لاستطلاع جلية الأمر، فلمّا وصل استقبله أهل المدينة وطلبوا منه الأمان، فأرسل كيتوبوقا أشرافهم وأعيانهم إلى حضرة هُولاكُو الَّذي أشفق عليهم وأجابهم إلى ما طلبوه، ثُمَّ إنّ المغول دخلوا المدينة من غير حصار ولا قتال»؛ انظر أيضاً: وصّاف الحَضْرَة، تجزية الأمصار (تحرير آيتي)، ٣٤.

[سنة ثمان وخمسين وست مئة هجرية]

وفي شهور سنة ثمان وخمسين وست مئة، كان كدبوقا نوئين قطبَ رَحَى جيش المغول[١] [٢٦ ب]، برغم وجود عدةِ أمراء كانوا أعلى منه في المقام والرُّتبة، لكنْ لم يكن هناك مِن بينهم مَن يساويه في الشجاعة وسداد الرأي، ومن بعده لم يحقق جيش المغول أية فتوحات.

وكان خلال الصيف في بعلبك مع تومانٍ من الجُند (عشرة آلاف جندي)، وكان جيش الشام ومصر تحت إمرة السلطان قُدُز[٢] الَّذي كان هو الآخر من أسباب الفساد من الكامليين[٣] الَّذين كانوا سلاطين الشام ومصر. فأجمعوا رأيهم على التجمع في الكرك والشوبك.

وكان كدبوقا قد أرسل طليعته بقيادة الأمير بايدر إلى غَوْر غَزَّة[٤].

---

(١) يُكتب أيضاً: كتبغا نويان.

(٢) هو الملك مظفر الدين قُطُز، سيف الدين: «ثالث ملوك الترك المماليك بمصر والشام. وكان المغول بعد تخريب بغداد قد وصلوا إلى دمشق، وهدَّدوا مصر، فجمع الأموال والرجال، وخرج من مصر، فلقي جيشاً منهم في عين جالوت بفلسطين، فكسرهم سنة ٦٥٨هـ وطارد فلولهم إلى بيسان فظفر بهم، ودخل دمشق في موكب عظيم، وعزل مَن بقي من أولاد بني أيوب واستبدل بهم مَن اختار من رجاله. ورحل يريد مصر، وبينما هو في الطريق تقدَّم منه أتابك عسكره بَيْبَرْس ووراءه عدد كبير من أمراء الجيش فتناولوه بسيوفهم فقتلوه سنة ٦٥٨هـ» (الزركلي، الأعلام، ٥/ ٢٠١).

(٣) لا بدَّ مِن أن يكون هؤلاء من بقايا جيش الملك الكامل مُحَمَّد غازي (المظفر) بن مُحَمَّد (العادل) الأيوبيّ صاحب ميَّافارقين(انظر عنه: الزركلي، الأعلام، ٦/ ٣٢٤)، الَّذي قلنا إنَّه قاتَلَ المغولَ ببسالة منقطعة النظير إلى أن قتلوه سنة ٦٥٨هـ.

(٤) استناداً إلى جامع التواريخ (٢/ ٧٢٢)، فإنّ بايدر هذا كان طليعة جيش المغول في غزّة.

وعندما توجه قُدُز نحو الشام أرسل بايدر إلى كدبوقا يقول إنّهم جيش جرّار فماذا تأمر؟ فقال كدبوقا: حذارِ أن تتراجع خطوة واحدة فأنا قادم بنفسي. وإلى حين وصول الجواب، وصل جيش قُدُز إلى بايدر وطارده [حتى شاطئ نهر العاصي][1].

ثمّ إنّ كدبوقا لمّا وَصَلَ إلى هناك وجّهَ إلى بايدر كلاماً قاسياً قال فيه: لِمَ لَمْ تَثْبُتْ لتُقتَل ها هنا؟ فقال بايدر: لم أتمكّن من الثبات وعليك أنت أن تثبت.

وفي اليوم التالي وقبل انبلاج ضوء الصباح، باغت جيشُ الشام جُندَ كدبوقا فلم ينجُ منهم فارس واحد حيث قُتِلَ كلُّ مَن ثبتَ في الميدان من جيشه. وهرب الباقون من بلد غَزَّة متجهين نحو مدينة حمص وضفة نهر العاصي، وقُتل كدبوقا هناك [٢٧أ] وقام جيش الشام ومصر بأسر أولاد كدبوقا ونسائه وبقية نساء جنود جيشه وأطفالهم ممّن كانوا في بعلبك وبقاع الشام الأُخرى ومصر.

وخلال هذه الصراعات والحروب، وبتحريض من ركن الدين بَيْبَرْس[2] البُنْدُقْدَار وإشارة منه قُتل السلطان قُدُز بأيدي الناس وبأيدي المقربين منه.

ثم إنّ ركن الدين بَيْبَرْس تسنّم عرش السلطنة في مصر والشام وتلك الأقاليم، وقد أدار مقاليد الأمور فيها بتدبير، ولم نرَ في التاريخ أحداً كان يماثله في الرأي والنظام.

---

(١) اقتبسنا هذه الزيادة من جامع التواريخ، ٢/ ٧٢٢.

(٢) في الأصل «بكدش»، ولا معنى لها. وهو الملك ركن الدين بَيْبَرْس العلائي البندقداري (٦٣٥ – ٦٧٦هـ): «وكان شجاعاً جباراً، يباشر الحروب بنفسه. وله الوقائع الهائلة مع التتار والإفرنج (الصليبيين) وله الفتوحات العظيمة، منها بلاد (النوبة) و (دنقلة) ولم تفتح قبله مع كثرة غزو الخلفاء والسلاطين لها. وفي أيامه انتقلت الخلافة إلى الديار المصرية سنة ٦٥٩هـ» (الزركلي، الأعلام، ٢/ ٧٩).

ففي البدء أصدر أمراً بمنع الخُمور، ونهى عن عقد التجمُّعات ومشاورات أكابر القوم وخصوصاً أفراد الجيش والأتراك عندما استولى على جميع مدن ساحل الإفرنج من الإسكندرية حتى ولاية السيس.

وحدث أن أرسل الإفرنج سبع مئة شخص ليهاجموا المسلمين بالخديعة، قائلين لقد رأينا في المنام أن قلوبنا لم تعد تميل إلى دين الإفرنج، فأصبحنا مسلمين، وجئنا إلى السلطان ليعلِّمنا - بعد أن يعرض علينا الإسلام - ويفسح لنا المجال في المدارس لنتعلَّم القرآن ونقف على سنن الإسلام والشريعة.

ثم إنَّ هؤلاء اتفقوا فيما بينهم بعد أن يكسبوا ثقة المسلمين أن يسلُّوا عليهم سيوفهم يوم العيد - عندما يخرجون ويصطفُّون للصلاة [٢٧ ب] - ويهجموا عليهم هجمةَ رجلٍ واحد.

وكانت مشيئة الله قد قضَت بأن يعلم البُنْدُقْدَار بالأمر، فأمر بإكرامهم إلى أن حلَّ يوم العيد فاختار جماعة وأخبرهم حينها أن يحيط كلُّ اثنين منهم بواحد من الإفرنج، وعندها لاحظ جُندَ البُنْدُقْدَار أن كلَّ واحد منهم كان يرتدي دِرعاً وخَفْتاناً[1] تحت ملابسه، وقد أخفى كلّ واحد منهم خنجراً حاداً، فبادروا إلى الإحاطة بهم واقتيادهم إلى موضع إقامة صلاة العيد.

ثم أمر البُنْدُقْدَار جنوده أنْ يقولوا لهم: قِفوا أولاً وتعلّموا الصلاة، بعدها سنعلِّمكم كيفية تقديم الأَضاحي. ولَمَّا شَرَعَ المسلمون بصلاة الجماعة أمرهم بأن يطرحوهم أرضاً كما تطرح البهائم ويذبحوهم بالسكاكين كما يُفعل بالأَضاحي.

---

(١) درع يُلبس تحت الملابس لحماية المقاتل خلال الحرب (انظر: الزمخشري، مقدمة الأدب، ١/ ٤٢٢). وهو يعادل السترة الواقية من الرصاص في عصرنا.

وحين جرَّدوهم من ملابسهم وجدوا أنّهم جميعاً قد لبسوا تحتها دروعاً وخَفتانات محكمة الصنع؛ وشاع الخبر لدى جميع الخلق آنذاك بتعريتهم ودخل الرعب والخوف قلوب أهل بلاد الإفرنجة وروميه من ذلك الحال بشكل لا يمكن وصفه.

أمّا هُولاكُو فقد أرسل أكثرَ من مرَّة جيوشاً إلى ولاية الشام لكنّها لم تحقِّق شيئاً. وبعد ذلك وقع نزاع بين هُولاكُو وأقاربه، وبسبب معارضتهم لم يتوجه إلى الشام ومصر، بل حارب بِرْكَة[1]، وقصده مرةً في دياره بحيث اجتاز مضيق سَقْسين[2] مسافة فرسخ واحد وعَبَرَ نهر تِرك[3]، وأخيراً وعندما كان أفراد جيش هُولاكُو قد نزلوا ببيوتهم ومواضعهم - أي بيوت ومواضع جيش [٢٨أ] بِرْكَة في ولايات القِفْجَاق- واطمأنوا إليهم، بادر هؤلاء إلى التجمع في إحدى الجهات وشنوا هجوماً صاعقاً على جند هُولاكُو الَّذين بوغتوا بذلك الهجوم وحلَّت بهم هزيمة نكراء.

---

(١) بركة (أو بِرْكاي) خان بن جوجي بن جنكيز خان، وهو ابن عم هُولاكُو. تولّى الحكم خلال السنوات من ٦٥٢ حتى وفاته سنة ٦٦٤هـ. وقد أعلن إسلامه سنة ٦٦١هـ (انظر: بَيْبَرْس المنصوري الدوادار، زبدة الفكرة، ٨٢). استمرت الحرب بينه وبين هُولاكُو طويلاً، وكان يعلن انتقاده لتصرفات هُولاكُو، ومن ذلك قوله: «لقد دمَّر جميع مدن المسلمين وأسقط أُسَرَ جميع ملوك الإسلام، ولم يكن لديه فرق بين العدو والصديق، وقتلَ الخليفة [المستعصم بالله] من غير أن يتشاور مع كبار أمراء أُسرتنا؛ فإن أمَدَّني اللهُ الأزلي بعونه سأطالبه بدماء الأبرياء التي سفكها» (رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧٣١).

(٢) عرَّفنا بهذا الموضع فيما مضى.

(٣) يسميه رشيد الدِّين أيضاً باسم «نهر تِرك» (جامع التواريخ، ٢/ ٧٣٢، ٧٣٣)؛ وهو نفسه نهر أَتْرَك الَّذي قال حمدُ الله المستوفي (نزهة القلوب، ٢١٢): «ينبع من خراسان، من جبال نَسَا وباوَرْد، ويمرُّ على خبوشان ومشارف دهستان، ويصب في بحر الخزر»؛ يتَّصل به في قلعه جات نهرُ سوبار على الحدود بين روسيا وإيران، ليصبا في بحر الخزر (معين، فَرْهَنْك فارسي).

ثم فرُّوا إلى شابَران[١] وقُتِلَ عددٌ لا بأس به من جنود هُولاكُو وهَلَكَ عددٌ آخر.

أحسَّ هُولاكُو بغَبْن شديد من تلك الواقعة ففكَّر في ما الَّذي يفعله للانتقام وردّ الصاع لِمَا جرى، ومرض لشدَّة تفكيره ذاك، وكلّما تحسنت صحته انتكس ثانيةً بسبب التفكير.

كذلك فإنّ هُولاكُو كان قد احتضن نجل الدواتدار الصغير المدعو جلال الدين[٢] وربّاه، وقد تظاهر هذا بأنّه لا يوجد في جميع أرجاء العالم وفي جيش هُولاكُو مَن هو أكثر شفقةً [على هُولاكُو] وصدقاً منه له. وقد أخبر جلال الدين هذا هُولاكُو بأنّه ما يزال في بلاد الخليفة عدَّة آلاف من الترك القِفْجَاق يعرفون طرق تلك البلاد[٣] ويعلمون تقاليد سكانها، فلو أمرَ الملك بأن أذهب وآتي بهم حتى إذا عاودتَ محاربةَ بِرْكَة جئنا بهم ليتقدّموا الجيش ويوقفوا جند بِرْكَة عند حدهم.

---

(١) تُكتب أيضاً: شَـبَران، قال ياقوت إنّها من أعمال أرَّان، وقيل من أعمال دَرْبَنْد وهو باب الأبواب، بينها وبين شروان ٢٠ فرسخاً (معجم البلدان، ٣/ ٢٢٥)؛ فصَّل رشيد الدِّين (جامع التواريخ، ٢/ ٧٣٣) أيضاً هذه الوقائع التي حدثت في ١ من ربيع الأول سنة ٦٦٠هـ.

(٢) ويُدعى أيضاً كشلو خان (وُلِدَ سنة ٦٤١هـ)، وكان أبوه القائد العام للجيش العَبَّاسيّ على عهد آخر الخلفاء العباسيين المستعصم بالله، قد سلَّم نفسه إلى هُولاكُو عند حصاره بغداد فقتَلَه. وقصة جلال الدين هذا لدى رشيد الدِّين في جامع التواريخ، ١/ ٧٣٥ - ٧٣٦.

(٣) يعني بلاد القِفْجَاق التي هُزِمَ فيها جيش هُولاكُو أمام قوَّات ابنِ عمِّه بِرْكَة. عرَّفنا بهذا الموضع آنفاً. أمَّا شَعب القِفجاق، فيكتب في صور: القبجاق، القبجاخ، الخفجاق، وفي حدود العالم (ص ١١): الخِفجاخ. عَدَّهم الكاشْغَريّ من بطون الغُزِّيَّة(أو الغُزّ) التركمانية، وذكرهم في ضمن مادة يماك، فقال: «يماك جيل من الترك وهم القفجاقية عندنا. ثُمَّ أترك قفجاق يعدُّون أنفسهم حزباً آخر» (ديوان لغات الترك، ١/ ٢٧، ٣/ ٢٢). كما ذكرهم رشيد الدِّين(جامع التواريخ، تاريخ المغول، ١/ ٢٩) في ضمن الأوغوز(الغُزِّيَّة). وفي زين الأخبار للجرديزي (ص ٥٥٠): «فجاء سبعة من مُوَلَّدي التتار: إيمي، إيماك، تتار، بلاندر، خفجاق، لنقاز، أجلاد».

وكان هُولاكُو قبل ذلك قد اعتقل كثيراً مِن جيش بِرْكَة ومَن كان على صلة به، فقَتَلَ بعضَهم وأسر بعضاً آخرَ لديه، بينما هرب آخرون منهم؛ ويرجع أساس هذا العمل إلى تلك السنة التي كان المغول قد احتلُّوا فيها بغدادَ وتحكَّم في المُلْك هناك بلغاي وتوتار وتولي الَّذين كانوا من أقرب أقرباء [٢٨ ب] بِرْكَة إليه بل أبناء أشقائه.

[وقال جلال الدين]: لو أنَّ هُولاكُو ولَّاني على جيوشِهم فسأجلِبهم إليه؛ وبما أنّه يتولَّى أمر أغلب جيوشنا فهو - أي هُولاكُو - لن يتحمَّل مؤونة أيِّ شيء من كلّ هذا. وكان يواصل التفكير بهذا الشكل ويقول بين حين وآخر شيئاً فيزيد المغرضون عليه ويوصلونه إلى أَسماع الملك فيتألَّم منه بسبب ذلك.

وكان الشَّحاني[١] والحكَّامُ المعيَّنون مِن بِرْكَة، وآلُهُ يسيطرون أيضاً على الأفضل والأجود مما في الولايات المهمة من بلاد خراسان والعراق وآذربيجان وأرَّان وكرجستان[٢]، ويقولون هذا مِلْكٌ خاصٌّ بنا؛ وكان المغرضون يقولون - في كلّ مناسبة - شيئاً بهذا المعنى.

---

(١) مفردها الشِّحْنَة، وقد قلنا إنّها تعني مدير الشرطة أو مَن يشرف على أمن البلد.

(٢) هي بلاد جورجيا الحالية.

[واقعة من وقائع سنة ست وخمسين وست مئة هجرية]

بعد مدةٍ حدث في سنة ست وخمسين وست مئة[١] أن اتُهم توتار أيضاً بممارسة السِّحر وأُرسل إلى بِرْكَة وأُخبر بأنّه مارس عملاً كهذا، فقال بِرْكَة مادام قد ارتكب ذنباً فأمره بيد هُولاكُو.

جيء بتوتار إلى هُولاكُو الَّذي أمر بقتله فقُتل[٢].

وأصبحت هذه الخصومة[٣] سبباً لتوجّس كلٍّ منهما من الآخر، حتى بلغت حدّاً أن أرسل هُولاكُو بعد عدة سنوات جلال الدين نجل الدواتدار - لترتيب الأمر الَّذي ورد ذكره فيما مضى - إلى بغداد ليجلب الجيش وزوَّده بمِثال[٤] يقول فيه: على كلّ مَن يرى جلال الدين مصلحةً بأن يزوّده بالخيل والسلاح والمعدات العسكرية والنفقات، أن يفعل ذلك؛ ولا يحقُّ لحكَّام بغداد ولا لأيِّ مخلوقٍ أن يتدخل في شأنه(٢٩ أ) حتى ينجز ما أمرنا به.

---

(١) استناداً إلى رشيد الدِّين (جامع التواريخ، ٢/ ٧٢٥)، فإنّ واقعة توتار هذا قد حدثت سنة ٦٥٨هـ.

(٢) أُعدِمَ في ١٧ صفر سنة ٦٥٨هـ (انظر: رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧٢٥).

(٣) يسمِّي المؤلِّف رفض بِرْكة إعدام توتار وإعادته إلى هُولاكُو خصومةً كدَّرت العلاقة بين الرجلين؛ وهو على حقٍّ في ذلك، فقد عُرِفَ الحكام المغول بكونهم متجبِّرين لا يتحمَّلون أن يردَّ أحدٌ لهم طلباً.

(٤) وردت «مِثال» في الأصل الفارسي؛ وتعني الأمر الصادر من الملك (انظر: الرامپوري، غياث اللغات)، ولَمّا كانت مستعملة بهذا المعنى في تواريخ تلك الحقبة (انظر مثلاً: بَيْبَرْس المنصوري الدوادار، زبدة الفكرة، ٣٢٠: وُقِّعَ له مِثال؛ انظر أيضاً: العَيْنيّ، عقد الجمان، ٣/ ٣٩٤، ٣٩٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٨/ ٩١)، فقد استعملناها باللفظ نفسه.

[سنة اثنتين وستين وست مئة هجرية]

دَخَل جلال الدين بغدادَ في شهور سنة اثنتين وستين وست مئة فكان يدعو إليه كلَّ مَن كان يعرفه ومَن كان يقال عنه إنّه رجل مناسب، سواء في المجال العسكري أو المجالات الأخرى؛ وحين يلتقيه يقول له سِرّاً: إنّ الملك [هُولاكُو] أرسلني كي آخذكم معي وأضعكم في مقدِّمة الجيش لتموتوا أو تنتصروا فتجلبون له الشهرة. فإن قُتلتم هناك فسيحلُّ أحدٌ محلَّكم. وإنّكم جميعاً لتعلمون ابن مَن أكون، وأنا لا أرتضي لنفسي أن أجعلكم طعمة للسيف من أجل كافر (هولاكو)، وبرغم أنّ الملك يكرمني أشدَّ الإكرام، فأنا أفكِّر في ترْك هذه الدولة والمنصب الَّذي قلّدنيه الكافر وأعتق نفسي وإياكم من سلطة هؤلاء المغول. وبذلك الكلام تمكَّن جلال الدين من خداع الجميع بأقواله، فاجتمع له جيشٌ فتقدَّمَ لقيادته وقَرَعَ الطبولَ مرةً واحدة وعبرَ جسرَ بغداد وهاجم عرب خفاجة ونهب منهم عدة جواميس وجِمال، وأخذ من خزينة بغداد خيولاً وسلاحاً وأموالاً وأعلافاً لذلك العدد من الجُند الَّذين كان قد جمعهم. ورحَّلَ معه تلك القبيلة (خفاجة) [٢٩ ب] بنسائها وكلِّ ما تملك.

وقرع طبولَه مرةً أخرى واجتاز الجسر قائلاً: لنصحبْ معنا النساء والأولاد لينالوا زيارةَ المشاهد المقدَّسة للأئمة[١]، إذ ربما سيكون مستقرنا بعد ذلك في ولايات دَرْبَنْد[٢]

---

(١) يعني أضرحة الأئمة من أهل بيت رسول الله ﷺ في كربلاء والنَّجَف الأشرف.

(٢) في حدود العالم: «دَرْبَنْد الخزر: مدينة على ساحل البحر، بينها و بين البحر سِلسلة عظيمة، لا تستطيع أية سفينة العبور من هناك إلّا بأمر. وهذه السلسلة مشدودة إلى حيطان حصينة كانت قد بنيت بالصخور والرصاص» (ص ٤٠، ١٦٩)، وهي مرفأ في داغستان، يقول بارتولد: «يسمّيها العرب الباب أو باب الأبواب أو الباب والأبواب: مدينة بإقليم داغستان على الشاطئ
←

وما جاورها ولن نعود إلى هذا الموضع ثانية. وسنذهب نحن الرجال ونؤمِّن مؤونةَ الطريق ممَّا نغنمه من الإغارة على العرب. ثُمَّ غادر.

حين عبر نهر الفرات قال لنسائه وعامَّة الجيش: إنِّي عزمتُ على الذهاب إلى الشام ومصر[١]، فمن وافَقني على هذا فبِهَا ونِعْمَت، وإلَّا فليرجِعْ من هنا.

→

الغربي لبحر الخزر .. و هي مشهورة بنوع خاص من أسوارها المرتفعة الفريدة في نوعها التى تسدّ الممر بين البحر والجبل» (دائرة المعارف الإسلاميَّة، الطبعة العَرَبيَّة الأولى، مادة: دَرْبَنْد).

(١) هنا أعلن جلال الدين نواياه الحقيقية وأنّه استعمل كل تلك المناورات والخطط لتحقيق هدفه بالذهاب إلى بلاد الشام ومصر، وكان الحكَّام المغول يعاقبون بعقوبة الإعدام مَن تثبت عليه تهمة الاتصال بحكّام ذلكما البلدين (انظر مثلاً: مجهول، كتاب الحوادث، ٣٦٨، ٤٣٨؛ ابن العِبْرِيّ، تاريخ مختصر الدول، ٤٩٧؛ ابن الطقطقى، الفخري، ١٤٢). والسبب في هذه العداوة هو أنّ المغول لمَّا أسقطوا الخلافة العَبَّاسِيَّة في العراق، ارتكبوا مجزرة بحق أفراد هذه الأسرة فلم ينجُ منهم إلّا أفراد قليلون وُصفوا بأنّهم ممّن لا يُؤبه بهم. وبعد مدة وصل إلى الشام شخص برفقة جمع من العرب ادَّعى أنّه ابن الخليفة الظاهر من أفراد الأسرة العَبَّاسِيَّة فنصَّبه الظاهر بَيْبَرْس خليفة وسُمِّي المستنصر بالله وزوده بالرجال والسلاح وجاء إلى هيت بالعراق سنة ٦٦٠هـ، وحين علِم بهم المغول جاؤوا بجيش بقيادة قرابغا وعلي بهادر الخوارزمي وباغتوهم وقتلوا المستنصر بالله هذا وكثيراً من جيشه (انظر: الصقاعي، تالي كتاب وفيات الأعيان، ٢ – ٣). لذا ظل المغول في حذر من عودة الخلافة للعباسيين تحت أيِّ ذريعة، وفي حذر من أيِّ اتصال يقال إنّه تمَّ بين أيِّ إنسان وبين الشاميين أو المصريين. انظر تفاصيل أوسع عن ذلك في مقالنا «هل من صلة بين كتاب مختصر أخبار الخلفاء وابن الساعي؟»، المنشور في مجلة العرب، ج١، ٢، السنة ٤٦، رجب وشعبان، ١٤٣١هـ.

أمَّا مَن كان معه، فحتى لو لم تكن لديه الجُرأة للذهاب، فقد وافق على ذلك لخوفه من أن يمتنع عن الذهاب معه[١].

فأجمعوا أمرهم وتوجهوا بقَضِّهم وقَضيضِهم إلى الشام[٢].

وحين بلغ هذا الخبر مسامع الملك [هُولاكُو] تألَّم كثيراً وقال: إنَّ هذا ممَّا لا ينبغي فعله؛ وظلَّ يفرك يديه ببعضهما طويلاً ويعضّ على نواجذه قائلاً: لا يمكن لصبيٍّ أن يفعل بي هذا. وقد أُضيف هذا الهَمُّ إلى ما كان لديه من هموم، فانتكس وغَلَبَ عليه المرضُ وأصابه الصرعُ وحضر الأطباءُ النَّطَاسيُّون[٣] لكنَّهم وقفوا عاجزين بين يديه ولم يعرفوا له علاجاً.

---

(١) كان جلال الدين هذا شخصية مرعبة، فقد نال في ظِلِّ الحكم المَغُوليّ للعراق وظيفةً مهمَّةً حيث نجده يشارك في محكمة شُكِّلت سنة ٦٦٢هـ لأحد رفاق أبيه وقضت عليه بالإعدام، وحين أُعدِم قام جلال الدين هذا بانتزاع مرارته من أحشائه (انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ٣٨٢).

(٢) ذكر بَيْبَرْس المنصوري الدوادار، وصولَه إلى بلاد الشام سنة ٦٦٢هـ، وأنّ ملكها الظاهر بَيْبَرْس أعطاه طبلخاناة (انظر: زبدة الفكرة، ٩٢)، وهي رتبة أمير يوضع تحت إمرته أربعون أو خمسون فارساً (انظر: دوزي، تكملة المعاجم العَرَبِيَّة، ٧/ ٢٤). ويقول ابن شدَّاد: إنَّه وصل إلى بَيْبَرْس ومعه من مماليك الخليفة ومماليك أبيه ما يناهز مئة وخمسين فارساً، فأمَّره وأقطَعَه (انظر: تاريخ الملك الظاهر، ٣٣١). ويبقى هذا الرجل شخصية غامضة ذلك أنّ ابن عبد الظاهر يقول: إنّه حدث أن أُلقي القبض في دمشق سنة ٦٦٥هـ على رجل عَجَميّ شُكَّ في أمره فاعترف أنّه يتجسَّس للمغول وأنه وصل من قِبَلِهم إلى وَلَد الدوادار؛ فشُنِقَ العَجَميّ وأُلقي القبض على جلال الدين ابن الدويدار الصغير (الروض الزاهر، ٢٧٣؛ انظر أيضاً: شافع بن علي، حسن المناقب السرية، ٢٤٠ - ٢٤١)، ثُمَّ ضاع خبره.

(٣) طبيب نَطاسيّ ونِطِّيس: دقيقُ النظر في الطب.، وهي تعادل ما نسميه اليوم الطبيب المتخصص.

[سنة ثلاث وستين وست مئة هجرية]

وفي ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وست مئة توفي هُولاكُو في أطراف مدينة مراغة بجوار [نهر] جغاتو الَّذي كان يُدعى خانه رود[١]، وخلَّف ثلاثة عشر ابناً.

وفي ذلك الحين أُرسل في طلب نجليه الأكبر سناً وهما آباقا وكان في خراسان، ويشموت وكان على حدود شَروان[٢] [٣٠أ] ودربند، فلم يدركْه أيٌّ منهما وهو على قيد الحياة. وقد وصل يشموت بعد ثلاثة أيام من وفاة أبيه ومكث يومين، ثُمَّ غادر بسبب مقتضيات الأوضاع. وبعد عدة أيام وصل آباقا قادماً من ولاية ستارباذ[٣] وجرجان، ولم يمكث طويلاً في المعسكر وغادر مسرعاً.

وفي هذا الأسبوع توفيت أيضاً طغوز خاتون[٤] التي كانت زوجة تولي خان وكانت ذات سلطة واسعة ونافذة الأمر.

---

(١) ذكره حَمْدُ الله خلال كلامه على بحيرة چيچست التي بآذربايجان وتُدعى أيضاً دَرْيا شُور (البحر المِلْحَ)، تصبُّ فيها مجموعة أنهار منها نهر جغتو، وقال: إنّ في وسطها جبلاً فيه مدافن الملوك المغول (نزهة القلوب، ٢٤١). وبحيرة چيچست هي نفسها بحيرة أرومية، وقد سمِّيت باسم المدينة التي تقع على ساحلها (انظر: لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ١٩٤).

(٢) شَروان: ولاية في جنوب شرقي القوقاز، وكانت تُعَدُّ قديماً من مناطق باب الأبواب (دَرْبَنْد) (انظر: معين، فَرْهَنْك فارسي).

(٣) من توابع مدينة جرجان الواقعة في جنوب شرقي بحر قزوين (لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ٤١٧، ٤١٩).

(٤) زوجة هُولاكُو المعظمة وكانت أكثر زوجاته نفوذاً لديه، ويُكتب اسمها بصيغة: دوقوز، دوقز، تقوز، وكانت زوجة أبيه تولوي، فتزوجها عقب وفاته حيث تسمح القوانين المغولية بذلك؛ استناداً إلى رشيد الدِّين (جامع التواريخ، ٢/ ٦٧٨)، فإنّها توفيت بعد وفاة هُولاكُو بأربعة أشهر وأحد عشر يوماً.

وبعد حوالي ستة أشهر عُقد القوريلتاي[١] وأُجلس آباقا على العرش[٢].

وكان عظيم الحشم [حَكَمَ] مدةَ سبعة عشر عاماً[٣] (...)، وهذه الأقاليم التي مرّ ذكرها، وكان أبوه قد استولى عليها مراراً (...)، بحيث إنّه لم يبقَ له (...)، ولم يلحق بأحد أذىً لشدة (...)، واكتفوا بذلك (...)، وكانوا مع المغول والأعمال الجليلة الشاقة التي هو (...)، ذلك أنّ حرب هُولاكُو (...)، هو مع المغول مثل بِرْكَة (...)، التي منها كثير (...)[٤].

---

(١) القوريلتاي: كلمة مغولية تعني مجلس أهل الحلّ والعقد من كبار أمراء المغول، عرّفنا بها في قائمة الكلمات المغولية...، في آخر الكتاب.

(٢) يُكتب اسمه أيضاً بصيغة: أبقا، أبغا. تسنَّم العرش في ٣ رمضان سنة ٦٦٣هـ، وتوفي في ٣ من ذي القعدة سنة ٦٨٠هـ (انظر: رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧٧٨).

(٣) ما يزال الكلام يدور حول آباقا الَّذي حكم ١٧ عاماً.

(٤) جميع المواضع التي وضعنا فيها نقاطاً داخل الأقواس هي فراغات لكلمات فُقدت من الكتاب بسبب قصّ حاشية صفحة المخطوطة.

[سنة سبع وستين وست مئة هجرية]

وفي شهور سنة سبع وستين وست مئة إنّ قوتوي[١] خاتون، الخاتون الكبرى لهولاكو، قدمت من تركستان بسبب الاضطرابات في تلك البلاد، وكان معها نجلاها الأكبر سناً ممَّن كان لهم زوجات وأولاد: تكشي وتكودار. وكان آباقا يجلُّها كثيراً، ومَنَحَها أموالاً طائلة وإقطاعات.

وكانت إحدى النساء الحَرائر من بيت قوتي خاتون تُدعى آرقان، قد قدمت مع هُولاكُو من هناك، وتصرَّفت آرقان هذه بكلِّ ما كان من نصيب قوتوي. وعندما توفي هُولاكُو طعنت نفسها بسكِّين وماتت.

وحين قدمت قتوي خاتون أقامت في بيتها الَّذي كان مجهزّاً بكلِّ شيء؛ ولَّما جاء آباقا من ولاية ديار بكر، منحها مَيَّافارقين وعدة ولايات أُخر كانت تدرُّ عليها سنوياً حوالي مئة ألف دينار خَلِيفتي، وكانت تنفق ذلك المال بإسراف [٣٠ ب]، وكلَّما منحها الملك آباقا من الصلات والرعاية والأعلاف وقطعان الماشية، ازدادت غَيْرةً منه وحسداً له.

ثم إنَّ يشموت - وبعد مدة من مكوثه في گرجستان[٢] صيفاً، وفي حدود گنجة وبردع[٣] شتاءً - فارق الحياة ، وتوفي تكشي من بعده[٤].

---

(١) يُكتب اسمها بصيغة: قوتي، قتوي أيضاً.

(٢) قلنا إنّها بلاد جورجيا الحالية.

(٣) وتكتب أيضاً: بردعة، وهي قصبة إقليم أرّان، أمّا گنجه فتقع إلى شمال غربي بردعة (انظر: لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ٢١١، ٢١٣).

(٤) توفي يشموت يوم السبت الثامن من ذي الحجة سنة ٦٦٩هـ؛ وتوفي عقبه تكشي (أو تكشين أُغول) في الرابع من صفر سنة ٦٧٠هـ (انظر: رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧٦٦).

وقد مات أيضاً أخٌ ليشموت كان في غاية الشجاعة والعقل وكان قد حكم خراسان نيابةً عن أبقا.

وإنّ كلّ ما كان آباقا قد وهبه لأشقائه من ملك وإقطاعات، تركه لأولادهم، ولم يضايقهم في أيِّ شيء.

[سنة خمس وسبعين وست مئة هجرية]

في شهور سنة خمس وسبعين وست مئة، قَدِم حاكم الشام البُنْدُقْدَار بجيش إلى بلاد الروم[١]، وكان هناك أميران كبيران ومعهما جيش جرَّار أفراده من قوَّات النخبة المغولية الخاصة، وكانا يسميان تُوقُو[٢] بن إلكاي وتودوان بن سُدون، فاشتبك ركن الدين البُنْدُقْدَار معهما في القتال في آبلستان[٣] ببلاد الروم وقضى على جيشهما وقتل كلا الأميرين، وأقام في قيصرية ببلاد الروم مدة طامعاً فيها وعده به معين الدين پروانة أمير الروم قائلاً: إذا قدِمتَ عَليّ فسأعطيك مُلْك الروم، وذلك أنّه كان يخشى أن يغدر به المغول.

وبعد أن أقام ركن الدين البُنْدُقْدَار في قيصرية لِمَا يقرب من أسبوع لم يكن يسمح لجنده خلاله بالإغارة والنهب وضاقت عليهم المؤن، ولم يأته معين الدين پروانة [٣١ أ] بل ذهب إلى إحدى القلاع وأقام فيها، غادر - أي البُنْدُقْدَار - بلاد الروم متوجهاً إلى بلاد الشام.

فلمّا بلغ الخبر آباقا توجه بنفسه إلى بلاد الروم بجحفلٍ لَجِبٍ، وإلى أن وصل إليها كان البُنْدُقْدَار نفسُه قد غادر المكان، فعاد هذا أدراجَه.

---

(١) فصَّلَ بَيْبَرْس المنصوريّ الدوادار في زبدة الفكرة (ص ١٥٥ - ١٥٧) أخبار هذه الغزوة التي سمَّاها «كسرة التتار على أبلستين»، وقال إنّها حدثت في شهر ذي القعدة سنة ٦٧٥هـ؛ ويقول رشيد الدِّين: إنّها حدثت يوم الجمعة العاشر من ذي القعدة من تلك السنة (انظر: جامع التواريخ، ٢/ ٧٦٨).

(٢) ويُكتب طوغو أيضاً. ويمكن أنّ يُقارن ما ورد هنا مع ما ورد لدى رشيد الدِّين (جامع التواريخ، ٢/ ٧٦٨ وما بعدها) بشأن هذه الوقائع.

(٣) وتكتب أيضاً: أبلستين وهي مدينة تقع إلى الشرق من المدينة التركية الحالية قيسارية أو قيصرية، وكانت من مدن الثغور أيام الروم(انظر: لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ١٧٨).

وفي السنة التالية [٦٧٦هـ]، تحرك آباقا قاصداً رحبة الشام وأرسل شقيقه منكوتمور -الَّذي كان ابن أولجا خاتون والَّذي كان قد سلَّمه قيادة الجيش- إلى الشام عن طريق ديار بكر[١]؛ وقد التقى منكوتمور بجيش الشام على حدود حمص وحماة -كان البُنْدُقْدَار قد توفي آنذاك[٢]، وأصبح الألفيُّ[٣] ملكَ تلك البلاد وحاكمَها، وكان أيضاً مملوكاً لسلاطين الشام أي آل صلاح الدين- فاشتبك الجيشان وعاد جيش منكوتمور بعد أن مُنيَ بهزيمة نكراء[٤].

---

(١) غزوتان قادهما منكوتمور بن هُولاكُو على بلاد الشام، الأولى في ٦٧٦هـ، وحين سمع قلاوون الألفي بتحرُّكه تحرَّك هو نحو بلاد الشام «وصل غزَّة فخيَّم ظاهرها. وكان التتار قد وصلوا إلى عينتاب وبغراس والدربساك، وتقدَّموا إلى حلب فوجدوها خالية من العسكر، وقد أجفل أهلها منها. وأحرقوا الجوامع والمساجد والدُّور والمنازل وعاثوا وأفسدوا في العشر الوسط من جمادى الآخرة من السنة المذكورة. فلمّا بلغهم وصول السلطان تفرَّقوا إلى مشاتيهم» (بَيْبَرْس المنصوري الدوادار، زبدة الفكرة، ١٨٥، ١٨٩)؛ وسنذكر الثانية لاحقاً.

(٢) توفي سنة ٦٧٦هـ بمدينة دمشق، «في يوم الخميس السابع والعشرين من المحرم؛ وقُضِيَ عليهِ بالزَّوال، وقتَ الزَّوال» (بَيْبَرْس المنصوري الدوادار، زبدة الفكرة، ١٦١).

(٣) هو قلاوون الألفيّ العلائيّ سيف الدين (٦٢٠ - ٦٨٠هـ): كان من المماليك، وهو أول ملوك الدولة القلاوونيَّة بمصر والشام.

(٤) هذه هي الغزوة الثانية التي قادها منكوتمور بجيش تعداده ٨٠ ألفاً، حيث حدثت معركة رهيبة قرب مدينة حمص في ١٤ من شهر رجب سنة ٦٨٠هـ، انتصرت فيها القوات الشامية المصرية، وزُفَّت البشائر ونُظمت القصائد، وعاد السلطان قلاوون الألفيّ بعدها إلى القاهرة فدخلها «وقد زُخرفت بأنواع الزينة، وأُسارى التتار مصفَّدين بين يديه، ورؤوس قتلاهم على رماحهم، وبعض الأسارى حاملٌ سناجقهم المكسورة وطبولهم» (بَيْبَرْس المنصوري الدوادار، زبدة الفكرة، ١٩٤ - ٢٠٨؛ انظر أيضاً: مجهول، كتاب الحوادث، ٤٥٢).

وقد تألم آباقا من تلك الواقعة بشدة لكنّه لم يُظْهِر ذلك لأخيه، بل قال له: إنّ الأمر يسير، سأذهب بنفسي في السنة القادمة لأرى ما الَّذي يمكن فعله. وفي شتاء ذلك العام كان في بغداد.

وكان قد أُلقي القبض على علاء الدين صاحب الديوان[١] وصودرت أموالُه ونُهب قصره وجميع مساكنه ووضعت الدُّوشاخة في عنقه[٢].

---

(١) كان منصب «صاحب الديوان» على عهد المغول الإيلخانيين يعني الوزارة العظمى، حيث يتولى فيه الحاكم إدارة شؤون البلاد مع شؤونها المالية (انظر: ورهرام، نظام حكومت إيران در دوران إسلامي، ٦٤). وهو علاء الدين عطا ملك صاحب ديوان العراق منذ سنة ٦٥٧هـ، الأديب والمؤرِّخ ومؤلِّف الكتاب الذائع الصيت تاريخ جَهَانْگُشَاي، كان بالغ الذكاء وأدار العراق إدارة ناجحة، وعمَّر فيه ما كان خرِباً بفعل إهمال الخليفة المستعصم أو بفعل الغزو المَغُوليّ، يقول الذَّهَبيّ: إنّه «أخذ في عمارة القرى، وأسقط عن الفلاحين مغارم كثيرة إلى أن تضاعف دخل العراق، وعَظُمَ [في طبعة الدكتور معروف (١٥/ ٤٥٣): وعَمُرَ) سوادُها، وجرَّ نهراً من الفرات مبدؤه من الأنبار ومنتهاه إلى مشهد عَليّ رضي الله عنه، وأنشأ عليه مئة وخمسين قرية. ولقد بالغ بعض الناس وقال: عمَّر صاحبُ الديوان بغدادَ حتى كانت أجودَ من أيام الخلافة، ووجد أهلُ بغداد به راحةً» (تاريخ الإسلام، ٥١/ ٨١؛ وكلام الذَّهَبيّ منقول من ابن الجَزَرِيّ الَّذي يقول أيضاً عنه وعن أخيه شمس الدين: «كان فيهما عدل وإنصاف ورفق بالرعية وعمارة للبلاد»، وعن تشجيعهما حركة التأليف قال: «كان كلُّ فاضل يصنِّف كتاباً وينسبه إليهما تكون جائزته ألف دينار» (ابن الجَزَرِيّ، تاريخ حوادث الزَّمَان وأنبائه، اختيار الذَّهَبيّ، ٣١٧ - ٣١٨). ويقول وصَّاف الحَضْرَة (تجزية الأمصار (تحرير آيتي)، ٤١): «أعاد إعمارَ بغداد التي دُمِّرت في واقعة المستعصم بالله؛ ومن أعماله الحسنة أنّه حفرَ نهراً إلى النَّجَف كلَّف ١٠٠ ألف دينار من الذهب الأحمر، لكي يوصل الماء العذب إلى الكوفة، وبذلك أنعشَ الزراعةَ هناك». قال فيه الآقْسَرَائيّ: «إنّ ربوع البلدان قد ازدانت بآثار مبرَّاتِه وإحسانِه» (مسامرة الأخبار، ١٤٠)

(٢) آلة للعذاب توضع في أعناق المعتقلين، عرَّفنا بها في قائمة الكلمات المغولية في آخر الكتاب.

وكان مجد الملك اليَزْدِيّ[١] قد وضع أساس هذه الفتنة قبل ذلك بعام واحد، ووضع نفسه في خدمة آباقا.

ثم إنّ حوالي خمسين شخصاً جميعهم من الكتّاب والمشاهير هبُّوا للإيقاع بصاحبي الديوان علاءالدين عطا ملك وشمس الدين محمّد، وكان كثير منهم من الوجهاء الَّذين يأخذ الناس عليهم كثيراً إقدامهم على عمل كهذا بأنْ يبادروا يوماً إلى عزل الصاحبينِ. ولم يكن أحد يتوقع أنّ فعلاً كهذا يمكن أن يصدر عن شخص مثل مجد الملك[٢].

---

(١) كان هذا الرجل من كبار الشخصيات الديوانية، لكنّه ظلّ طوال حياته ينسج الدسائس وخصوصاً بحق آل الجُوَيْنيّ ويدفع الرِّشى الهائلة للأمراء والموظفين والخَدَم، ويستخدم أساليب متقَنة للإيقاع بهم، إلى أن تمكّن أخيراً من إقناع الملوك المغول بآرائه ممّا أدى إلى نزول أقسى النكبات بآل الجُوَيْنيّ.

(٢) يقول المؤلّف هذا الكلام استهانةً منه بمجد الملك اليَزْدِيّ وكونه شخصية غير ذات قيمة ومع ذلك تمكن من الإضرار بآل الجُوَيْنيّ فقُتِلوا وشُرِّدوا.

[سنة تسع وسبعين وست مئة هجرية]

وباختصار ففي فصل الربيع من سنة تسع وسبعين وست مئة بادر مجد الملك إلى الحضور بين يدي آباقا في موضع خلع الثياب في أحد حمّامات رباط مسلم[(١)] الواقع في شروياز بين مدينتي أبهر وزنجان[(٢)]، وأنهى إليه تفاصيل تلك الأوضاع.

وكان قبل ذلك قد غيّر تعامله مع علاء الدين وكان يبحث عن ذريعة للإيقاع به؛ وحين أنهى مجد الملك إلى آباقا تفاصيل تلك الأوضاع، أصاب الهلعُ والانكسار شمسَ الدين لكنّه - وعلى عادته - كان يتجلّد ولا يظهر ما يشعر به.

انبرى آباقا إلى استدعاء علاء الدين من بغداد، وحين وصل إلى سياه كوه[(٣)] قيل له:

---

(١) يتحدث حَمْدُ الله المُسْتَوفي (تاريخ گزيده، ٧٩٣) عن حَمّام مسلم الَّذي بقزوين، و«أنّ هُولاكُو قد استحمَّ به بعدَ سيطرته على قلاع الملاحدة».

(٢) يقول رشيد الدِّين: إنّ موضع شروياز يُدعى أيضاً قونغور أولانك (انظر: جامع التواريخ، ٢/ ٧٥٥)؛ والتسمية الثانية مغولية، قال عنه فصيح الخوافيّ (مجمل التواريخ، ٢/ ٣٦١): «مصيف غنغرالنك الَّذي هو الآن سلطانيَّة». وهو متنزه واسع جداً تكثر فيه المروج النضرة والمراعي، وحوله قرىً عامرة، وفيه سيبني فيها بعد السلطان غازان مدينة السلطانية الفخمة التي أكملها من بعده شقيقه السلطان مُحَمَّد خدابنده (انظر: حافظ أبرو، ذيل جامع التواريخ، ٨؛ وصَّاف الحَضْرَة، تجزية الأمصار (تحرير آيتي)، ٢٥٤). وكانت سعة مراعيها تسمح بتعبئة الجنود وتجهيزهم بالمعدات العسكرية (انظر: أبو القاسم القاشانيّ، تاريخ أولجايتو، ٦١).

(٣) يقول حَمْدُ الله المُسْتَوفي عن سياه كوه: إنّه «جبل يقع في آذربايجان، وفي أسفله قصبة كلنتر، وهو صعب المَرتقى، آهلٌ بالسكان الَّذين أغلبهم قطّاع طرق» (نزهة القلوب، ١٩٧). اتَّخذ الحكّام المغول من هذا الموضع مصيفاً لهم ومحطاً لرحالهم خلال خروجهم من تبريز للحرب أو الاصطياف (أبو القاسم القاشانيّ، تاريخ أولجايتو، ١٧٨؛ فصيح الخوافيّ، مجمل التواريخ، ٢/ ٣٦٩)، حيث كانت فيه أبنية ومساكن لهم هناك (انظر: رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧٨٩، ٨٢٠).

عليكَ أن تدفعَ لنا الأموال الطائلة التي أخذتَها من المَلِك. وقد واجهه مجدُ الدين ابن الأثير[١] قائلاً: لقد وضعت الأموال عند فلان وفلان.

وكان شمس الدين قد نصح أخاه [علاءَ الدين] بأن لا ينكر شيئاً على الإطلاق لكي لا يؤذوه وأن يجعل المال مانعاً دون العِرْض[٢]. فتعهّد أن يدفع ثلاث مئة تومان ذهباً.

وعندما وصل شمس الدين إلى مراغة قادماً من سياه كوه كان آباقا وجميع الأمراء وأركان الدولة وأغلب الخواتين في بيت الأصنام[٣].

---

(١) كان مجد الدين مُحَمَّد ابن الأثير يعمل نائباً لعلاء الدين الجُوَيْنيّ في العراق (رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧٧٧)، ولا نعلم شيئاً عنه سوى قول وصَّاف الحَضْرَة (تجزية الأمصار (تحرير آيتي)، ٨٤): إنّه «كان من أكابر الزَّمَان». وقد أُلقي عليه القبض سنة ٦٨٢هـ، وطولب - تحت التعذيب- بأموال فأعطاها. أعدمه المغول سنة ٦٨٥هـ (انظر: مجهول، كتاب الحوادث٤٦٦ - ٤٦٧، ٤٨٤).

(٢) طلب إليه أن يوافقهم على جميع ما يطلبونه منه من أموال؛ ذلك أنّ المغول والعاملين معهم، كانوا يستعملون أقسى أساليب التعذيب في انتزاع الاعترافات، ولذا لم يكن يُعرف ما إذا كان ذلك الاعتراف صادقاً أم أنّه قيل بسبب قساوة التعذيب. يقول رشيد الدِّين: إنّ شمس الدين «طلب إلى أخيه أن لا ينكر أيَّ شيء يقولونه له لكي لا يعذِّبوه، وقد قيل: لا باركَ اللهُ بعدَ العِرضِ بالمالِ». فتعهد علاء الدين أن يدفع لهم مئة تومان. وبعد دفعها، «طالبوه بالمزيد وسحبوه وهو مقيد بالسلاسل وأوقفوه على جسر بغداد، وعذبوه بأنواع العذاب حتى اضطر إلى أن يبيع أبناءه؛ وارتفعت منزلة مجد الملك. وحتى عندما صدر عنه عفو سلطاني لاحَقَه مجد الملك إلى بغداد وطالبه ببقية الأموال، ولمّا لم يحصلوا منه على شيء طافوا به عارياً في شوارع بغداد» (جامع التواريخ، ٢/ ٧٧٧ - ٧٧٨)، وعند تسنُّم أحمد تكودار العرش أطلق سراحَه من السجن في ربيع الأول سنة ٦٨١هـ، وأُعيد للوظيفة فأرسل نواباً عنه لأنّه كان مُرْهَقاً (انظر: المصدر نفسه، ٢/ ٧٨٦).

(٣) كانت الغالبية من المغول تعتنق الديانة البوذية.

وفي ذلك اليوم كان قد كُتب مِثالٌ لمجد الملك ليقرأ على الناس وكان الجميع متفقاً على أنّ ملوك المغول لم يصدروا يَرْلِيغاً[١] كهذا إطلاقاً لأيّ شخص.

وعندما تُلِيَ اليَرْلِيغ قال آباقا لمجد الملك: ينبغي لك أنْ تتولّى أمور إقطاعاتي وأموالي وخزانتي وماشيتي [٣٤ أ] وكلّ ما أملك، وأنْ تعيّن نواباً عنك لجميع الأعمال، وأن تحافظ على نفسك، ولا تنفصل عنّي، فمَن عاداك عاداني ومَن والاك والاني؛ فإنْ قصدكَ أحدٌ بسوءٍ بعد الآن فسأكون إلى جانبك. ولمّا نَطَقَ آباقا بعبارات على هذا القدر من المبالغة أخذت الظُّنون مأخذها من قلوب جميع الأمراء وكبار رجالات الدولة.

وقد أرسل مجد الملك نواباً عنه إلى جميع الشخصيات والأعمال والولايات من بلاد الروم الداخلة إلى أقاصي خراسان، ومن بادية العرب إلى دَرْبَنْد سَقسين، ووضع قاعدة لعمله لا يخطر ببال أحد مثيل لها، حيث تمكّن شخصٌ لم يكن له أيُّ شأن في أيِّ عمل خلال حوالي ثمانية أشهر من أن يباشر عملاً بهذه الضخامة، وتعجب الخلق جميعاً لذلك.

وعندما عاد [مجد الملك] إلى بغداد من مراغة -كما مرَّ آنفاً- صادر أموال علاء الدين صاحب الديوان[٢].

---

(١) المثال واليَرليغ عرَّفنا بهما في قائمة الكلمات المغولية...، في آخر الكتاب.

(٢) لم يقتصر الأمر على مصادرة أموال هذه الأسرة وممتلكاتها، بل قاموا بإعدام أغلب أفرادها، ومَن نجا منهم مات همّاً وغمّاً. بل إنّهم حينما نفذوا حكم الإعدام سنة ٦٨٥هـ بهارون بن شمس الدين (وكان متزوجاً بالسيّدة النبيلة رابعة حفيدة الخليفة المستعصم العَبَّاسيّ)، قتلوا جميع أفراد أسرته حتى الأطفال. وقد قُيِّض لوصَّاف الحَضْـرَة أن يمُرَّ بمقبرتهم الخاصة في مقبرة چَرَنْدَاب بتبريز سنة ٦٩٢هـ، فقال: «زرتُ قبور الصاحب وأولاده وقد نُقِشت على ألواح شاهدتَي قبرَي الأخوين [علاء الدين عطا ملك وشمس الدين] وأولادهم السبعة آيات مناسبة من القرآن الكريم، بينما أُلصقت على حائط المقبرة ورقة فيها أبيات، قالها أحد ←

[سنة ثمانين وست مئة هجرية]

في آخر الشتاء ذهب آباقا إلى همذان وكان مولعاً جداً بالخمر ويشربها بإفراط، وقد ظلّ يعبّ الخمر في بيت بهرام شاه إلى المساء، وفي منتصف الليل خرج لقضاء حاجته فترنّح وسقط من أعلى الإيوان فمات، ولم يبقَ به رمقٌ ليؤخذ إلى بيته فلفظ أنفاسَه في الطريق[1].

→

فضلاء العصر تضمَّنت تفاصيل ما جرى عليهم» (تجزية الأمصار، الورقة ٢٢٠)، كان مطلعها هذا البيت الحزين:

يا چَرَنْدَابُ مِنْ مقابِرِ تبريزَ   سقاكِ الحَيَا المُلِثُّ الهَامي

أمّا مجد الملك اليَزْدِيّ فقد عُثِرَ يوماً على تعويذة بين متاعه فُسِّرت على أنّها سِحْر - والمغول يخافون من السِّحْر - وبعد أنْ حُقِّقَ معه (في قصة طويلة) صدر الأمر بإعدامه سنة ٦٨١هـ، فأمر السلطان أحمد بتسليمه إلى خصومه لينفِّذوا فيه العقوبة، وما إن شاع النبأ حتى تجمهر حشد من الناس. ولم يسمح شمس الدين الجُوَيْنيّ بقتله وأراد أن يعفوَ عنه، إلّا أنّ شقيقه علاء الدين والخواجة هارون نجل شمس الدين أصرَّا على تنفيذ العقوبة، فقُتل وقُطِّع إرباً إرباً وأُرسلت أعضاء بدنه إلى البلدان (رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧٨٧؛ عن مقتله، انظر أيضاً: ابن الفُوَطيّ، تلخيص مجمع الآداب، ٤/ ٥٤٨). لكنّ فصيحاً الخوافيّ يقول: إنّ بدنه قُطِّع سبعةَ أقسام [بعدد الأقاليم السبعة]، أُرسل كلّ عضو إلى إقليم (انظر: مجمل التواريخ، ٢/ ٣٥٠).

(١) توجد لدينا أيضاً رواية رشيد الدِّين (جامع التواريخ، ٢/ ٧٧٩) التي يقول فيها: «بعد إفراطه في تجرُّع الخمر، خرج في منتصف الليل لقضاء حاجته، فصوَّر له محوِّل الأحوال، ومقدِّر الآجال، أنّه يرى طائراً أسود يقف على غصن شجرة هناك؛ فصرخ قائلاً: ما ذلك الطائر الأسود؟ وطلب إلى مَن حَوله مِن الجند أن يوجِّهوا سهامهم نحوه، فأدار هؤلاء أبصارهم في ذلك الاتجاه فلم يروا شيئاً. ثُمَّ إنّه أغلق عينيه وأسلم روحَه وهو جالس على كرسيٍّ من الذهب» (انظر أيضاً: فصيح الخوافيّ، مجمل التواريخ، ٢/ ٣٤٩ - ٣٥٠، ونَصُّه دالٌّ على أنّه نقل من رشيد الدِّين).

وكان ذلك في العشرين من ذي الحجة سنة ثمانين وست مئة.

وقد دُفن إلى جانب أبيه وبعض أخوته في الجزيرة المعروفة بالشاهِيَّة[١] وسط آذربيجان قرب دهخوارقان[٢].

(١) عرَّفنا فيما مضى بهذه الجزيرة التي قال حَمْدُ الله المُسْتَوفي إنّها تقع وسط بحيرة أرومية، وفيها جبل فيه مدافن الملك المغول. ويقدِّم المنصوري الدوادار - بعد أن قدَّم رواية تقول إنّ شمس الدين الجُوَيْنيّ دَسَّ له السم خوفاً من أن يحاسبه على الأموال - تعليلاً مقبولاً لوفاة آباقا وهو أنه «لمّا انكسر عسكره على حمص وتمزَّق جيشه، أخذ حالُه في النَّقْص، ثُمَّ بلغه أنّ الخزائن التي له ولأبيه والأموال والجواهر التي أخذاها من البلاد العراقية وجمعاها، وكانت موضوعة في برج بقلعة لهم يُقال لها: تلا، في جزيرة وسط البحيرة، وأنَّ ذلك البرج سقطَ بجميع ما فيه من الأموال والذخائر في البحر»، ويضيف: «إنّه دخلَ الحَمّام وخرج منه، فسمع أصوات غربان كثيرة تنعق، فقال للذين حوله: إنني أسمع هذه الغربان وهي تقول: أبغا (آباقا) مات، وركب وعوت كلاب الصيد في وجهه، فقال: هذا فأل مشؤوم. فحان حِمامُه، وانقضت أيّامُه، ومات» (زبدة الفكرة، ٢١٨). قلتُ: المعروف عن الترك وهم قريبون من المغول أنهم يتطيَّرون بصفير النسر، فإذا صَفَرَ في وجه إنسان فذلك من أمارات موته كما يقول الكاشغري في ديوان لغات الترك (١/ ١٩٥).

(٢) إحدى مدن آذربايجان، وتقع على ساحل بحيرة أرومية (انظر: حَمْدُ الله المُسْتَوفي، نزهة القلوب، ٨٧، ٢٤١). وهنا دُفن هُولاكُو، حيث يقول رشيد الدِّين (جامع التواريخ، ٢/ ٧٣٦): «دُفنَ في جبل شاهو قُبالةَ دهخوارگان، حيث بُنيَ له ضريح ضخم، وأقيمت مجالس العزاء في معسكراته، ثُمَّ أُودِعَ تابوته ذلك الضريح». وقال عن وفاة منكوتيمور: «إنّ تابوته نُقل إلى شاهو تَلَّة وأودع الثرى قُبالة الإيلخان الكبير» (٢/ ٧٧٩).

[سنة إحدى وثمانين وست مئة هجرية]

اجتمع كلُّ الأمراء - أي أشقَّاء آباقا وأبناؤه- للتشاور وأجلسوا على العرش الأمير تكودر[١] - الَّذي كان يلقَّب بالسلطان أحمد - في السادس والعشرين من المحرم سنة إحدى وثمانين وست مئة[٢].

---

(١) أو تكودار: كلمة مغولية تعني الكامل.

(٢) يتفق هذا التأريخ مع ما ذكره رشيد الدِّين في جامع التواريخ (٢/ ٧٨٥).

[سنة اثنتين وثمانين وست مئة هجرية]

في شهور سنة اثنتين وثمانين وست مئة، أرسل السلطان أحمد أخاً له يُدعى قُنْغُرْتَاي[١] حاكماً لبلاد الروم على رأس جيش جرَّار ليقمع المتمرِّدين هناك ويحمي جيشي بلاد الروم والشام[٢]. فذهب بجيشه إلى هناك وارتكب فظائع كثيرة وأغار على جميع مَن فيها - سواء أكان مطيعاً أم عاصياً - وجلبَ الكثير من العبيد والأَسرى.

وحين تناهى ذلك إلى مسامع السلطان أحمد، أرسل في طلبه، وكان قُنْغُرْتَاي قد اتَّفق مع أَرْغُون أغل النجل الأكبر لآباقا على أن يغدرا بالسلطان أحمد الَّذي ما إنْ علم بذلك حتى سَبَقَه، فبادر إلى اعتقاله والقضاء عليه في أرَّان في الثامن والعشرين من شوال سنة اثنتين وثمانين وست مئة. وعاقب أيضاً الأميرين الآخرين اللذين كانا شريكيه، وهما كوجك وسادي، ثُمَّ انهمك بالقضاء على بقية المتمردين.

والسبب في ذلك هو أن قُنْغُرْتَاي كان قد قال يوماً في المعسكر بحضور أحمد وقوتي خاتون وجميع الأمراء: غداً حين ينشب القتال بين أحمد وأَرْغُون، سأتنحَّى أنا وخدمي جانباً ولن نشارك في القتال. ثُمَّ ذهب بعدها إلى مشتاه. فوجد النَّمَّامُون والوُشاة الفرصةَ سانحةً فأنهوا ذلك إلى مسامع أحمد قائلين إنّه شقَّ صفَّ خواتينِك[٣] وأبنائك وأمرائك، إلى غير ذلك.

وخلال ذلك [٣٦ أ] وفي اليوم العاشر ذهب كجك من عند قنغرتاي إلى معسكر أحمد وتجوَّل في كلّ مكان.

---

(١) يكتب بصيغة قونقرتاي، قنقورتاي، قونكقورتاي أيضاً مما هو مذكور كثيراً في جامع التواريخ.

(٢) استناداً إلى وصَّاف الحَضْرَة (تجزية الأمصار (تحرير آيتي)، ٧٤)، فإنّه أرسله أوائل سنة ٦٨١هـ.

(٣) جمعُ خاتون وهي كلمة تركية تعني السيِّدة ذات النَّسَب العَريق.

فقال الناس لأحمد: إنّه جاء للتجسُّس ومعرفة ما يجري في المعسكر ليبلغ قُنْغُرْتَاي به.

ولّما امتلأ سمعُ أحمد بهذا الكلام أمر باعتقال قُنْغُرْتَاي في منتصف يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شوال سنة اثنتين وثمانين وست مئة، حيث قُصِمَ ظهرُه في الليل بحسب قانون جنكيزخان الَّذي نَصَّ على أنّ كلَّ مَن يطعن المُلْكَ في ظَهره[1]، يجب أن يُكسر ظهرُه.

ثم إنّهم اقتادوا كچك إلى اليَرْغُو[2] وسألوه ما الَّذي اتَّفق عليه قُنْغُرْتَاي وأَرْغُون؟ أجاب: لا أعلم.

فجَلَدوه مئة جلدة ومع ذلك لم يعترف بشيء.

وحين وصل خبره إلى أحمد قال: أنّى له أنْ يصْدُق وهو عديم الرجولة، شيخٌ مكّارٌ وابنُ زنى؛ ثُمَّ إنَّه أمر بمعقابته هو ونجله.

وقيل إنّه ونجله أُخذا للگكرمشي وهو من المصطلحات السائدة بين المغول، وتعني لو أنّ شخصاً سينفَّذ به حكم الموت نَطَقَ بكلمة كاكو - وهو اسم طير - لا يُقتل[3]؛ ذلك أنّ قاتله سيحلُّ به الشؤم بعد قتله إياه بحسب ما هو مشهور في أوساطهم.

وبعد ذلك أَمَرَ بقتل كچك وإخلاء سبيل نجله.

---

(١) المُلْكَ هنا تعني نظامَ الحُكْم.

(٢) أو اليارغو يعني الاستجواب والتحقيق أو المحاكمة.

(٣) نستبعد أن يكون هذا الطير طَوطَماً لدى المغول، لأنَّ ذلك يعني أن لا يُقتل هذا الطير الطَّوطَم ولا يُلحق به أذىً، لكن هناك احتمالاً بأنْ تكون الكلمة هي «كوكو»، حيث يقول العلّامة بويل: إنّ (koko Tanggiri) تعني السَّماء الزَّرقاء أو ربَّ السماء (Historical Dictionary..., 302). فلربّما فُسِّر لفظُ ذلك المتَّهم بأنّه يستنجد عليهم بربّ السماء فيخافون.

وإثر مقتل قُنْغُرْتَاي وإلى سبعة أيام ضرب أفراد الجيش طوقاً مُحكَماً حول المعسكر ووقفوا في حالة تأهُّب قُصوى[١]. ولمّا كان قَتْلُ قُنْغُرْتَاي تَمَّ بسبب علاقته بأَرْغُون وعُلِم أنّه سيَهُبُّ للانتقام لمقتله رأى - أي السلطان- أنّ المصلحة تقتضي تجهيز الجيوش والذهاب لقتال أَرْغُون. فتقدّم أولاً تُبُتْ بن تُبشين شقيق أحمد مع بصر أُغُل[٢] الَّذي كان هو الآخر أميراً، ثُمَّ انطلق عَليّ ناق ومازوق وشاذي نجل سونجاق وآجُو سكرچي[٣] مع ثمانية آلاف فارس من مشارف منصورية أرَّان [٣٦ ب].

وبعد ثلاثة أيام وفي اليوم التاسع من ذي القعدة سنة اثنتين وثمانين وست مئة، هطلت ثلوج غزيرة. وبسبب صعوبة الطريق تخلَّفَ تُبُت وبصر - اللّذانِ كانا يتقدّمان عَليّ ناق- عنه وأرسلا رسولاً يعلمه بذلك. فطلب أحمد إلى الجيش أن يبطئ سيره ليلحقا به.

تقدّم عَليّ ناق مع مئتي شخص إلى حدود الريّ ونهَبوا محلّ إقامة أَرْغُون واقتادوا حاشيته إلى قزوين.

---

(١) يعتقد وصَّاف الحَضْرَة (تجزية الأمصار (تحرير آيتي)، ٧٤)، أنّ السلطان أحمد بالغ في إعلاء شأن الإسلام والمسلمين، ممّا أثار مخاوف الأمراء من أفراد أسرته والقادة، فلجأوا إلى حياكة الدسائس ضدّه. وهو ما نجده لدى المقريزيّ (السلوك، ٢/ ١٧٣) الَّذي يقول: «كانت المُغُل قد تغيَّرت على تكدار لكونه دخل في دين الإسلام وإلزامه لهم بالإسلام فثاروا». ويقول ابن خلدون (العبر، ٥/ ٦١٦): إنّه بعد نشوب الخلاف بين أَرْغُون وأحمد تكودار «سار تكدار بنفسه فهزم أَرْغُون وأَسرَه وأثخنَ في عساكره وقتل اثني عشر أميراً من المُغُل (المَغول) فاستوحش أهلُ معسكره، وكانوا ينقمون عليه إسلامه فثاروا عليه وقتلوا نائبه ثُمَّ قتلوه سنة اثنتين وثمانين وبعثوا إلى أَرْغُون بن أبغا بطاعتهم».

(٢) يرد اسم هذا الأمير لدى رشيد الدِّين وحَمْدِ الله المُسْتَوفي بصيغة «يسار»، أو «يسار أُغول».

(٣) يرد اسم هذا الأمير لدى رشيد الدِّين بصيَغة آجُو شُكُورچي (انظر: جامع التواريخ، ٢/ ٩٠٩، ١٠٠٣...، ط روشن وموسوي).

[سنة ثلاث وثمانين وست مئة هجرية]

ولَمّا بلغ أَرْغُونَ الخبرُ جاء مع ستة آلاف فارس وعيَّن يولاتمور قائداً للجيش، وهولاجو[١] على جيش الطليعة الَّذي يقوده كچكه تُبُت وعلي ناق والَّذي كان متخلِّفاً؛ وتحرَّك طيجو وتِكْنا مع عشرة آلاف فارس وأحمد في عقبهم من بيلسوار الواقعة في مُوغان في يوم الأربعاء الثامن من صفر سنة ثلاث وثمانين وست مئة مع ثمانية تومانات مِن الجيش، كلّ تومان يضم عشرة آلاف مقاتل.

وفي يوم الاثنين الثالث عشر من صفر وَصَلَ رسولُ تُبُت بخبرِ جيشِ أَرْغُون؛ وفي يوم آخر وصل رسولٌ آخر بخبر مفاده أنَّ أحمد الَّذي كان على حدود أردبيل أرسل قرميش نجل عَلِيّ ناق إلى أبيه قائلاً: إنْ كان عديدكم أكثر فقاتلوا، وإن كان عديدهم أكثر فانتظروا وصولنا. ثُمَّ خَلَّفَ أغرق هناك وتحرَّك من أردبيل يوم السبت الثامن عشر من صفر بجيش على عجل وكان يطوي كلَّ يوم مرحلتين.

وبعد منتصف نهار الخميس السادس عشر من صفر - وبحسب طالع السُّنبلة- اندلع قتال بين أَرْغُون من جهة وتُبُت وعلي ناق من جهة أخرى على مشارف جمال آباد[٢] القريبة من قزوين التي يسمِّيها المغول آق خواجه[٣]، واستمر القتال حتى غروب الشمس وهرب جمع غفير من كلا الجيشين.

---

(١) هُولاجُو هذا هو ابن هُولاكُو.

(٢) يُكتب هذا الاسم أيضاً جمالاباد.

(٣) هذه معلومة جديدة في جغرافية هذه البلاد، ذلك أنّنا نجد حَمْدَ الله المُسْتَوفي في موضعين من نزهة القلوب (١٤١، ١٧٣)، يقول: إنّ قرية سوميقان التابعة لَقزوين هي التي يسميها المغول آق خواجه.

وقد بات أَرْغُون [٣٣ أ] في ميدان القتال، وتراجع جيش تُبُت[١] من قرية جمال آباد التي كانت ساحة القتال إلى ما يقرب من عشرة فراسخ.

وفي يوم الاثنين العشرين من صفر وصل رسول من تُبُت حاملاً البشارة بأننا قاتلنا أَرْغُون فهرب وأَسَرْنا الكثير من جنده، وأنّ جيش كچكه[٢] لم يصل إلى مواقعنا.

تألم أحمد لذلك ورأى أنّ تِكنا هو سبب ذلك التلكؤ وأُقيمت الاحتفالات في ذلك اليوم[٣].

وفي اليوم التالي وصل أحمد إلى زنجان، ثُمَّ في يوم الخميس الثالث والعشرين من صفر وصل إلى تُبُت في شروياز وأقيمت الاحتفالات في ذلك اليوم.

وفي يوم الجمعة أَرسلَ هُولاجُو مع عشرة آلاف من الجُند باتجاه الرَّيّ، فأقاموا في شروياز يومين.

وفي يوم الاثنين السابع والعشرين من صفر وصل خبر مفاده أنّ كيخاتو [نجل آباقا خان] نزل قرب همذان بذريعة الصيد وهرب من هناك مع عدة أشخاص إلى خراسان.

وفي اليوم التالي ترك أحمدُ [ومَن معه] أرمني خاتون [زوجة أحمد تكودار] في شروياز وغادروا المكان، فوصلوا إلى جوشكاب على الطريق إلى بغداد في اليوم نفسه؛ وعند الغد وصلوا إلى آق خواجه التي كانت ميدان القتال، وبعد يوم آخر وصلوا إلى مشارف قزوين فاستعرضوا الجند.

---

(١) يُكتب أيضاً تبوت، توبوت.

(٢) يُكتب أيضاً كيچكه.

(٣) كان تألُّم السلطان أحمد بسبب تأخر وصول جيش كچكه، أمّا إقامة الاحتفالات، فبسبب انتصارهم على أَرْغُون.

في ذلك اليوم وصل لِكْزِي نجل أَرْغُون آقا من عند أَرْغُون إلى معسكر بغا وقدّم الأعذار قائلاً أنّى لي أن أسلَّ السيف بوجه سيّدي؟ إنّ هذا لم يخطر ببالي قطّ؛ لكن لمّا كان عَلِيّ ناق أوزان[1] قد أغار علينا، فقد جئت لأرى هل أنّه جاء بجيش قاصداً مواجهتي [٣٣ ب]، وعندها وَجَبَ عَلَيّ أنْ أَهُبَّ لقتاله. وفي المساء اختُطف لِكْزِي سرّاً من معسكر بغا وأخذوا عليه موثقاً أن يكون موالياً لأحمد ويطلعه على مجريات الأمور.

وفي يوم الأحد الرابع من ربيع الأول أعادَ - أي أحمد - رُسُلَ أَرْغُون؛ وإثر ذلك في يوم الاثنين الخامس من ربيع الأول، أرْسَلَ تُق تمور نجل عبدالله آغا وتُمُر قائلين: إنْ كان هذا ما يقوله أَرْغُون، فليأتِ هو برفقة ابنه لنجلس معاً ونحسم موضوع النزاع؛ وإنْ لم يكن بمقدوره ذلك فليرسل يولاتمور وشيشي بخشي وقَدان والأبناء. ثُمَّ ذهب مع جيشه إثْر الرسل.

في يوم الأربعاء الرابع عشر من ربيع الأول [سنة ٦٨٣هـ]، عاد الرسل وجاؤوا معهم بجمع من أبناء قزان نجل أَرْغُون وعمر أغل نجل تكُدر ياغي، ومن الأمراء نوقاي يرغوچي وشيشي بخشي وقَدان.

قال هؤلاء الأمراء: ليغادر الملك هذا الموضع الَّذي يأتي منه أَرْغُون بنفسه؛ ذلك أنَّ الملك غاضب وهو يخشاه، فلم يصغِ أحمد إليه ولم يرجع.

---

(١) هكذا وردت في الأصل: أوزان (بالزاي)، وطبعها محقِّق الطبعة الفارسية بصورة: أوران (بالراء). وتعني هذه الكلمة المغولية، الصُّنَّاعَ والحرفيين (انظر: خاتمي، شرح مشكلات، ٨٨)، فلعل هذا الرجل على علاقة بهذه التجمعات كأن يكون مسؤولاً عنها. قال ابن عِنَبَة في حِلية الإنسان (ص ٢٢٦): إنّ أوران تعني الصنعة، وأورت تعني الصانع.

ومع أنَّ الأمراء كانوا يرون المصلحة في رجوعه؛ ذلك أنّ الجيش كان قد ضعف وكلّما كان أحد يقول ذلك لأحمد كان يردُّ قائلاً: إنني ذاهب فمَن رَغِبَ فليتبعْني ومَن شاء فليرجع(١).

في يوم الجمعة السادس عشر من ربيع الأول أعاد أحمد الأمراء الَّذين بعث بهم أَرْغُون، وفي اليوم التالي وصل إلى قلعة گرده كوه(٢) وصعد إليها وتنزَّه فيها (٣٥ أ)؛ ومن هناك أرسل من الأبناء طغاتمور وهو شقيقه (شقيق أحمد تكودار) ، وسوكا بن يشموت، ومن الأمراء بوغا آقا ودُلدادي يرغوجي. وقال لبوغا آغا: عليك أنْ تجلب أَرْغُون، فإنْ رفض المجيء فاجلبْ كيخاتو مع الأمراء الَّذين أرجعتهم أنا.

ذهب بوغا آقا فوجد أَرْغُون في خوچان(٣)؛ ووصل أحمد مع الجيش في يوم الأحد إلى دامغان ونهبوها، ولم يمنعهم أحمد بسبب أنَّ أفراد الجيش كان قد أصابهم الضعف(٤).

---

(١) هذا عناد لا مسوِّغ له من أحمد؛ فقادة جيشه قالوا له صراحة إنّ أَرْغُون هو ابنك وجيشك وجيشه واحد، وإنّ الجوَّ قد أصبح حاراً، وقد نَفَقَ الكثير من الدوابّ، والمصلحة تستلزم العودة؛ هذا فضلاً عن أنّ اثنين من الفلكيين - وهما صدر الدين وأصيل الدين نجلا نصير الدين الطُّوسيّ - أخبراه أنّه بحسب أحكام النجوم فليس من المصلحة أنْ يزحف بجيشه للقتال، فتألَّم كثيراً لسماعه ذلك وسخط عليهما (رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧٩٤).

(٢) قلعة حصينة كانت من قلاع الإسماعيلية فيما مضى، وتُكتب گردكوه أيضاً.

(٣) هي مدينة قوچان، وتُكتب أيضاً خبوشان.

(٤) قوله: «ولم يمنعهم أحمد بسبب أنّ...»، معلومة مهمة لا توجد لدى غير قُطْب الدِّين، وهي تشير إلى أنّ أحمد كان يتبع قاعدة «الغاية تسوِّغ الوسيلة»، مهما كانت الوسيلة قبيحة. بل إنّ رشيد الدِّين يقول عن هجوم جيش أحمد على دامغان: «نهبَ جنودُه أهلَ المدينة وعذَّبوهم بشتى وسائل التعذيب» (جامع التواريخ، ٢/ ٧٩٥)، لانتزاع الأموال والمدَّخرات منهم.

وحين وصلوا إلى خَرْقَان(١) جاء بُلُغَان الَّذي كان شحنة شيراز مع جُرغداي الَّذي كان أمير أَلْف إلى حضرة أحمد وأعلنا عن طاعتهما له.

وفي اليوم التالي الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الأول، بادر أحمد إلى إرسال عَليّ ناق من خَرْقَان إلى مَنكي مع طُطاق الَّذي كان أمير ألف، وقرابغا بن ألتجو، مع ثلاثة آلاف مقاتل، بينما ذهب هو في اليوم التالي.

وفي يوم الثلاثاء السابع والعشرين من ربيع الأول وصل رسول بوغا آغا معلناً أنَّ بوغا آغا سيجلب كيخاتو.

في يوم الجمعة سَلْخَ ربيع الأول جاء بوغا آغا جالباً معه كيخاتو، فسأله أحمد لِمَ لَمْ تأتِ بواحد من الأمراء الَّذين عادوا، فأجاب أنّني لم أفهم من ذلك أنَّ الملك طلبهم. وبسبب ذلك تألَّم أحمد من بوغا آغا.

ثم إنّ أحمد بعد ذلك ترك كيخاتو مع تُتاي خاتون في كاله پوش(٢) القريبة من جَاجَرْم، ومن هناك أخذ جيشاً وتوجَّه إلى خوچان من غير أن يصحب معه أيَّة امرأة.

ولَمَّا سمع أَرْغُون [٣٥ ب] بأنَّ أحمد قادم انسحب من المكان.

وحين وصل أحمد بجيشه إلى خوچان عاثَ جنده فيها خراباً.

---

(١) خَرقان: قال السمعاني: إنّها قرية في جبال بسطام كبيرة (انظر: الأنساب، ٢/ ٣٤٧)، وهي على نحو ٥٠ ميلاً جنوب بسطام (انظر: لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ٤٠٦).

(٢) ذكرها رشيد الدِّين بصيغة كالپوش، وقال: إنّها تقع أعلى مدينة جاجرم (انظر: جامع التواريخ، ٢/ ٧٩٣). ويُقال لها أرغيان أيضاً (انظر: لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ٤٣٣)، وهي على بعد ٩٠ كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من مدينة بجنُورْد (انظر: معين، فَرْهَنْك فارسي).

وعند مغادرته المدينة هرب أَرْغُون مع ما يقرب من مئة شخص إلى قلعة كلاته كوه الواقعة في أسْتَو قرب طُوس[١].

وخلال ذلك قام لِكْزِي - الّذي كان قد عاهد أحمد- بالإغارة على منزل خاتونِ أَرْغُون المسماة قُتْلُق خاتون ونَهْبِه[٢]. وكذلك لمّا قرَّر أَرْغُون محاربة عَليّ ناق أرسل شخصاً إلى قره أوناس، وكان هو قادماً في إثر أَرْغُون.

ولمّا سمع أفراد الجيش أنَّ أَرْغُون هُزم عادوا أدراجَهم وأخذوا يغيرون على كلّ مدينة تصادفهم في طريقهم وينهبونها.

حين اجتاز أحمد مدينة خوچان[٣] جاءت إلى حضرته زوجة لِكْزِي التي كانت شقيقة أبغا المسماة بابا. وفي اليوم نفسه ولمّا أُخبر أحمد بأنّ أَرْغُون لجأ إلى القلعة، أقام الأفراح، بينما ذهب عَليّ ناق وخَدَمُه مع قليل من العساكر إثْر أَرْغُون لِئلا يتمكن من مغادرة القلعة. ولمّا لم يكن ممكناً مغادرتها من الجهة الأخرى لكون قرا أوناس قد قَلَبَ له ظَهرَ المِجَنّ[٤]، فهو مضطر للخروج من الجهة نفسها التي دخل منها.

تصوَّرَ عَليّ ناق وجنده أنَّ أَرْغُون سيأتي للحرب فاستَعَدُّوا للقتال.

---

(١) هي كُورة أُستوا التي قال عنها ياقوت: «كورة من نواحي نيسابور تشتمل على ثلاث وتسعين قرية، وقصبتها خَبوشان(معجم البلدان، ١/ ٢٤٣).وخبوشان هي نفسها خوچان الآتية.

(٢) هذه الواقعة نجدها أيضاً لدى رشيد الدِّين في جامع التواريخ، ٢/ ٧٩٥. قُتْلُق يكتب بصيغة قُتْلُغ أيضاً.

(٣) هي مدينة خبوشان أو قوچان: مدينة في شمال خراسان، تقع إلى الشمال من نيسابور (انظر: معين، فَرْهَنْك فارسي).

(٤) أي تغيَّر عليه، وهو مثل يُضرب لَمن يخالف بعدما كان موافقاً.

بادر أَرْغُون إلى إرسال أُلتاي قائلاً: إنني آتٍ للقاء أحمد؛ ثُمَّ إنَّه جاء برِفْقة بُلُغَان خاتون[١] وبقية الخَوَاتين إلى حضرة أحمد في مَرْج راي كان[٢] [٣٧ أ]، وذلك في يوم الخميس الثالث عشر من ربيع الآخر[٣].

ولمَّا كان أحمد قد سمع ما يتداوله الأمراء عن أَرْغُون من أنَّه كانت له نوايا مبيَّتة، التفتَ إلى الأمراء بجمعِهم في اليوم الَّذي كان مقرراً أنْ يأتي فيه أَرْغُون قائلاً: إذنْ، إنَّ ما قيل كان صحيحاً. فلم ينبسْ أحدٌ منهم ببنت شَفَة، [إلّا] بوغا آغا فإنّه قال: يا ميمون الطالع، يا مَلِكي! كان كلامك صحيحاً.

أجابه أحمد: لمّا كان كلامي صحيحاً فليتكلمْ كلٌّ بما لديه غداً حين نذهب عند آتو، وكان يقصد بذلك أمَّه قوتي خاتون[٤]. فخاف جميع الأمراء وخصوصاً بوغا آغا من هذا الكلام.

في يوم الجمعة الرابع عشر من شهر [ربيع الآخر] غادر أحمد مسافة فرسخين، ثُمَّ عاد أدراجَه.

---

(١) أو بُولُغان خاتون: زوجة آباقا خان، ومن بعده أصبحت زوجةً لأَرغُون خان، ثُمَّ زوجةً لكيخاتو خان (انظر: الصياد، جامع التواريخ، تاريخ المغول، ٢(٢)/ ٢٠٦، الفهرس).

(٢) ذكر مؤلِّف حدود العالم هذا المَرْج مع مجموعة من مدن طُوس (ص ١١٥)، ويقول حَمْدُ الله المُسْتَوفي: «يوجد حوالي مدينة طوس مَرْج يُدعى رايكان، طوله ١٢ فرسخاً (٩٦ كيلومتراً)، وعرضه خمسة فراسخ (٤٠ كيلومتراً) من مشاهير المروج في العالَم» (نزهة القلوب، ١٥١).

(٣) في الأصل ربيع الأول، فصحَّحها محقِّق الطبعة الفارسية، ولقد أصاب. وكانت فرصة نادرة لأحمد أن يصطلح مع أَرْغُون الَّذي جاء إليه، لكنَّه بدلاً من ذلك وَكَّل به مجموعة حرَّاس ليستفتي في أمره والدتَه قوتي خاتون (انظر تفاصيل ذلك لدى رشيد الدِّين، جامع التواريخ، ٢/ ٧٩٦).

(٤) يكتب اسمها أيضاً بصيغة: قوتوي خاتون. أمَّا آتو فهو اسم للدَّلال.

ثُمَّ غادَرَ في يوم السبت ومَن معه إلى سَرْچِشْمَه[١]، وفي ذلك اليوم كانت بُلُغَان خاتون قد أقامت مأدبة لأحمد، وخلال المأدبة كان عَليّ ناق وطُطاق وقرابغا يتحدَّثون مع بعضهم تحت تأثير الخمر بأنّ أحمد ما لم يقتل أولادَ المَلِك هؤلاء فلن يستقرَّ له العرش.

وفي ليلة السادس عشر من الشهر قام أحمد بتسليم أَرْغُون إلى الجنود لكي يراقبوه بينما توجه هو مع مئتي فارس نحو كاله پوش، حيث كانت هناك تتاي خاتون[٢] وكيخاتو؛ ذلك أن أحمد كان قد أرسلها إلى هناك.

ولّما غادر أحمد أرسل بوغا آغا شخصاً إلى شقيقه الأكبر آرخ آغا قائلاً: إنَّ أحمد يريد بنا شَرّاً فما الحيلة؟ وكان مع جوشكاب آنذاك. فقال: إنّ قُرْمُش نجلَ هِندو أغر جاء وأخبرنا أنَّ عَليّ ناق وآخرين كانوا يتحدثون بهذا في مأدبة بُلُغَان خاتون.

فاجتمع الشقيقان بوغا آغا وآرخ آغا[٣] وتداولا الأمر مع جوشكاب[٤] واستمالا إلى جانبهم تكنا الَّذي كان هو الآخر يتوجَّس خِيفةً من أحمد [٣٧ ب]. ولّما كان متَّفقاً مع هُولاجُو، فقد قالوا لنعطِ المُلْك لهُولاجُو.

اتَّفقَ جميع الأمراء وأبناء الملك في الرأي وأقاموا مأدبة طلبوا فيها إلى عَليّ ناق أنْ يشرب الخمر، فقال: لا يمكنني ذلك لأنَّ هذه الليلة تكون نوبتي لكي أراقب أَرْغُون.

---

(١) يمكن أن يكون الصواب هو «سرخة»، الواردة لدى رشيد الدِّين (جامع التواريخ، ٢/ ٧٩٤)، حيث قال: إنّها من أعمال سمنان. ونعتقد أنّها هي التي ذكرها حَمْدُ الله المُسْتَوفي باسم «ديه سرخ» التي قال: إنّ بينها وبين سمنان أربعة فراسخ (انظر: نزهة القلوب، ١٧٣).

(٢) يُكتب اسمها أيضاً: توداي خاتون، وهي زوجة السلطان أحمد تكودار.

(٣) هذان شقيقان، ويكتب اسماهما أيضاً بصيغة: بوقا آغا، وآروق آغا.

(٤) هو جوشكاب بن جومقور بن هُولاكُو.

فقال جوشكاب: أنا أراقبه بدلاً منك؛ فوثِقَ به.

ثم إنَّهم سقوه الخمر حتى ثَمِلَ، وفي الليلة نفسها أركبوا أَرْغُون فرساً وذهبوا مع بوغا آغا إلى بيت عَليّ ناق.

وفي تلك الليلة أيضاً التي هي ليلة الاثنين السابع عشر من ربيع الآخر قتلوا عَليّ ناق، وكذلك قتلوا طُطاق(١).

وفي الليلة نفسها أيضاً أرسلوا إلى هُولاجُو وتِكنا أنْ قد قتَلْنا عَليّ ناق وطُطاق وعليكما أنْ تقتلا بَصَراغل وأبُكان(٢). ولّما كان هُولاجُو كثير الإساءة لبصراغل وحسن العلاقة بأبكان فقد قتلَ الأول بوتر القوس وأبقى على حياة الثاني.

في منتصف يوم الثلاثاء الثامن عشر من ربيع الآخر وصل أحد جنود طُطاق الألف إلى أحمد قرب كوروي، وهي من توابع إسفرايين، وقال: لقد قُتل ططاق وحدث اضطراب في أوساط الجند.

فأخذه آق بوغا إلى حضرة أحمد وحدّثه بما جرى. فاستدعى أحمدُ المنجّمينَ وسألهم عن الأوضاع وبعد ذلك عاد أدراجه ونزل قرب إسفرايين.

وفي اليوم التالي جاء رسول من مازق آغا(٣) يقول: لقد قتلوا الجميع وأصبحوا يداً واحدة فإنْ استطعت فانفَذْ بجلدك.

في يوم الأربعاء التاسع عشر من ربيع الآخر فرَّ أحمد هارباً من مشارف إسفرايين باتجاه كاله پوش.

---

(١) يُكتب أيضاً بصيغة: تايتاق.

(٢) يُكتب أيضاً: أبوكان، وهو ابن شيرامون نويان بن جورماغون.

(٣) اسمه مازوق القوشجي لدى رشيد الدِّين (انظر: جامع التواريخ، ٢/ ٧٩٨).

وفي منتصف الطريق حيث جاجرم جاءَ الخواجة صاحب الديوان وقال: ليس لدي أربعة أرجل، فإنْ أَذِنَ لي أحمد فسأذهب إلى گويان [٣٨ أ] وأعود على جَمَّازَة[١] إلى حضرتك عن طريق صحراء يزد. فقال أحمد: لا بأس.

انفصل الخواجة هناك عن أحمد ولم يلتقيا قطّ بعد ذلك رحِمَهُما الله.

وحينما وصل أحمد إلى معسكر أرمني خاتون في شروياز، كان سونجاق آغا هناك، فقال [سونجاق]: لقد نُهب بيت بوغا آغا، وفي تلك البقاع قيل إنَّ يولاتمور اعتُقل؛ فما الَّذي ينبغي فعله به؟

فقال [أحمد]: ألا تعلمون ما الَّذي ينبغي أنْ يُفعل به؟ يجب أنْ ينزل به العقاب هو وأتباعه، فقد جاءني برغم الخطايا العديدة التي كان قد ارتكبها ومع ذلك قلتُ له: اذهب إلى معسكر أرمني خاتون إلى أنْ آتيك، لكنّه هرب.

وخلاصة الأمر فقد قُتِل هو وأتباعه[٢].

ثم إنَّ أحمد ذهب إلى معسكر قوتي خاتون في سراو[٣]، فالتَفَّ حولَه ما يقرب من ألفي شخص، فأراد أنْ يتسلّل من إحدى الزوايا إلى المعسكر. فقال سكت آغا وقرانقاي[٤] نجل يشموت: إنْ ذهب من هنا، فلن نستطيع مواجهة أبناء الملوك والأمراء وأَرْغُون. فأَبْقُوا عليه في المعسكر.

---

(١) استعمل المؤلّف الكلمةَ العَرَبِيَّة «الجمازة»، وتعني الناقة السريعة العَدْو. گويان: مدينة جوين.

(٢) استناداً إلى رشيد الدِّين فقد حدث ذلك عندما هرب السلطان أحمد وسار لا يلوي على شيء في نواحي إسفرايين، فالتقى خلال الطريق يولاتيمور وأتباعه الَّذين كانوا قادمين من مازندران، فقضى عليهم جميعاً في ١٩ ربيع الآخر سنة ٦٨٣هـ (انظر: جامع التواريخ، ٢/ ٧٩٨).

(٣) هي مدينة سراب الواقعة إلى غربي مدينة تبريز (انظر: معين، فَرْهَنْك فارسي).

(٤) يُكتب أيضاً بصورة قرانوقاي.

ولّما وصل هؤلاء بِقَضِّهم وقَضِيضِهِم إلى خرقان تجمعوا للتشاور فيمَن يختارونه ملكاً، فقيل: وهل هذا وقت مناسب لمثل هذا الأمر؟ لقد هرب أحمد، وعلينا أن نتدبر أمره أولاً.

ثم أنهم أرسلوا وحدة من القوات الخاصة المغولية مع طلاي يرغوجي[١] لتعقّب أحمد، بينما ذهب مِن خلفهم أَرْغُون وبوغا آغا، وذهب على إثْرهم هُولاجُو وكيخاتو وتِكنا[٢]، وأُرسِل إلى قرا آناس رسول يُدْعَى بُرَه يقول: إننا كنّا في سُيُرلق[٣] عندما هرب أحمد، فاذهبوا وأغيروا على المعسكرات.

انطلقَ هؤلاء إلى معسكر قوتي خاتون ووجدوا أحمد هناك، فأغاروا على المعسكر وطالبوا قادَتَه بتسليم أحمد، فرفض سِكت آغا وقرانقاي [٣٨ ب] وقالا: بل نُبقي عليه نحن وأنتم إلى أنْ يأتي أَرْغُون.

عقب ذلك تشاوروا في يوزغاج[٤] من هشترود بشأن مَن يكون الملك.

---

(١) يُكتب أيضاً بصورة طولاداي، دولاداي يارغوچي.

(٢) استناداً إلى رشيد الدِّين (جامع التواريخ، ٢/ ٧٩٨)، فإنّ مجموع ما أُرسل من جند لتعقّب أحمد مع أولئك القادة بلغ ٤٤٠٠ فارس.

(٣) هو الموضع الَّذي يرد لدى رشيد الدِّين (جامع التواريخ، ٢/ ٨٠٨، ٨١١ - ٨١٣). بصيغة سوغورلوق، سغورلوق، وذكر أنّ بولداغ من نواحيه (٢/ ٨٢٦).

(٤) في الأصل «تورغاج»، والتصويب من رشيد الدِّين الَّذي ذكر هذا المكان بقوله «آب شور من ضواحي يوزآغاج» (جامع التواريخ، ٢/ ٨٠٠، ٨٠٧)؛ وذكره فصيح الخوافيّ (مجمل التواريخ، ٢/ ٣٧٥) أيضاً بصيغة «يوزآغاج». واستناداً إلى ما ذكره رشيد الدِّين مِن أنّ هذا الموضع هو أحد ضواحي آب شور، وإلى إقبال الَّذي قال إنّ آب شور هي إحدى المحلات الثمان لهشترود (انظر: تاريخ مغول، ٢٣١)، وهشترود تقع إلى الشمال من مراغة (انظر: معين، فَرْهَنْك فارسي)، فيكون موقعها في هذه البقاع. وقد بحثنا ذلك في مقدمة التحقيق.

قال بوغا آغا: إنّ آباقا أوصى أنْ يكون أَرْغُون هو الملك من بعده، وشَهِدَ دنكز كركان على ذلك. ولمّا لم يكن في ياسة المغول[١] أن يوصي أحدٌ بالمُلْك لأحدٍ من بعده، وكان الأمراء الكبار وجيش قرا آناس راغبين في اختيار أَرْغُون مَلِكاً، فقد اتَّفقوا عليه[٢].

وفي يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من جمادى الأولى شُكِّل اليارغو[٣] لأحمد بسبب قَتْله قُنْغُرْتَاي، فلم يُجِرْ جواباً[٤].

وفي ليلة الأربعاء الخامس والعشرين من جمادى الأولى[٥] قتلوا أحمد لكونه قد قتل قُنْغُرْتَاي.

---

(١) الياسا أو اليسق: القانون الخاص الَّذي سَنَّه جنكيز خان. انظر: قائمة بالكلمات المغولية...

(٢) لا شك في أنّ إيغال أحمد تكودار في قتل مناوئيه من أفراد الأسر الحاكمة المغولية قد أثار مشاعر السخط في صفوفهم، ومع ذلك ينبغي أخذ رأي الباحث غروسيه بنظر الاعتبار، إذْ يقول: «تجمَّع الساخطون وكبارُ السِّنِّ من المغول الَّذين كانوا يعتنقون الديانة البوذية، والمسيحيون النساطرة حول أَرْغُون نجل آباقا خان الَّذي كان حاكم خراسان، وسرعان ما اندلعت الحرب الداخلية»، ويضيف: أنّهم شَكَوا أحمدَ إلى عمِّه قوبيلاي خان الحاكم الأعلى في الصين الَّذي - بشهادة ماركو بولو - تألَّم كثيراً لذلك. ثُمَّ يقدّم غروسيه شهادة الناسك الأرميني هايتون التي قال فيها: «إنَّ أحمد جعل شغله الشاغل تحويل القبائل الترية إلى الشريعة المحمدية» (The Impire of the steppes, p. 371 - 372)؛ يقول دولتشاه السَّمَرْقَنْديّ: «إنَّ السلطان أحمد كان منحازاً تماماً للإسلام والمسلمين» (تذكرة الشعراء، ١٨٤).

(٣) اليارغو: كلمة مغولية تعني مجلس تحقيقي يباشر استجواب المتَّهَم (انظر: قائمة بالكلمات المغولية...، في آخر الكتاب).

(٤) لم يجر جواباً: لم يردّ جواباً.

(٥) نجد لدى رشيد الدِّين (جامع التواريخ، ٢/ ٨٠٠)، «ليلة الخميس، ٢٦ جمادى الأولى سنة ٦٨٣هـ، قتلوه بالصورة نفسها التي قتل بها قُونقُورتاي؛ وكما تَدِين تُدان».

وفي يوم الجمعة السابع والعشرين من جمادى الأولى تسنَّم ملكُ العالمِ [أَرْغُون] العرشَ بالطالع المسعود لبُرج القَوس؛ فليكنْ ذلك مباركاً وميموناً على العالمين، ولتكنْ دولتُه في نَماء وعَظمة، ومُلْكه في تضاعفٍ بمحمَّد وعترتِه الطَّاهرين.

ستُوافِينا ليالِينا الحُبالَى حَمْلَها　　فَلْنُشاهِدْ مَنْ سَتَختارُ صُروفُ القَدَرِ
قَدْ رأينا دورةَ الأَفْلاكِ مَاذَا فَعَلَتْ　　ونَرَى الآتي إذَا مُدَّ لَنَا فِي العُمُرِ [1]

---

(١) لا نعلم إنْ كان هذان البيتان للمؤلِّف قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ الَّذي كان شاعراً (انظر مثلاً: التقيّ الفاسيّ، منتخب المختار، ٢٢٤ - ٢٢٧)، أم أنه اقتبسهما من غيره؛ ومهما يكنْ فقد آثرنا أن نترجمهما شعراً، ولطول المعنى الَّذي حُشر في البيتين الفارسيين فقد جعلنا شطرَ كلِّ بيت من ترجَمَتنا يحتوي على أربع تفعيلات، وبذلك أصبح وزنهما من مجزوء الرمل.

قائمة

بالكلمات المغولية، أو المغولية/ التركية[1]، أو الفارسية، استعملت في العَرَبِيَّة بمعناها الَّذي في هذه اللغات، فاستعملناها بدَورنا في هذه التَرْجَمَة

البايزة: «لوحة من الذهب أو الفضة، ومن الخشب أحياناً، بحسب اختلاف رُتَب الأشخاص (الَّذين يُصْدِرونها). وهي بعرض كف اليد وطولها حوالي نصف ذراع. حُفِرَ في أعلاها اسم الله واسم الملك مع شعار وعلامة خاصة. كان ملوك المغول يعطونها لمن يولونه عناية متميزة»[2]. وقد تُجمع هي والبَرْليغ في جملة واحدة: «فسيَّرَ أبغا هذا الرسولَ صحبتَه ومعهُ يرليغٌ وبايزةُ ذَهَبٍ»[3].

التُومَان: مغولية تعني عشرة آلاف. نقرأ في التَرْجَمَة العَرَبِيَّة القديمة *لجامع التواريخ*: «اجمعوا لنا من العساكر أربعين توماناً»[4]، وفي *كنز الدرر*: «تنفِذْ إلينا توماناً من العساكر»[5].

---

(١) يقول ابن عِنَبَة: «ولسان المغول يتداخله كثيرٌ من التركية» (حلية الإنسان، ٢٣٠).

(٢) معين، فرهنك فارسي.

(٣) بَيْبَرْس المنصوري الدوادار، زبدة الفكرة، ١١٧.

(٤) رشيد الدِّين، جامع التواريخ (التَرْجَمَة العَرَبِيَّة، مخطوطة أَيَا صوفيا)، الورقة ٢٩٧ أ.

(٥) ابن الدَّوَادَاريّ، كنز الدرر (الدرة الزكية...)، ٩/ ٢٠.

الدوشاخة أو الدُوشاخ: آلة للعذاب توضع في أعناق المعتقلين؛ نقرأ في التَرْجَمَة العَرَبِيَّة القديمة *لجامع التواريخ*: «وجعل الدُّوشاخ في عنقه»[١]، واشتقوا منها فعلاً فقالوا: «دُوشِخَ وطُوِّق وأُسمعَ كلّ قبيح»[٢]. والكلمة من الفارسية، حيث «دو» تعني اثنين، و«شاخة»، تعني الغصن أو الفرع.

القوريلتاي: كلمة مغولية تعني مجلس أهل الحل والعقد من كبار أمراء المغول، يقول السلطان أحمد تكودار في رسالته باللغة العَرَبِيَّة التي بعث بها إلى المنصور قلاوون عن الكيفية التي انتُخب بها: «فاجتمع عندنا في قوريلتاي المبارك، وهو المجمع الَّذي تنقدح فيه آراء جميع الاخوان والإخوة والأولاد والأمراء الكبار ومقدّمي العساكر وزعماء البلاد...»[٣]. وهي مستعملة بلفظها هذا في مصادر عربية أُخَر، نقرأ مثلاً: «وعمِلوا قوريلتاي لينظروا ويختاروا مَن يجلس مكان أبغا»[٤]. وفي *جامع التواريخ*: «فاجتمعوا للمشاورة في أمر المُلْك، وهذا الاجتماع يسمى بلغة التُّرك قوريلتاي»[٥].

المِثال: كلمة عربية وردت في الأصل الفارسي؛ وتعني الأمر الصادر من المَلِك[٦].

---

(١) رشيد الدِّين، جامع التواريخ (التَرْجَمَة العَرَبِيَّة، مخطوطة أَيَا صوفيا)، الورقة ٨٠ أ.

(٢) مجهول، كتاب الحوادث، ٥٢٤، انظر أيضاً: ٤٦٦.

(٣) ابن العِبْرِيّ، تاريخ مختصر الدول، ٥٠٦؛ بَيْبَرْس المنصوري الدوادار، زبدة الفكرة، ٢٢٠.

(٤) بَيْبَرْس المنصوري الدوادار، زبدة الفكرة، ٢١٨، انظر أيضاً: ٢٢٣.

(٥) رشيد الدِّين، جامع التواريخ (التَرْجَمَة العَرَبِيَّة القديمة، مخطوطة أَيَا صوفيا)، الورقة ٢٢١ ب.

(٦) انظر: الرامپوري، غياث اللغات.

وهي مستعملة بهذا المعنى في تواريخ تلك الحقبة وما قبلها، حيث نجد لدى العماد الأَصْفَهانيّ: «مضمون المثال السلطانيّ»، و«كان يوقِّع الأمثلة السُّلطانية»[١]؛ ونقرأ قول أبي الحسن البَيْهَقيّ: «التمستُ له من الحضرة مثالاً لنقابة سادات إستراباد، فوردَ عَلَيّ المثال في أواخر جمادى سنة ٥٤٦هـ»[٢]؛ ونقرأ قول صدر الأفاضل عن أحد التُّجَّار: «كان معه أمثلة السلطان لئلا يَتَعَرَّض له في طرف من الأطراف عَشَّارٌ ولا بيَّاعٌ»[٣]؛ وجُمِعت على مثالات أيضاً، حيث نقرأ: «ولم تزل المِثالات تُكتَب والمناشير...»[٤]، وفي *زبدة الفكرة*: «وكُتبت لها المِثالات...، فكان كل مَن وُقِّعَ له مِثال لا سبيل له إلى المراجعة»[٥].

اليَارْغو: أو اليَرْغُو، يعني الاستجواب والتحقيق أو المحاكمة. وهي مستعملة في الكتابات العَرَبِيَّة آنذاك، نقرأ مثلاً: «فعُمِلَ له يارغو، وقوبل على أمور نسبت إليه، فوجب عليه القَتْل»[٦].

قال ابن عِنَبَة: إنَّ «يارغوچي» مغولية تعني الحاكم[٧].

---

(١) عمادُ الدين الأَصْفَهَانيّ، تاريخ دولة آل سَلجوق، ١٢٩، ١٤٨.

(٢) أبو الحسن البيهقي، لباب الأنساب، ٢/ ٥٨٤.

(٣) صدر الأفاضل، اليُمْنيّ، ٨٠ أ - ٨٠ ب.

(٤) ابن واصل، مفرج الكروب، ٦/ ٣٧٠.

(٥) بَيْبَرْس المنصوري الدوادار، زبدة الفكرة، ٣٢٠؛ انظر أيضاً: العَيْنيّ، عقد الجمان، ٣/ ٣٩٤، ٣٩٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٨/ ٩١.

(٦) مجهول، كتاب الحوادث، ٣٨٢.

(٧) انظر: ابن عنبة، حلية الإنسان، ٢٠٨.

قلتُ: لقد وجدناها في صيغة الجمع لدى مترجم قديم حاكياً عن جمع من القضاة أو المحقِّقين وسمَّاهم «البارغُوجية»[١].

اليَاسَا أو اليَسَق: يقول العلاَّمة بويل: إنّها تعني النظام أو القانون (Historical Dictionary..., 302). والمعروف أنّها القانون الخاص الَّذي سَنَّه جنكيز خان وطَبَّقَ الملوكُ المغول موادَّه بصرامة، حيث كانوا ينفِّذونه حرفياً. والكلمة أيضاً تعني في الأدبيات والتواريخ المغولية وما يدور في فلكها الإعدام والقصاص[٢].

ويقول فلاديميرتسوف «دوَّن المغول الياسا أو قوانينهم، على عهد جنكيز خان، حيث يحتمل أن تكون قانوناً من القوانين السائدة، ومن أعراف المغول الوطنية»[٣]. وجرت العادة أن تُنسب إلى جنكيز خان في النقاشات والمراسيم المغولية، سمَّاها فلاديميرتسوف «مقررات ومراسيم جنكيز خان»[٤].

يقول جنكيز خان في *اليَاسا*: «إنَّ الملوك الَّذين سيأتون من بعدي، وكبار رجال الدولة، والقادة العسكريين والأمراء الَّذين سيكونون معهم، إذا لم يطبِّقوا الياسا بصدق، فإنَّ عمل الدولة سيضطرب ويفلت زمام الأمور». ويختم بالقول وهو يتنبَّأ بأن يستمر حكم ذرِّيته آلاف السنين:

---

(١) انظر: رشيد الدِّين، جامع التواريخ (التَّرجَمة العَرَبِيَّة القديمة، مخطوطة أَيَا صوفيا)، الورقة ٢٢١ ب.

(٢) انظر مثلاً: دَوْلَتْشَاه السَّمَرْقَنْديّ، تذكرة الشعراء، ١٨٥.

(٣) فلاديميرتسوف، نظام إجتماعي مغول، ٢١ – ٢٢.

(٤) فلاديميرتسوف، جنكيز خان، ٤٦.

«مِن الآن وإلى خمس مئة سنة، وإلى ألف سنة، وإلى عشرة آلاف سنة، إذا تسنَّم العرش مَن هم سيكونون خلفاء لجنكيز خان، فإنَّ عليهم أنْ يحافظوا على هذا القانون أو *الياسا*، ولا يغيِّروا فيه شيئاً»[١]

اليَرْلِيغ: كلمة تركيَّة تعني المرسوم أو الحُكم، وقد استعملت الكلمتان في العَرَبِيَّة بهذا المعنى، بل جُمِعَ فيها «اليَرْلِيغ» على «يرالغ»، حيث نجد مثلاً:

«يسيِّر إليه الخان يَرْلِيغ بتقليده مملكة الروم»، «حتى نُسْمِعَهم ونُفهمَهم يَرالِغَ وياساتِ قاآن ويعودون»[٢].

ونجد في التَّرْجَمَة العَرَبِيَّة القديمة *لجامع التواريخ*: «أساميهم مكتوبة في يرليغ جنكيز خان»[٣]؛ وجُمِعَتْ على «يَراليغ»: «نفَّذ اليراليغ والأحكام»[٤]؛ ويرليغات: «يكتبون اسمه فوق فرامينهم ويرليغاتهم»[٥].

---

(١) فلاديميرتسوف، المصدر نفسه، ١١١ - ١١٢.

(٢) بَيْبَرْسُ المنصوريّ الدوادار، زبدة الفكرة، ٢٩، ١١٨.

(٣) رشيد الدِّين، جامع التواريخ (التَّرْجَمَة العَرَبِيَّة القديمة، مخطوطة أَيَا صوفيا)، الورقة ١٩٧ أ.

(٤) الصَّفَديّ، أعيان العصر، ٤/ ٩.

(٥) رشيد الدِّين، جامع التواريخ (التَّرْجَمَة العَرَبِيَّة القديمة، مخطوطة أَيَا صوفيا)، الورقة ٣٣٢ ب.

فهارس الكتاب

إعداد السيِّدة بشرى ضياء مشكور



١- فهرس الأعلام.

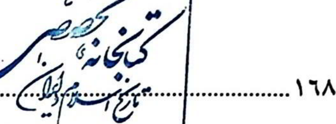
٢- فهرس المواضع والمدن والبلدان.

٣- فهرس الأمم والقبائل والطوائف والفرق وأصحاب المِهَن.

فهرس الأعلام

فهرس المواضع والمدن والبلدان

فهرس الأمم والقبائل والطوائف والفرق وأصحاب المِهَن


کتابخانه تخصصی
تاریخ اسلام و ایران
۱۳۷۴

المصادر والمراجع

المخطوطة

١. ابن حبيب الحلبي، الحسن بن عمر بن الحسن الشَّافِعِيّ (٧١٠ - ٧٧٩هـ)، *درة الأسلاك في دولة الأتراك*، مخطوطة مكتبة أَيَا صوفيا، تحت الرقم ٣٣٣.

٢. ابن الشِّحْنة، محب الدين مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن محمود الحلبي الحَنَفيّ (٧٤٩ - ٨١٥هـ)، *روض المناظر في علم الأوائل والأواخر*، مخطوطة مجلس سنا، طهران، برقم ١٦٤٧.

٣. أبو الغازي، بهادر خان بن عرب مُحَمَّد خان ابن الحاج مُحَمَّد خان (١٠٤١ - ١٠٧٤هـ)، *شجرة الأتراك*، مخطوطة مكتبة هارفرد، بالرقم ٨٩ - ١٣٥٦.

٤. الأسفزاريّ، معين الدين (انتهى من تأليف كتابه سنة ٨٩٩هـ)، *روضات الجنات في أوصاف مدينة هراة*، مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ في طهران، برقم ٢٢٨٩.

٥. البَنَاكَتيّ، داود بن مُحَمَّد (انتهى منه سنة ٧١٧هـ)، *روضة أولي الألباب في تواريخ الأكابر والأنساب*، مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ في طهران، الرقم ٥٤٦٩/ ٢٥٥.

٦. البيضاويّ، عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد الشِّيرازيّ الشَّافِعِيّ (بعد سنة ٦٩٤هـ)، *نظام التواريخ*، مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ، طهران، الرقم ٧٥ فيروز.

٧. خواند مير، مُحَمَّد بن همام الدين الحسينيّ الإماميّ (٨٨٠ - ٩٤٢هـ)، *حبيب السير في أخبار أفراد البشر*، مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ بطهران برقم ١٣٩٦٨.

٨. رشيد الدِّين الهَمَذَانيّ، فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير بن موفق الدولة عالي بن أبي شجاع الشَّافِعِيّ (٦٤٨ - ٧١٨هـ)، «تقريظ توضيحات رشيدي»، في ضمن مجموعة *منشآت* من أواخر القرن السابع وأوائل الثامن الهجريين، محفوظة في مكتبة كليَّة الآداب بطهران، بالرقم ١٨٨ج.

٩. رشيد الدِّين، *جامع التواريخ* (تَرْجَمَة عربية)، مكتبة أَيَا صوفيا، إستانبول، برقم ٣٠٣٤.

١٠. الزركشيّ، مُحَمَّد بن بهادر بن عبد الله الشَّافِعِيّ (٧٤٥ - ٧٩٤هـ)، *عقود الجمان في تذييل وفَيات الأعيان*، مخطوطة المكتبة السليمانية بإستانبول، تحت الرقم ٤٤٣٤.

١١. شرف الزمان المروزي، طاهر (كان حياً سنة ٥١٨هـ)، *طبائع الحيوان*، مخطوطة المكتب الهندي في لندن، الكتب العربية، تحت الرقم ١٩٤٩.

١٢. الشَّطَنُوفِيّ، عَلِيّ بن يوسف بن حريز اللخميّ الشَّافِعِيّ (٦٤٤ - ٧١٣هـ)، *بهجة الأسرار ومعدن الأنوار*، مخطوطة المكتبة الأزهرية، تحت الرقم ٨٠٧١/ ٩٨٠١٥٢.

١٣. صدر الأفاضل، القاسم بن الحسين الخوارزمي (٥٥٥ ـ ٦١٧هـ)، *اليُمنيّ في شرح اليميني*، مخطوطة مكتبة رئيس الكتّاب (تركيا)، تحت الرقم ٨٥٧.

١٤. قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ، محمود بن مسعود بن مصلح الشَّافِعِيّ (٦٣٤ - ٧١٠هـ)، *التحفة السَّعْدِيَّة*، مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ، تحت الرقم ١٠٦١.

١٥. قُطْب الدِّين الشِّيرازيّ، *دُرة التَّاج لغُرَّة الدُّبَاج*، مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ، طهران، تحت الرقم ٤٧٣٠. وهي نسخة نفيسة كُتبت أواخر ذي الحجة سنة ٧٠٥هـ.

١٦. مير خواند، مُحَمَّد بن خاوند شاه بن محمود الخوارزميّ الحسينيّ (٨٣٧ - ٩٠٣هـ)، *روضة الصفاء في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء*، مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ، طهران، تحت الرقم ٢٣٠٤، المجلد ٥.

١٧. وصَّاف الحَضْرَة، عبد الله بن فضل الله الشِّيرازيّ (٦٦٣ - ٧٣٠هـ)، *تجزِيَةُ الأمصار وتَزْجيَةُ الأعصار*، مخطوطة مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ، طهران، برقم ١١٨ط.

المطبوعة - العَرَبيَّة

١٨. ابن أبي عُذَيبة، أحمد بن مُحَمَّد بن عمر المقدسيّ الشَّافِعِيّ (٨١٩ - ٨٥٦هـ)، *إنسان العيون في مشاهير سادس القرون*، تحقيق الدكتور إحسان ذُنُّون الثامري والدكتور مُحَمَّد عبد الله القَدَحات، دار وَرْد، عَمَّان، ٢٠٠٠م.

١٩. ابن باطيش، إسماعيل بن هبة الله بن مُحَمَّد الموصليّ الشَّافِعِيّ (٥٧٥ - ٦٥٥هـ)، *التمييزُ والفَصْل بين المُتَّفق في الخط والنَّقْط والشَّكْل*، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العَرَبيَّة للكتاب، تونس، ١٩٨٣م.

٢٠. ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الحَنَفيّ (٨١٣ - ٨٧٤هـ)، *المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي*، تحقيق الدكتور مُحَمَّد محمد أمين، الهيئة المصريَّة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.

٢١. ابن تغري بردي، *مورد اللطافة في مَن وَلِيَ السلطنة والخلافة*، تحقيق نبيل مُحَمَّد عبد العزيز، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م.

٢٢. ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، دار الكتب المصرية، القاهرة.

٢٣. ابن الجَزَرِيّ، مُحَمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر القُرَشيّ الدِّمَشْقيّ (٦٥٨ - ٧٣٩هـ)، *تاريخ حوادث الزَّمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه*(اختيار الذَّهَبيّ)، تحقيق خضير عباس المنشداويّ، دار الكتاب العَرَبِيّ، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢٤. ابن حجر العسقلانيّ، أحمد بن عَلِيّ الشَّافِعِيّ (٧٧٣ - ٨٥٢هـ)، الدرر *الكامنة في أعيان المئة الثامنة*، تحقيق مُحَمَّد عبد المعين خان، دائرة المعارف العُثْمانيّة، حيدر آباد الدكن، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٢٥. ابن الحريريّ، أحمد بن عَليّ بن المغربيّ (كان حياً سنة ٩٢٦هـ)، *منتخب الزَّمَان في تأريخ الخلفاء والعلماء والأعيان*، تحقيق عبده خليفة، دار عشتار، بيروت، ١٩٩٣م.

٢٦. ابن خَلِّكَان، أحمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم الشَّافِعِيّ (٦٠٨ – ٦٨١هـ)، *وفيات الأعيان*، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٨ – ١٩٧٢م.

٢٧. ابن دقماق، إبراهيم بن مُحَمَّد بن أيدمر العلائي الحَنَفيّ (٧٥٠ – ٨٠٩هـ)، *نزهة الأنام في تأريخ الإسلام*، دراسة وتحقيق الدكتور سمير طَبَّارة، المكتبة العصريَّة، صيدا – بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٢٨. ابن الدَّوَاداريّ، أبو بكر بن عبد الله (توفي بعد ٧٣٦هـ) بن عز الدين أيبك صاحب صرخد، *كنز الدرر وجامع الغرر (الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية)*، تحقيق أولرخ هرمان، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

٢٩. ابن رَجَب، عبد الرحمن بن أحمد الحَنْبَليّ (٧٣٦ – ٧٩٥هـ)، *الذَّيل على طبقات الحنابلة*، تحقيق سليمان بن عبد الرحمن الصنيع، مطبعة السنة المحمّدية، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م.

٣٠. ابن سبَاط، حمزة بن أحمد بن عمر الغربيّ (توفي بُعَيد ٩٢٦هـ)، *صدق الأخبار*، جروس برس، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٣١. ابن شاكر، مُحَمَّد بن شاكر بن أحمد الكتبيّ الدِّمَشْقيّ الشَّافِعِيّ (٦٨١ – ٧٦٤هـ)، *عيون التواريخ*، تحقيق الدكتور فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، دار الرشيد، ١٩٨٠م.

٣٢. ابن شدَّاد، عز الدين مُحَمَّد بن عَليّ بن إبراهيم (٦١٣ – ٦٨٤هـ)، *الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة*، تحقيق يحيى عَبَّارة، وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ، دمشق، ١٩٨٧م.

٣٣. ابن شدَّاد، عزّ الدين، *تأريخ الملك الظاهر*، تحقيق أحمد حطيط، النشرات الإسلاميَّة لجمعية المستشرقين الألمانيَّة، فيسبادن، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣٤. ابن الطِّقْطَقَى، مُحَمَّد بن عَليّ بن طَباطَبا العلويّ الإمامي (توفي في حدود سنة ٧٢٠هـ)[٣٩٩]، *الأصيلي*، تحقيق مهدي الرجائي، مكتبة المرعشي، قم، ١٤١٨هـ.

٣٥. ابن الطِّقْطَقَى، *الفَخْريّ في الآداب السلطانيَّة والدول الإسلاميَّة*، دار صادر، بيروت.

٣٦. ابن الطِّقْطَقَى، *المختصر في مشاهير الطالبيَّة والأئمة الاثني عشر*، تحقيق السيّد علاء الموسويّ، مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات العَتبَة العَبَّاسِيَّة المقدَّسة، كَربَلاء، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٣٧. ابن طولون الصالحيّ، مُحَمَّد بن عَليّ بن مُحَمَّد الدِّمَشْقيّ الحَنَفيّ (٨٨٠ - ٩٥٣هـ)، *إعلام الورى بمن وُلّي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى*، تحقيق مُحَمَّد أحمد دُهْمَان، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

٣٨. ابن عبد الحقّ، صفيّ الدين عبد المؤمن البَغْدَادِيّ الحَنْبَلِيّ (٦٥٨ - ٧٣٩هـ)، *مراصد الاطِّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع*، تحقيق عَليّ مُحَمَّد البجاويّ، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٣٩. ابن عبد الظاهر، محيي الدين عبد الله بن رشيد الدِّين السَّعديّ (٦٢٠ - ٦٩٢هـ)، *الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر*، تحقيق عبد العزيز الخويطر، دار صادر، بيروت.

٤٠. ابن العِبْرِيّ، *تاريخ مختصر الدول*، تحقيق الأب أنطون صالحاني اليسوعيّ، دار الرائد اللبنانيّ، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

---

(٣٩٩) استندنا في تحديد وفاته في هذه السَّنة إلى ما حقَّقه السيِّد علاء الموسويّ في مقدمته لكتاب المختصر في مشاهير الطالبية والأئمة الاثني عشر لابن الطقطقى، ٨٢ - ٨٤.

٤١. ابن العِبْرِيّ، جمال الدين غريغوريوس بن أهرون المَلطيّ (٦٢٣ - ٦٨٥هـ)، *تاريخ الزّمَان*، تَرْجَمَة الأب إسحاق أرملة، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م.

٤٢. ابن عِنَبَة، أحمد بن عَليّ بن الحسين الحسيني (توفي سنة ٨٢٨هـ)، *حلية الإنسان وحلبة اللسان*، تحقيق رفعت الكليسلي المعلم، إستانبول، ١٣٤٠هـ.

٤٣. ابن عِنَبَة الحسينيّ، *عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب*، تحقيق مُحَمَّد حسن آل الطالقاني، المكتبة الحيدرية، النَّجَف الأشرف، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.

٤٤. ابن فضل الله العُمَريّ، أحمد بن يحيى القُرَشيّ الدِّمَشْقيّ الشَّافِعِيّ (٧٠٠ - ٧٤٩هـ)، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، حقَّق بعض أسفاره وأشرف على تحقيقه الدكتور كامل سلمان الجُبُوريّ بالاشتراك مع الأستاذ مهدي النَّجم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٤٥. ابن الفُوَطِيّ، عبد الرزاق بن أحمد بن مُحَمَّد الشَّيباني الحَنْبَليّ (٦٤٢ - ٧٢٣هـ)، *تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب*، تحقيق مُحَمَّد الكاظم، وزارة الثقافة والإرشاد، طهران، ١٤١٧هـ.

٤٦. ابن قاضي شُهْبة، أبو بكر بن أحمد بن مُحَمَّد الدِّمَشْقيّ الشَّافِعِيّ (٧٧٩ - ٨٥١هـ)، *طبقات الشَّافِعِيَّة*، تحقيق الدكتور عبد العليم خان، دائرة المعارف العُثْمانيّة، حيدر آباد الدكن، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٤٧. ابن الكازَرُونيّ، ظهير الدين عَليّ بن مُحَمَّد البَغْدَادِيّ الشَّافِعِيّ (٦١١ - ٦٩٧هـ)، *مختصر التأريخ من أول الزّمَان إلى منتهى دولة بني العباس*، تحقيق الدكتور مصطفى جواد، وزارة الإعلام العراقية، بغداد، ١٩٧٠م.

٤٨. ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر الشَّافِعِيّ (٧٠١ - ٧٧٤هـ)، *البداية والنهاية*، تحقيق عَليّ شيري، دار إحياء التراث العَرَبِيّ، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٤٩. ابن المغيزل، علي بن عبد الرحيم بن أحمد الشافعي (٦١٩- ٦٩٦)، *ذيل مفرّج الكروب في أخبار بني أيوب*، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٥٠. ابن واصل، مُحَمَّد بن سالم بن واصل التَّميميّ الحَمَويّ الشَّافِعِيّ (٦٠٤ - ٦٩٧هـ)، *مفرج الكروب في أخبار بني أيوب*، ج٥، تحقيق الدكتور حسنين محمد ربيع، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٧م، ج٦، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمريّ، المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٥١. ابن الورديّ، عمر بن مظفر بن عمر الشَّافِعِيّ (٦٩١ - ٧٤٩هـ)، *تتمة المختصر المعروف بتأريخ ابن الورديّ*، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٥٢. أبو حامد الغرناطيّ، مُحَمَّد بن عبد الرحيم بن سليمان الأندلسي (٤٧٣ - ٥٦٥هـ)، *تحفة الألباب ونخبة الإعجاب*، تحقيق الدكتور إسماعيل العَرَبيّ، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٥٣. أبو الحسن البَيْهَقيّ، عَليّ بن زيد بن مُحَمَّد (٤٩٠ - ٥٦٥هـ)، *تأريخ بَيْهَق*، تَرْجَمَة وتحقيق يوسف الهادي، دار إقرأ، دمشق، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٥٤. أبو الحسن البَيْهَقيّ، *لباب الأَنساب والأَلقاب والأَعقاب*، تحقيق مهدي الرجائي، قُم، ١٤١٠هـ.

٥٥. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن عَليّ بن محمود، الملك المؤيد صاحب حَماة الشَّافِعِيّ (٦٧٢ - ٧٣٢هـ)، *تقويم البلدان*، تحقيق دي سلان ورينو، باريس، ١٨٤٠م.

٥٦. أبو الفداء، *المختصر في أخبار البشر*، مكتبة المثنى، القاهرة.

٥٧. الإِسْنَويّ، عبد الرحيم بن الحسن بن عَليّ (٧٠٤ - ٧٧٢هـ)، *طبقات الشَّافِعِيَّة*، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٥٨. الأشرف الغَسَّانيّ، إسماعيل بن العباس بن رسول(٧٦١ - ٨٠٣هـ)، *العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك*، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم، دار التراث الإسلاميّ ودار البيان، بغداد، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٥٩. أغا بُزُرْك الطهرانيّ، محمّد محسن بن عَليّ الإماميّ (١٢٩٣ - ١٣٨٩هـ)، *الذَّريعة إلى تصانيف الشِّيعَة*، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٦٠. أغا بُزُرْك الطهراني، *ذيل كشف الظنون*، تحقيق مُحَمَّد مهدي الخرسان، ملحَق *بهدِيَّة العارفين*، أوفيست المكتبة الإسلاميَّة ومكتبة الجعفريّ التَّبْرِيزيّ، طهران، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٦١. ألدو ميلي، *العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي*، تَرْجَمَة الدكتور عبد الحليم النجار والدكتور مُحَمَّد يوسف موسى، دار القلم، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

٦٢. بارتولد، *تركستان من الفتح العَرَبيّ إلى الغزو المَغُولِي*، تَرْجَمَة صلاح الدين عثمان هاشم، قسم التراث بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٦٣. البِرْزَالِيّ، علم الدين القاسم بن مُحَمَّد بن يوسف الشَّافِعِيّ (٦٦٥ - ٧٣٩هـ)، *المقتفي على كتاب الروضتين*، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمريّ، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٦٤. بَيْبَرْس المنصوريّ الدوادار، ركن الدين بَيْبَرْس بن عبد الله الخِطائيّ الحَنَفيّ (حوالي ٦٤٥ - ٧٢٥هـ)، *زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة*، تحقيق دونالد ريتشاردز، المعهد الألمانيّ للأبحاث الشرقيّة في بيروت، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٦٥. تاتون، رنيه، *تاريخ العلوم العام، العلم القديم والوسيط*، تَرْجَمَة الدكتور عَليّ مقلد، المؤسسة الجامعيَّة للدراسات، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٦٦. تقي الدين الفاسيّ، مُحَمَّد بن أحمد بن عَليّ المالِكيّ (٧٧٥ - ٨٣٢هـ)، *العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين*، تحقيق مُحَمَّد حامد الفقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٦٧. تقي الدين الفاسيّ، *منتخب المختار المذَيّل به على تاريخ ابن النجّار* لابن رافع السلاميّ، مُحَمَّد بن رافع بن هجرس الشَّافِعِيّ (٧٠٤ - ٧٧٤هـ)، تحقيق المحامي عباس العَزَّاويّ، مطبعة الأهالي، بغداد، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

٦٨. جُنَيْد الشِّيرازيّ، معين الدين أبو القاسم (ألَّف كتابه سنة ٧٩١هـ)، *شد الإزار في حَطِّ الأوزار عن زَوّار المزار*، تحقيق مُحَمَّد بن عبد الوهاب قزوينيّ، مطبعة المجلس، طهران، ١٩٤٩م.

٦٩. جواد وسُوسَة، الدكتور مصطفى جواد مصطفى (١٩٠١ - ١٩٦٩م)، والدكتور أحمد نسيم سُوسَة (١٩٠٠ - ١٩٨٢م)، *دليل خارطة بغداد المفصَّل*، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.

٧٠. الجُوَيْنيّ، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين مُحَمَّد (٦٢٣ - ٦٨١هـ)، *تأريخ فاتح العالم*، تَرْجَمَة الدكتور مُحَمَّد ألتونجي، دار الملاَّح، دمشق، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٧١. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب چلبي العُثْمانيّ (١٠١٧ - ١٠٦٧هـ)، *سُلَّم الوصول إلى طبقات الفحول*، تحقيق محمود عبد القادر الأرناؤوط، منظمة المؤتمر الإسلاميّ، إستانبول، ٢٠١٠م.

٧٢. *حاجي خليفة*، *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، تحقيق شرف الدين يالتقايا ورفعت بيلكه الكليسي، إستانبول، ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م.

٧٣. الحسنيّ العلويّ، مُحَمَّد النسَّابة (من أعلام القرن السابع الهجري)، *التُحفة في نظم أصول الأنساب*، اقتبس منه عباس العزاوي في *تأريخ العراق بين احتلالين* فليُراجَع.

٧٤. خصباك، الدكتور جعفر حسين (١٩٢٢ - ١٩٩٤م)، *العراق في عهد المغول الإيلخانيين*، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٨م.

٧٥. دَفتَري، فرهاد، *معجم التاريخ الإسماعيليّ*، تَرْجَمة سيف الدين قصير، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٦م.

٧٦. دوزي، رينهارت بيتر آن (١٨٢٠ - ١٨٨٣م)، *تكملة المعاجم العَرَبِيَة*، تَرْجَمة الدكتور مُحَمَّد سليم النعيميّ، مراجعة جمال الخيَّاط، الجزء السابع، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٩٢م.

٧٧. الدِّياربَكْري، الحسين بن مُحَمَّد المالكيّ (توفي سنة ٩٦٦هـ)، *الخميس في أحوال أنفس نفيس*، المطبعة العُثْمانيّة، القاهرة، ١٣٠٢هـ.

٧٨. الذَّهَبيّ، شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الدِّمَشْقيّ الشَّافِعِيّ (٦٧٣ - ٧٤٨هـ)، *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمريّ، دار الكتاب العَرَبيّ، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. واستندنا أيضاً إلى طبعته التي حقَّقها الدكتور بشَّار عوَّاد معروف وصدر عن دار الغرب الإسلاميّ في بيروت سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٧٩. الذَّهَبيّ، شمس الدين، *تذكرة الحُفَّاظ*، تحقيق عبد الرحمن المُعَلِّميّ، حيدر آباد الدكن، ١٩٥٥ - ١٩٥٨م.

٨٠. الذَّهَبيّ، شمس الدين (٦٧٣ - ٧٤٨هـ)، *دول الإسلام*، تحقيق حسن إسماعيل مَرْوَة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م.

٨١. الذَّهَبيّ، شمس الدين، *ذيل تأريخ الإسلام*، تحقيق مازن بن سالم باوزير، دار المغني، الرياض.

٨٢. الذَّهَبِيّ، شمس الدين، *سير أعلام النبلاء*، تحقيق مجموعة من المحققين، بيروت، ١٤٠١هـ.

٨٣. الذَّهَبِيّ، شمس الدين، *العبر في خبر مَن غَبَر*، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجِّد، مطبعة الحكومة، الكويت، ١٩٨٤م.

٨٤. الذَّهَبِيّ، شمس الدين، *المعجم المختص بالمحدثين*، تحقيق مُحَمَّد حبيب الهيلة، مكتبة الصدِّيق، الطائف، ١٤٠٨هـ.

٨٥. رحمتي، رحمة الله، *التهجير الصيني في تركستان الشرقية*، دعوة الحق، السنة ٨، العدد ٩٣، رابطة العالم الإسلامي، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٨٦. رشيد الدِّين الهَمَذَانيّ، *جامع التواريخ*، تأريخ المغول، الإيلخانيون، تأريخ أبناء هُولاكُو، تأريخ المغول: الإيلخانيون، تأريخ هُولاكُو (المجلد الثاني - الجزءان الأول والثاني)، تَرْجَمَة مُحَمَّد صادق نشأت ومحمد موسى هنداوي والدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٠م.

٨٧. الزِّرِكْلِيّ، خير الدين بن محمود بن مُحَمَّد (١٣١٠ - ١٣٩٦هـ)، *الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين*، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.

٨٨. الزَّمَخْشَرِيّ، محمود بن عمر الخُوارَزْميّ المعتزلي (٤٦٧ - ٥٣٨هـ)، *مقدمة الأدب*، تحقيق مُحَمَّد كاظم إمام، طهران، ١٩٦٣م.

٨٩. سِبْط ابن قنينو الإربلي، بدر الدين عبد الرحمن بن إبراهيم (٦٣٨ - ٧١٧هـ)، *خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك*، مطبعة القديس جاورجيوس للروم الأرثوذكس، بيروت، ١٨٨٥م.

٩٠. السُّبكيّ، عبد الوهاب بن عَليّ بن عبد الكافي الشَّافِعِيّ (٧٢٧ - ٧٧١هـ)، *طبقات الشَّافِعِيَّة الكبرى*، تحقيق عبد الفتاح مُحَمَّد الحلو ومحمود الطناحي، مصر، ١٩٩٢م.

٩١. السَّمعاني، عبد الكريم بن مُحَمَّد بن منصور التميمي (٥٠٦ - ٥٦٢هـ)، *الأنساب*، تحقيق الدكتور عبد الله عمر البارودي، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٩٢. شافع بن عَليّ بن عباس الكناني العسقلانيّ (٦٤٩ - ٧٣٠هـ)، حسن *المناقب السَّريَّة المنتزعة من السيرة الظاهرية*، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله الخويطر، الرياض، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٩٣. الشهرستاني، مُحَمَّد بن عبد الكريم بن أحمد الشَّافِعِيّ الأشعري (٤٦٩ - ٥٤٨هـ)، مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار، تحقيق الدكتور مُحَمَّد عَليّ آذرشب، مؤسسة نشر التراث المخطوط، طهران، ٢٠٠٨م.

٩٤. الصَّفَديّ، صلاح الدين خليل بن أيبك الشَّافِعِيّ (٦٩٦ - ٧٦٤هـ)، *أعيان العصر وأعوان النصر*، تحقيق الدكتور عَليّ أبو زيد ورفقاه، دار الفكر المعاصر في بيروت، دار الفكر في دمشق، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٩٥. الصَّفَديّ، صلاح الدين خليل بن أيبك الشَّافِعِيّ (٦٩٦ - ٧٦٤هـ)، *تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنُّوّاب*، تحقيق إحسان بنت سعيد خلوصي وزهير حميدان الصمصام، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٢م.

٩٦. الصَّفَديّ، صلاح الدين خليل بن أيبك الشَّافِعِيّ (٦٩٦ - ٧٦٤هـ)، *الوافي بالوفيات*، تحقيق مجموعة محققين، طبعت أجزاؤه في بيروت وفيسبادن في سنوات مختلفة.

٩٧. الصُّقَاعيّ، فضل الله بن أبي الفخر الكاتب النصراني (حوالي ٦٢٦ - ٧٢٦هـ)، *تالي كتاب وفيات الأعيان*، تحقيق جاكلين سوبله، المعهد الفرنسي للدراسات، دمشق، ١٩٧٤م.

٩٨. صليبا، جورج، «نظريات حركات الكواكب في علم الفلك العَرَبيّ بعد القرن الحادي عشر»، بحث منشور في موسوعة *تاريخ العلوم العَرَبيَّة*.

٩٩. الطباطبائي، العلّامة عبد العزيز (ت ١٤١٦هـ)، *أهل البيت عليهم السلام في المكتبة العَرَبيَّة*، مؤسّسة آل البيت، قم، ١٤١٧هـ.

١٠٠. العَزَّاويّ، عباس بن مُحَمَّد بن ثامر (١٨٩٠ - ١٩٧١م)، *تاريخ العراق بين احتلالين*، مطبعة بغداد، بغداد، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م.

١٠١. العُلَيْميّ، عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن عبد الرحمن الحَنْبَلِيّ (٨٦٠ - ٩٢٨هـ)، *الأُنس الجليل في تاريخ القدس والخليل*، تحقيق عدنان أبو تبانة، مكتبة دنديس، عمّان، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٠٢. عماد الدين الأَصْفَهَانيّ، محمّد بن محمّد بن حامد الشافعيّ (٥١٩ - ٥٩٧هـ)، *تأريخ دولة آل سلجوق*، اختصار الفَتْح بن علي البُنْدَاريّ (٥٨٦ - ٦٤٣هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٠٣. العَيْنيّ، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى الحَنَفيّ (٧٦٢ - ٨٥٥هـ)، *السيف المهَنَّد في سيرة الملك المؤيَّد*، تحقيق فَهِيم مُحَمَّد شَلْتوت، دار الكاتِب العَرَبيّ، القاهرة، ١٩٦٦ - ١٩٦٧م.

١٠٤. العَيْنيّ، بدر الدين، *عِقْد الجُمان في تاريخ أهل الزَّمان*، (حوادث ٦٤٨ - ٦٦٤هـ)، تحقيق الدكتور مُحَمَّد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٠٥. الغامِديّ، الدكتور سعد بن مُحَمَّد حُذيفة، *سقوط الدولة العَبَّاسِيَّة ودور الشِّيعَة بين الحقيقة والاتهام*، دار ابن حذيفة، الرياض، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٠٦. فارمر هنري جورج (١٨٨٢ - كان ما يزال حياً سنة ١٩٤٥م)، *تأريخ الموسيقى*

العَرَبيَّةِ حتى القرن الثالث عشر الميلادي، تَرْجَمَة جرجس فتح الله المحامي، دار مكتبة الحياة، بيروت.

١٠٧. فييه، الدكتور جان موريس، *أحوال النصارى في خلافة بني العباس*، تَرْجَمَة حسني زينة، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٠م.

١٠٨. قَرطاي العِزِّي الخَزِنْداريّ (توفي بعد سنة ٧٠٨هـ)، *تاريخ مجموع النوادر مما جرى للأوائل والأواخر*، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمريّ، المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١٠٩. القَرَمانيّ، أحمد بن يوسف بن أحمد الدِّمَشْقيّ الحَنَفيّ (٩٣٩ - ١٠١٩هـ)، *أخبار الدُّوَل وآثار الأُوَل*، تحقيق الدكتور أحمد حطيط والدكتور فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١١٠. قُطْبُ الدِّين الشِّيرازيّ، محمود بن مسعود بن مصلح الشَّافِعِيّ (٦٣٤ - ٧١٠هـ)، *شرح حكمة الإشراق*، تحقيق عبد الله نوراني ومهدي محقِّق، أنجمن آثار ومفاخر فَرْهَنْكي، طهران، ٢٠٠٥م.

١١١. القَلْقَشَنْديّ، أحمد بن عَليّ بن أحمد الفزاريّ القاهريّ الشَّافِعِيّ (٧٥٦ - ٨٢١هـ)، *مآثر الإنافة في معالم الخلافة*، تحقيق عبد الستار أحمد فرَّاج، عالم الكتب، بيروت.

١١٢. الكاشْغَريّ، محمود بن الحسين (ألَّف كتابه في بغداد بين السنوات ٤٦٤ و٤٦٦هـ)، *ديوان لغات التُّرْك*، دار الخلافة العَلِيَّة، ١٣٣٣هـ.

١١٣. لسترنج، غاي (توفي سنة ١٩٣٣م)، *بلدان الخلافة الشرقيَّة*، تَرْجَمَة بشير يوسف فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

١١٤. مجلة *تراثنا*، تصدرها مؤسسة آل البيت (ع) في مدينة قم.

١١٥ . مجهول، كتَبَ مؤلِّفَه هذا سنة ٣٧٢هـ، *حدود العالم من المشرق إلى المغرب*، تَرْجَمَة وتحقيق يوسف الهادي، الطبعة الثانية، الدار الثقافيَّة، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١١٦ . مجهول، *كتاب الحوادث*، أرَّخ فيه الوقائع حتى سنة ٧٠٠هـ، تحقيق الدكتور بشَّار عواد معروف والدكتور عماد عبد السلام رؤوف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٩٩٧م.

١١٧ . مجهول، *مختصر أخبار الخلفاء*: منسوب إلى عَليّ بن أنْجَب ابن الساعي البَغْدَادِيّ الشَّافِعِيّ، وهو ليس له جَزماً[٤٠٠]، المطبعة الأميريَّة في بُولاق، القاهرة، ١٣٠٩هـ.

١١٨ . معروف، الدكتور ناجي العبيديّ البَغْدَادِيّ (١٩١٠ - ١٩٧٧م)، *تاريخ علماء المستنصرية*، مطبعة العانيّ، بغداد، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

١١٩ . المقريزيّ، أحمد بن عَليّ بن عبد القادر الحَنَفيّ ثُمَّ الشَّافِعِيّ (٧٦٦ - ٨٤٥هـ)، *الذهب المسبوك في ذكر مَن حجَّ من الخلفاء والملوك*، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٢٠ . المقريزيّ، تقي الدين، *السلوك لمعرفة دول الملوك*: تحقيق مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

١٢١ . مورلون، ريجيس، جورج، «مقدمة في علم الفلك»، بحث منشور في *موسوعة تاريخ العلوم العَرَبِيَّة*.

١٢٢ . *موسوعة تاريخ العلوم العَرَبِيَّة*، بإشراف الدكتور رُشدي راشد، مركز دراسات الوحدة العَرَبِيَّة ومؤسسة عبد الحميد شومان، بيروت، ١٩٩٧م.

---

(٤٠٠) أثبتنا عدم صحة نسبته إلى ابن الساعي في مقالنا: هل من صلة بين كتاب مختصر أخبار الخلفاء وابن الساعي؟ المنشور في مجلة العرب (المملكة العَرَبِيَّة السعوديَّة، العددان ١، ٢، السنة ٤٦، يونيو وحزيران وتموز ٢٠١٠).

١٢٣. المَيدانيّ، أحمد بن مُحَمَّد بن أحمد النيسابوريّ (ت٥١٨هـ)، *مجمع الأمثال*، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٢٤. *نهج البلاغة*، مجموع من خطب الإمام عَليّ (٢٣ قبل الهجرة - ٤٠هـ) اختارها وجمعها مُحَمَّد بن الحسين بن موسى المعروف بالشريف الرضي (٣٥٩ - ٤٠٦هـ)، شرحُ الشيخ الإمام مُحَمَّد عبده مفتي الديار المصرية سابقاً (١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ)، دار المعرفة، بيروت.

١٢٥. النُّوَيْريّ، أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد البَكريّ الشَّافِعِيّ (٦٧٧ - ٧٣٣هـ)، *نهاية الأَرَب في فنون الأدب*، تحقيق مفيد قميحة وآخرين، دار الكتب العلميَّة، بيروت،١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

١٢٦. الهادي، يوسف، *إعادة كتابة التاريخ، الغزو المَغُولي للعراق أُنموذجاً*، الطبعة الثانية، المجمع العالميّ للتقريب بين المذاهب، طهران، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م؛ وكانت طبعته الأولى قد صدرت عن دار الوسط في لندن سنة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م تحت عنوان *إعادة كتابة التاريخ، إسقاط الخلافة العَبَّاسِيَّة أنموذجاً*.

١٢٧. ياقوت بن عبد الله الحَمَويّ الرُّوميّ (٥٧٤ - ٦٢٦هـ)، *معجم البلدان*، تحقيق فرديناند وستنفلد، لايبزك، ١٨٦٩م.

١٢٨. *اليُونينيّ*، قُطْب الدِّين موسى بن مُحَمَّد البَعْلَبَكيّ الحَنْبَلِيّ (٦٤٠ - ٧٢٦هـ)، *ذيل مرآة الزَّمَان*، حيدر آباد الدكن، ١٣٧٤ - ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٤ - ١٩٥٥م.

غير العَرَبيَّة

١٢٩. الآقْسَرَائيّ، كريم الدين محمود بن مُحَمَّد (توفي في المدة ما بين ٧٢٣ و٧٣٣ هـ)، *مسامرة الأخبار ومسايرة الأخيار*، تحقيق الدكتور عثمان توران، أنقرة، ١٩٤٣م.

١٣٠. آيتي، عبد المحمَّد، *تحرير تاريخ وَصَّاف الَّذي أَلَّفه* وصَّاف الحَضْرَة عبد الله بن فضل الشِّيرازيّ (٦٦٣ - ٧٣٠هـ)، وأعاد آيتي تحريره وتحقيقه، مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنكي، طهران، ١٩٩٣م.

١٣١. ابن البِيبي، حسين بن مُحَمَّد بن عَليّ الجَعْفريّ الرُّغَديّ (توفي بعد سنة ٦٨٠هـ)، *مختصر سلجوق نامه*، تحقيق م، هـ، هوتسما، ليدن، ١٩٠٢م.

١٣٢. أبو القاسم القاشانيّ، عبد الله بن عَليّ بن مُحَمَّد (ت ٧٣٨هـ)، *تاريخ أولجايتو*، تحقيق مهين همبلي، انتشارات علمي وفرهنكي، طهران، ٢٠١٢هـ.

١٣٣. أبو القاسم القاشانيّ، زبدة التواريخ (القسم الخاص بالفاطميين والنزاريين)، تحقيق مُحَمَّد تقي دانش بزوه، مؤسسه مطالعات وتحقيقات فَرْهَنكي، طهران، ١٩٨٧م.

١٣٤. أفشار، إيرج، *فهرست ميكروفيلمهاي كتابخانه مركزي دانشگاه طهران*، نشر جامعة طهران، طهران، ١٩٦٩م.

١٣٥. إقبال، عباس آشتيانيّ (١٨٩٨ - ١٩٥٦م)، *تاريخ مغول أز حمله جنكيز تا تشكيل دولت تيمور*، نشر مؤسسة أمير كبير، طهران، ١٩٨٥م.

١٣٦. برتشنايدر، إميلي (١٨٣٣ - ١٩٠١م)، *إيران وما وراء النهر در نوشته هاي جيني ومغولي سده هاي ميانه*، تَرْجَمَة وتحقيق الدكتور هاشم رجب زاده، بنياد موقوفات أفشار، طهران، ٢٠٠٢م.

١٣٧. بَكران، مُحَمَّد بن نجيب (كان حياً سنة ٦٠٥هـ)، *جهان نامه*، تحقيق الدكتور مُحَمَّد أمين رياحي، طهران، ١٩٥٣م.

١٣٨. تيموريّ، الدكتور إبراهيم، *إمبراطوري مغول وإيران، دوران فرمانروائي جنكيز خان وجانشينان أو*، نشر جامعة طهران، ١٩٩٩م.

١٣٩. الجَرْديزيَ، عبد الحيّ بن الضحاك (ألَّف كتابه بين ٤٤٢ و ٤٤٣ هـ)، *زين الأخبار*، تحقيق عبد الحي حبيبي، طهران، ١٩٨٤م.

١٤٠. جوادي، الدكتور سيد مهدي، *ديوان لغات الترك محمود كاشغري وإصطلاحات مهم ديواني در آن*، نشر محقق أردبيلي، أردبيل، ٢٠١٠م.

١٤١. الجُوَيْنيّ، علاء الدين عَطَا مَلِك بن بهاء الدين مُحَمَّد (٦٢٣ - ٦٨١هـ)، *تاريخ جَهَانْكُشَا*، تحقيق شاهرُخ موسويّان، استناداً إلى الطبعة التي حققها مُحَمَّد بن عبد الوهاب قزويني، نشر دستان، طهران، ٢٠٠٦م.

١٤٢. حَمْدُ الله المُسْتَوفِي، ابن أبي بكر بن حَمْد الرِّياحيّ القَزْوينيّ الشَّافِعِيّ (ت ٧٥٠هـ)، *تاريخ گزيده*، تحقيق الدكتور عبد الحسين نوائي، نشر أمير كبير، طهران، ١٩٨٣م.

١٤٣. حَمْدُ الله المُسْتَوفِي، *نزهة القلوب*، تحقيق غاي لسترنج، ليدن، ١٩١٥م.

١٤٤. خاتمي، الدكتور أحمد، *شرح مشكلات تأريخ جَهَانْكُشَاي* جويني، نشر بايا، طهران، ٢٠٠١م.

١٤٥. الخُنْجيّ، فضل الله بن رُوزْبَهان بن فضل الله الشَّافِعِيّ (٨٦٠ - ٩٢٥هـ)، *مهمان نامه بخارى*، تحقيق منوچهر ستوده، بنگاه ترجمه ونشر كتاب، طهران، ١٩٧٦م.

١٤٦. دِهْخُدَا، عَلِيّ أكبر بن خانبابا (١٨٧٧ - ١٩٥٥م)، *لغت نامه*، منشورات جامعة طهران.

١٤٧. دَوْلَتْشاه بن علاء الدولة السَّمَرْقَنْديّ (ألَّف كتابه حوالي سنة ٨٩٢هـ)، *تذكرة الشعراء*، تحقيق البروفسور إدوارد براون، ليدن، ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م.

١٤٨. الرامپوريّ، مُحَمَّد بن جلال الدين بن شرف الدين (ألف معجمَه هذا سنة ١٢٤٢هـ)، *غياث اللغات*، تحقيق منصور ثروت، أمير كبير، ١٩٨٣م.

١٤٩. رشيد الدِّين الهَمَذَانيّ، فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير بن موفَّق الدولة عالي بن أبي شجاع الشَّافِعِيّ (٦٤٨ - ٧١٨هـ)، *بيان الحقائق*، تحقيق الدكتور هاشم رجب زاده، مؤسسة نشر ميراث مكتوب، طهران، ٢٠٠٨م.

١٥٠. رشيد الدِّين الهَمَذَانيّ، *تاريخ چين* (قطعة من *جامع التواريخ*)، تحقيق الدكتورة وانغ يي دان، مركز نشر دانشگاهي، طهران، ٢٠٠٠م.

١٥١. رشيد الدِّين الهَمَذَانيّ، *جامع التواريخ* (تاريخ إسماعيليان): تحقيق مُحَمَّد روشن، مؤسسة نشر ميراث مكتوب، طهران، ٢٠٠٨م.

١٥٢. رشيد الدِّين الهَمَذَانيّ، *جامع التواريخ* (تاريخ إيران وإسلام)، تحقيق الدكتور مُحَمَّد روشن، مؤسسة نشر ميراث مكتوب، طهران، ٢٠١٣م.

١٥٣. رشيد الدِّين الهَمَذَانيّ، *جامع التواريخ* (تاريخ سلغريان فارس): تحقيق مُحَمَّد روشن، مؤسسة ميراث مكتوب، طهران، ٢٠١٠م.

١٥٤. رشيد الدِّين الهَمَذَانيّ، *جامع التواريخ* (تاريخ المغول)، تحقيق الدكتور بهمن كريمي، نشر إقبال، طهران، ١٩٨٣م. كما استندنا إلى أحدث طبعة صدرت له سنة ٢٠١٦م عن مؤسسة نشر ميراث مكتوب في طهران بتحقيق الأستاذين روشن وموسوي.

١٥٥. رشيد الدِّين الهَمَذَانيّ، *سوانح الأفكار رشيدي*، تحقيق مُحَمَّد تقي دانش بزوه، كتابخانه مركزي ومركز أسناد، طهران، ١٣٥٨ش/ ١٩٧٨م.

١٥٦. رشيد الدِّين الهَمَذَانيّ، *لطائف الحقائق*، تحقيق غلام رضا طاهر، كتابخانه مركزي دانشكاه طهران، طهران، ١٣٥٥ش/ ١٩٧٦م.

١٥٧. زَرْكُوب الشِّيرازيّ، أحمد بن حمزة الذَّهَبِيّ (ت ٧٨٩هـ)، *شيراز نامه*، تحقيق الدكتور إسماعيل واعظ جوادي، بنياد فَرْهَنْك إيران، طهران، ١٩٧٢م.

١٥٨ . ساندرز، ج. ج.، *تاريخ فتوحات مغول*، ترجمة أبو القاسم حالت، مؤسسة أمير كبير، طهران، ١٩٨٤م.

١٥٩ . سيف الهَرَويّ، ابن مُحَمَّد بن يعقوب (ألَّفه بين ٧٢١ - ٧٢٩هـ)، *تاريخ نامه هراة*، تحقيق غلام رضا طباطبايي مجد، مؤسسة أساطير، طهران، ٢٠٠٦م.

١٦٠ . الشَّبَانْكارَئِيّ، مُحَمَّد بن عَليّ بن مُحَمَّد (انتهى من تأليف كتابه سنة ٧٣٣هـ)، *مجمع الأنساب*، تحقيق مير هاشم محدِّث، منشورات أمير كبير، طهران، ١٩٨٤م.

١٦١ . طبيبي، الدكتور حشمة الله، تعاليقه على كتاب *تحفه ناصري* لفَخْر الكُتَّاب شُكر الله سننَدَجيّ (انتهى من تأليف كتابه سنة ١٣١٩هـ)، مؤسسة أمير كبير، طهران، ١٩٨٦م.

١٦٢ . فصيحُ الخوافيّ، أحمد بن مُحَمَّد بن يحيى الباهِلِيّ (توفي بعد ٨٤٥هـ)، *مجمل التواريخ*، تحقيق محمود فَرُّخ، كتاب فروشي باستان، مشهد، ١٩٦١م.

١٦٣ . فلاديميرتسوف، بوريس ياكوفلوفيتش (١٨٨٤ - ١٩٣١م)، *جنكيز خان*، تَرْجَمَة شيرين بياني، شركت انتشارات علمي فرهنگي، طهران، ١٩٨٦م.

١٦٤ . فلاديميرتسوف، *نظام إجتماعي مغول*، تَرْجَمَة شيرين بياني، شركت انتشارات علمي فرهنكي، طهران، ١٩٨٦م.

١٦٥ . مجهول، *تاريخ آل سلجوق در آناطولي*، تحقيق نادرة جلالي، مؤسسة نشر ميراث مخطوط، طهران، ١٩٩٩م.

١٦٦ . مجهول، «كيفية واقعة بغداد»، رسالة منسوبة لنصير الدين مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الحسن الطُّوسيّ الإمامي (٥٩٧ - ٦٧٢هـ)، طُبعت ملحقة بكتاب *تاريخ جَهَانْكُشَا* لعلاء الدين عَطَا مَلِك الجُوَيْنيّ (٦٢٣ - ٦٨٠هـ)، تحقيق شاهْرُخ موسويّان، دار نشر دَستان، طهران، ٢٠٠٦م.

١٦٧ . تَجيدي، عنايةُ الله، *ميمون دزِ أَلَـمُوت*، بنياد موقوفات أفشار، طهران، ٢٠٠٥م.

١٦٨ . مُعين، الدكتور محمد (١٩١٨ - ١٩٧١م)، *فَرهَنْك فارسي*، طهران، ١٩٩٢م.

١٦٩ . مِنْهَاج سِرَاج، منهاج الدين عثمان بن سِراج الدِّين الجَوْزَجَانيّ، ولقَّبَ نفسَه بـ «الناصر لأهل السنَّة والجماعة» (توفي في ٦٦٠هـ)، *طبقات ناصري*، تحقيق عبد الحي حبيبي، طهران، ١٩٨٤م.

١٧٠ . النَّطَنْزيّ، معين الدين (انتهى من تأليف كتابه سنة ٨١٧هـ)، *منتخب التواريخ معيني*، تحقيق بروين إستخري، انتشارات أساطير، طهران، ٢٠٠٤م.

١٧١ . هِنْدُوشاه النَّخْجَوَانيّ، ابن ستجر بن عبد الله الصاحبيّ الجَيْرانيّ الشَّافِعِيّ (كان ما يزال يُدَوِّن كتابه هذا سنة ٧٢٤هـ)، *تجارب السَّلَف*، تحقيق عباس إقبال، كتابخانه طهوري، طهران، ١٩٧٩م، واستندنا أيضاً إلى إحدى مخطوطاته التي حققها أمير الروضاتيّ وطبعها طبعة تصويرية في أصفهان سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

١٧٢ . وَرَهْرَام، الدكتور غلام رضا، *نظام حكومت إيران در دوران إسلامي*، مؤسسه مطالعات وتحقيقات فَرْهَنْكي، طهران، ١٩٨٩م.

١٧٣ . وصَّافُ الحَضْرَة، عبد الله بن فضل الشِّيرازيّ (٦٦٣ - ٧٣٠هـ)، *تاريخ وصَّاف الحضرة* (وهو الجزء الرابع من تاريخه *تجزية الأمصار وتزجية الأعصار*)، تحقيق الدكتور عَلِيّ رضا حاجيان نزاد، جامعة طهران، ٢٠٠٩م.

١٧٤. Historical Dictionary of the Mongol World Empire, The D. Buell, The scarecrow press, Inc. Lanham, Maryland, and Oxford, 2003.

١٧٥. Grousset, Rene, The Empire of the steppse, Translated from the franch by Naomi Walford, Rutgers Universisity, New Jersey, 1970.

١٧٦. *The Secret History of the Mongols*: Done into English out of the Original Tongue, By Fracis Wooman Cleaves, Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, London, 1982.

فهرس المحتويات

منشوراتنا

تشرّفت مكتبتنا - مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسيّة المقدّسة - بنشر العناوين الآتية بعد العمل بها تحقيقاً أو مراجعةً أو إعداداً:

(١) العبّاس عليه السلام.

تأليف: السيّد عبد الرزاق الموسوي المقرّم (ت١٣٩١هـ).

تحقيق: الشيخ محمّد الحسون.

(٢) المجالس الحسينيّة (الطبعة الأولى والثانية)

تأليف: الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ).

تحقيق: أحمدعلي مجيد الحلّي.

راجعه ووضع فهارسه: وحدة التحقيق.

(٣) سند الخصام في ما انتخب من مسند الإمام أحمد بن حنبل.

تأليف: الحجّة الشيخ شير محمّد بن صفر علي الهمداني (ت١٣٩٠هـ).

تحقيق: أحمد علي مجيد الحلّي.

راجعه ووضع فهارسه: وحدة التحقيق.

(٤) معارج الأفهام إلى علم الكلام.

تأليف: الشيخ جمال الدين أحمد بن علي الجبعيّ الكفعميّ (ق٩).

تحقيق: عبدالحليم عوض الحلّي.

مراجعة: وحدة التحقيق.

(٥) مكارم أخلاق النبيّ والأئمّة عليهم السلام

تأليف: الشيخ الإمام قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ).

تحقيق: السيّد حسين الموسويّ البروجردي.

مراجعة: وحدة التحقيق.

(٦) منار الهدى في إثبات النص على الأئمّة الاثني عشرالنُّجبا.

تأليف: الشيخ عليّ بن عبد الله البحرانيّ (ت ١٣١٩ هـ).

تحقيق: عبدالحليم عوض الحلّي.

مراجعة: وحدة التحقيق.

(٧) الأربعون حديثاً. (الطبعة الأولى والثانية)

اختيار: السيّد محمّد صادق السيّد محمّد رضا الخرسان (معاصر).

تحقيق: وحدة التحقيق.

(٨) **فهرس مخطوطات العتبة العباسية المقدسة.(الجزء الأول والثاني)**

إعداد وفهرسة: السيّد حسن الموسوي البروجردي.

(٩) **الصولة العلوية على القصيدة البغدادية.**

تأليف: السيّد محمّد صادق آل بحر العلوم (ت ١٣٩٩ هـ).

تحقيق: وحدة التحقيق.

(١٠) **ديوان السيّد سليمان بن داود الحلّي.**

دراسة وتحقيق: د. مضر سليمان الحسيني الحلّي.

مراجعة: وحدة التحقيق.

(١١) **كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار ﷺ**

تأليف: العلاّمة الميرزا المحدّث حسين النوري الطبرسي (ت١٣٢٠ هـ).

تحقيق: أحمد علي مجيد الحلّي.

راجعه وضبطه ووضع فهارسه: وحدة التحقيق.

(١٢) **نهج البلاغة (المختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام).**

جمع: الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ).

تحقيق: السيّد هاشم الميلاني.

مراجعة: وحدة التحقيق.

(١٣) **مجالي اللطف بأرض الطف.**

نظم: الشيخ محمّد بن طاهر السماوي (ت ١٣٧٠ هـ).

شرح: علاء عبد النبي الزبيدي.

راجعه وضبطه ووضع فهارسه: وحدة التحقيق.

(١٤) **رسالة في آداب المجاورة (مجاورة مشاهد الأئمة عليهم السلام).**

من أمالي: العلاّمة الشيخ حسين النوري (ت ١٣٢٠هـ).

حرّرها ونقلها إلى العربية: الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ).

تحقيق: محمّد محمّد حسن الوكيل.

مراجعة: وحدة التحقيق.

(١٥) **شرح قصيدة الشاعر (محمّد المجذوب) على قبر معاوية.**

الناظم: الشاعر الأستاذ محمّد المجذوب.

شرح: الشيخ حمزة السلامي (أبو العرب).

راجعه وضبطه ووضع فهارسه: وحدة التأليف والدراسات.

(١٦) **دليل الأطاريح والرسائل الجامعية. (الجزء الأول والثاني)**

إعداد: وحدة المكتبة الإلكترونية.

(١٧) **الدرر البهية في تراجم علماء الإمامية.**

تأليف: السيّد محمّد صادق آل بحر العلوم (ت ١٣٩٩ هـ).

تحقيق: وحدة التحقيق.

(١٨) **جواب مسألة في شأن آية التبليغ.**

تأليف: الشيخ أسد الله الخالصي الكاظمي (١٣٢٨هـ).

تحقيق: ميثم السيّد مهدي الخطيب.

مراجعة: وحدة التحقيق.

(١٩) **ما نزل من القرآن في علي ابن أبي طالب عليه السلام.**

تأليف: أبي الفضائل أحمد بن محمّد بن المظفّر بن المختار الحنفي الرازي (ت ٦٣١هـ).

تقديم: السيّد محمّد مهدي السيّد حسن الموسوي الخرسان.

تحقيق وتعليق: السيّد حسنين الموسوي المقرّم.

مراجعة: وحدة التحقيق.

(٢٠) **درر المطالب وغُرر المناقب في فضائل علي ابن أبي طالب عليه السلام.**

تأليف: السيّد ولي بن نعمة الله الحسيني الرضوي.

تحقيق: الشيخ محمّد حسين النوري.

مراجعة: وحدة التحقيق.

(٢١) **تصنيف مكتبة الكونغرس.**

المجلد الأول: تاريخ آسيا، أفريقيا، استراليا، نيوزلندا.

المجلد الثاني: الفلسفة العامة، المنطق، الفلسفة التأملية، علم النفس، علم الجمال، علم الأخلاق.

المجلد الثالث: العلوم الملحقة بالتاريخ.

ترجمة: وحدة الترجمة.

(٢٢) **العباس عليه السلام سماته وسيرته.**

تأليف: العلّامة السيّد محمّد رضا الجلالي الحائري (معاصر).

إصدار: وحدة التأليف والدراسات.

(٢٣) **من روائع ما قيل في نهج البلاغة.**

إعداد: علي لفتة كريم العيساوي.

إصدار: وحدة التأليف والدراسات.

(٢٤) **دليل الكتب الإنكليزية. (الجزء الأول والثاني)**

إعداد: وحدة المكتبة الإلكترونية.

(٢٥) **موجز أعلام الناس ممّن ثوى عند أبي الفضل العباس عليه السلام.**

تأليف: السيّد نور الدين الموسوي.

إصدار: وحدة التأليف والدراسات.

(٢٦) تراجم مشاهير علماء الهند.

تأليف: السيّد علي نقي النقوي (ت١٤٠٨هـ).

تحقيق: مركز إحياء التراث.

(٢٧) كنز المطالب وبحر المناقب في فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام

تأليف: السيّد ولي بن نعمة الله الحسيني الرضوي (كان حياً سنة ٩٨١هـ).

تحقيق: السيّد حسين الموسوي.

مراجعة: مركز إحياء التراث.

(٢٨) فن التأليف

تأليف: السيّد محمّد رضا الجلالي.

إصدار: وحدة التأليف والدراسات.

(٢٩) وشائح السرّاء في شأن سامراء.

نظم: الشيخ محمّد بن طاهر السماوي (ت ١٣٧٠هـ).

شرحه وضبطه ووضع فهارسه: مركز إحياء التراث.

(٣٠) ذكر الأسباب الصادة عن إدراك الصواب. (سلسلة تراثيات/ ١)

تأليف: أبي الفتح الكراجكي (ت٤٤٩هـ).

تحقيق: الشيخ عبد الحليم عوض الحلّي.

مراجعة: مركز إحياء التراث.

(٣١) فهرس مخطوطات مكتبة الإمام الخوئي قدس سره. (الجزء الأوّل)

إعداد وفهرسة: أحمد علي مجيد الحلّي.

إصدار: مركز تصوير المخطوطات وفهرستها.

(٣٢) كربلاء في مجلّة لغة العرب. (سلسلة اخترنا لكم/ ١).

إعداد: مركز إحياء التراث.

(٣٣) رسالة الحقوق للإمام السجّاد عليه السلام والإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

تأليف: الدكتور علي فاخر الجزائري.

راجعه وضبطه ووضع فهارسه: وحدة التأليف والدراسات.

(٣٤) معجم ما أُلف عن أبي الفضل العباس عليه السلام. (باللغة العربية)

إعداد: وحدة التأليف والدراسات.

(٣٥) أبو الفضل العباس عليه السلام في الشعر العربي.

(الجزء الأول).

(الجزء الثاني).

(الجزء الثالث).

جمعه ورتّبه: وحدة التأليف والدراسات.

(٣٦) لقمان الحكيم ووصاياه.

تأليف: السيّد محمّد رضا آل بحر العلوم.

مراجعة: وحدة التأليف والدراسات.

(٣٧) صدى الفؤاد إلى حمى الكاظم والجواد عليهما السلام.

نظم: الشيخ محمّد بن طاهر السماوي (ت ١٣٧٠هـ).

شرحه وضبطه ووضع فهارسه: مركز إحياء التراث.

(٣٨) المختصر في أخبار مشاهير الطالبية والأئمة الاثني عشر.

تأليف: السيّد صفي الدين ابن الطقطقي (ت حدود ٧٢٠هـ).

تحقيق: السيّد علاء الموسوي.

مراجعة: مركز إحياء التراث.

(٣٩- ٥٩) موسوعة العلّامة الأوردبادي قدس سره.

تأليف: الشيخ محمّد علي الأوردبادي (ت ١٣٨٠هـ).

جمع وتحقيق: سبط المؤلّف السيّد مهدي آل المجدّد الشيرازي.

بنظر ومتابعة: مركز إحياء التراث.

(٦٠) بغداد في مجلّة لغة العرب القسم الأول. القسم الثاني. القسم الثالث. القسم الرابع.

(سلسلة اخترنا لكم/ ٢)

إعداد: مركز إحياء التراث.

(٦١) ما وصل إلينا من كتاب مدينة العلم (في ضمن سلسلة التراث المفقود).

تأليف: الشيخ أبي جعفر محمّد ابن علي بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ).

جمع وتقديم وتحقيق: الشيخ عبد الحليم عوض الحلّي.

مراجعة: مركز إحياء التراث.

(٦٢) مُسند أبي هاشم الجعفري.

تأليف: ابو هاشم الجعفري (ت ٢٦١هـ).

جمعه وحققه وعلق عليه: الشيخ رسول الدجيلي(الجيلاوي).

راجعه ووضع فهارسه: مركز إحياء التراث.

(٦٣) تعليقة الإمام الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء رحمه الله على أدب الكاتب.

تحقيق: الدكتور منذر الحلّي.

مراجعة: مركز إحياء التراث.

(٦٤) أقرب المجازات إلى مشايخ الإجازات.

للسيّد العلّامة علي نقي النقوي (ت١٤٠٨هـ).

أعدّه ووضع فهارسه: مركز إحياء التراث.

(٦٥) لآلئ النيسان (ديوان العلّامة الحجة السيّد محمّد علي خير الدين الموسوي الحائري (ت١٣٩٤هـ).

ضبطه: عدّة من الأدباء.

مراجعة: وحدة التأليف والدراسات.

(٦٦) النجف في مجلّة لغة العرب.

(سلسلة اخترنا لكم/٣).

إعداد: مركز إحياء التراث.

(٦٧) تعليقة على خاتمة المستدرك.

للسيّد حسن الصدر (ت١٣٥٤هـ).

جمع وتحقيق: الشيخ ضياء علاء هادي الكربلائي.

مراجعة: مركز إحياء التراث.

(٦٨) نور الأبرار المبين من حِكم أخ الرسول أمير المؤمنين عليه السلام.

لمحمّد بن غياث الدين الشيرازي الطبيب (ق ١١ هـ).

تحقيق: مركز إحياء التراث.

(٦٩) البصرة في مجلّة لغة العرب.

(سلسلة اخترنا لكم/٤).

إعداد: مركز إحياء التراث.

(٧٠) بحوث الملتقى العلمي الثاني للفهرسة والتصنيف.

إعداد: مركز الفهرسة ونظم المعلومات.

(٧١) الحلة في مجلّة لغة العرب.

(سلسلة اخترنا لكم/٥).

إعداد: مركز إحياء التراث.

(٧٢) وفيات الأعلام.

(المجلد الأول) (المجلد الثاني)

للعلاّمة السيّد محمّد صادق آل بحر العلوم (ت١٣٩٩هـ).

تحقيق: مركز إحياء التراث.

(٧٣) تعليقة على ذخيرة المعاد.

للعلّامة المجدد المولى محمّد باقر الوحيد البهبهاني (ت ١٢٠٥هـ).

حرّرها: الشيخ جواد بن زين العابدين الدامغاني.

تحقيق: مركز إحياء التراث.

(٧٤) ابتداء دولة المغول وخروج جنكيزخان.

(الكتاب الذي بين يديك)

تأليف: العلّامة أبي الثناء قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازيّ الشافعيّ (ت ٧١٠ هـ).

ترجمة وتحقيق: الأستاذ يوسف الهادي.

مراجعة: مركز إحياء التراث.

قيد الإنجاز

(٧٥) الإمام المُجتبى الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

للسيّد عبد الرزاق الموسويّ المقرّم (ت ١٣٩١هـ).

تحقيق: مركز إحياء التراث.

(٧٦) قطعة من كتاب الفتوح.

تأليف: ابن أعثم الكوفيّ (ت حدود ٣١٤ هـ).

تحقيق: الشيخ قيس العطّار.

راجعه ووضع فهارسه: مركز إحياء التراث.

(٧٧) إجازات الرواية والاجتهاد للعلّامة النقوي.

للسيّد علي نقي النقويّ (ت١٤٠٨هـ).

تحقيق: مركز إحياء التراث.

(٧٨) رسالة في مصنّفات السيّد حسن الصدر.

للسيّد حسن الصدر الكاظميّ (ت١٣٥٤هـ).

تحقيق: حسين هليب الشيباني.

مراجعة: مركز إحياء التراث.

(٧٩) هدية الرازي إلى المجدّد الشيرازي.

للعلّامة الشيخ آقا بزرك الطهراني (ت١٣٨٩هـ).

تحقيق: مركز إحياء التراث.

(٨٠) عنوان الشرف في وشي النجف (أُرجوزة في تاريخ مدينة النجف الأشرف).

نظم: الشيخ محمّد بن طاهر السماويّ (ت١٣٧٠هـ).

شرحها وضبطها ووضع فهارسها: مركز إحياء التراث.

(٨١) تعليقة على الكفاية.

تأليف: السيّد محمّد العصّار اللواسانيّ (ت ١٣٥٦هـ).

تحقيق: الشيخ عبد الحليم عوض الحليّ.

راجعه ووضع فهارسه: مركز إحياء التراث.

(٨٢) مرآة الفضل والاستقامة في أحوال مصنّف مفتاح الكرامة.

تأليف: السيّد محمّد جواد بن حسن الحسينيّ العامليّ (ابن حفيد

المصنّف) (ت ١٣١٨هـ)

تحقيق واستدراك: السيّد ابراهيم الشريفيّ.

راجعه ووضع فهارسه: مركز إحياء التراث.

(٨٣) يوميات السّيد محمّد صادق آل بحر العلوم ﵀.

تأليف: السيّد محمّد رضا الحسينيّ الجلاليّ.

مركز إحياء التراث.

(٨٤) محمّد طاهر الفضليّ السماويّ: حياته و آثاره ١٨٧٦ - ١٩٥٠م، دراسة تاريخية. (سلسلة رجالات الشيعة).

تأليف: الأستاذ ياسر عبد عكال الزيادي السماويّ.

راجعه ووضع فهارسه: مركز إحياء التراث.

(٨٥) رسالة في جوائز السلطان. (سلسلة تراثيات).

تأليف: السيّد محمّد العصّار اللواساني (ت١٣٥٦هـ).

تحقيق: الشيخ عبد الحليم عوض الحليّ.

راجعه ووضع فهارسه: مركز إحياء التراث.

(٨٦) ما وصل الينا من تراث ابن قبة الرازي (ق ٣ هـ). (سلسلة التراث المفقود).

إعداد وتحقيق: حيدر البياتيّ.

راجعه ووضع فهارسه: مركز إحياء التراث.

Mongol invasion of the Islamic world, most in its heyday, an era that witnessed the Hulagu's invasion of Ismaili fortresses in Iran, and the invasion of Iraq, which ended up dropping the Abbasid caliphate, as well as the book contains geographic benefits that are not found in other sources.

The book was written in Persian language. Master reviewer Yusuf Al-Hadi has translated texts and reviewed them scientifically, then he has made comments with great benefits. He also has brought forward a fine historical study discussed the author's life, the book importance and its position among some books authored about that era and nearby it, relying in all of that on the important historical sources, including manuscript and unique transcripts, including rare manuscripts and editions.

Heritage revival centre in the manuscripts house of Al-Abbas Holy shrine has adopted publishing this book after rigorous scientific review and technical production.

A briefed introduction

The book of the (Mongol Accounts) is a historical book written by Abu Al-Thana' Qutb Ad-Din Mahmoud ben Massaud son of the reformer Esh-Shirazi, who passed away in (710 AH - 1310). He was encyclopedic scholar and one of the students of Khawajah Nasir Ad-Din al-Tusi (may Allah mercy him). - It highlights one of the historical era of the Mongol empire and consists of the accounts of the ruling family and princes and what they did in their invasion of the Muslim countries, which portrays to us some of the fine details that may be novel - And about Mongol invasion of Baghdad and its fall at the hands of Hulagu and some events synchronized the invasion, then the end of Hulagu and the struggle for power in the Mongol empire after him. The book also presents us the reality of Mongols' rule and their maintained policy, some laws as well as their Behaviorisms or other beliefs in the state administration and in wars.

The importance of this book is that the author had witnessed the most important facts accompanied the

Ibtida' Dawlat Al-Maghol Wa Khurouj Genkeiz Khan

The Beginning of the Mongol Empire and the Departure of Genghis Khan

By

The Scholar, Abi Al-Thana' Qutb Ad-Din Mahmoud Ben Masoud Esh-Shirazi Esh-Sha'fi'i

(634-710 A.H.)



Translated and Reviewed by

Yusuf Hadi

Reviewed by

The Heritage Revival Centre

In the House of Manuscripts of Al-Abbas Holy Shrine